

نام کتاب: غيبة الإمام المهدي عند الإمام الصادق (عليهما السلام)

پدیدآور: عمیدی، ثامر هاشم حبیب

موضوع: شناخت نامه امام مهدی

زبان: عربی

تعداد جلد: ۱

ناشر: مرکز الرسالة

مکان چاپ: قم (ایران)

سال چاپ: ۱۴۲۴ ه. ق

نوبت چاپ: ۱

ص: ۵

مقدمة المركز

الحمد لله الواحد الأحد، و صلواته و سلامه على نبينا محمد، و آله حجج الله على العباد إلى الأبد ..

أما بعد ..

فإن من المسلمات التي تركت بصماتها واضحة في تاريخ الفكر الإسلامي، و بناء حاضره و أثرت فيه برسم معالم مستقبله؛ هو الاعتقاد الراسخ بإخبار أهل البيت عليهم السلام جميعا عن الإمام المهدي عليه السلام قبل ولادته و غيبته، و على هذا فليس البحث في غيبة الإمام المهدي قبل ولادته عليه السلام تسجيلا حرفيا لقضية من قضايا الماضي، بقدر ما هو وصل بين جزء من تاريخ هذه العقيدة في عصر الإمام الصادق عليه السلام و التعرف على جذورها في تلك الفترة، و إدراك عمقها و امتدادها في عصور الإسلام؛ و بين تاريخ تحققها على صعيد الواقع؛ لما بينهما من ارتباط وثيق.

و لا شك أن من يكون حليف القرآن و قرينه - و القرآن فيه تبيان لكل شيء - قادر على أن يوقفنا على ما في ظاهره و باطنه، و يحدثنا عن غيبة الإمام المهدي قبل ولادته عليه السلام، كما لو كان معه. «و من غرق في بحر المعرفة لم يطمع في شط، و من

تعلّى إلى ذروة الحقيقة لم يخف من حطّ؛ و لهذا قال القاضي ابن أبي ليلى لما سأله نوح بن دراج: «أكنت تاركا قولاً قلته أو قضاء قضيته لقول أحد؟ قال: لا، إلّا رجل واحد! قلت: من هو؟ قال: جعفر بن محمد»، ذلك هو إمامنا الصادق عليه السّلام، الحارس الأمين لمنظومة القيم والمفاهيم الإسلامية بنظر الكل، حيث لم يدع مجالاً لأحد أن يشوهها أو يحرفها. و من عاش في كبد الحقيقة، لا تكون الاستضاءة بأقواله استضاءة بجزء من الماضي؛ لأن الحقيقة في الحياة ليس لها عمر محدّد، بل تحمل عناصر الخلود والبقاء معها، وكلما دار عليها الزمان تتجدّد؛ و لهذا كانت حركته عليه السّلام و فعله و قوله و تقريره تجسيدا حيّاً لحركة الرسالة في خطواتها الفكرية و الروحية و العملية، في مساحات الزمن الماضي و الحاضر و المستقبل؛ إذ امتاز عليه السّلام بواقعية مع الحياة على ضوء الإسلام، فكان غنيا بمفاهيم الرسالة، متمسّكا بمنهجها، دقيقا في فكرها، واضحا في تجسيدها حريصا على لونها، مقتديا بها في ضرورة العلم و العمل و التفكير و التخطيط. و على هذا فلس ما جاء عنه عليه السّلام بحاجة في عرضه إلى أكثر من تجريده عن آية أفكار دخيلة عليه أو أقوال مزيفة مكذوبة منسوبة إليه، و لم يعرفها أحد من أصحابه و لم يروها شيعته. و مما علم عنه عليه السّلام و بنحو اليقين، أنّه لم يغادر الحياة شهيدا إلّا و قد جعل العقيدة بالمهدي عليه السّلام، عميقة الفكر، ثابتة الأساس، متينة الحجّة، واضحة مشخّصة، مع تطويقه سائر الدعايات المضادّة التي عملت و لا زالت تعمل على تشويه تلك العقيدة، حتى أحالها إلى رماد. و من أقواله الثابتة ثبوت الحقيقة، و الواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار؛ تصريحه بهوية الإمام المهدي عليه السّلام، و إمامته، و غيبته، و ظهوره في آخر الزمان؛ بما يمكن معه القول الجازم بأنّه

ص: ٦

أراد عليه السّلام تحريك هذه العقيدة في وجدان الأمّة على الدوام؛ لما تمتلكه من فلسفة قادرة على خلق العمل الصالح و تهذيب النفوس بالورع و محاسن الأخلاق، مع التطلّع الجادّ إلى بناء المستقبل، بما يناسب حجم اللقاء بالمهدي عليه السّلام في يومه الموعود. و لكي تدرك - مع هذا - أنها ليست بانتظار فكرة طموحة قابلة للزوال، و إنّما هي بانتظار حقيقة من حقائق الإسلام الكبرى التي لا بدّ و أن تقع في مستقبل تاريخه. و بهذا تستطيع أن تفهم أنّ العقيدة بمهدي مجهول يخلقه الله في آخر الزمان! عقيدة لا تثير اليقظة في العقول، و لا تحرّك الوعي في الإحساس و لا تفتح القلوب، شأنها شأن الأفكار الميتة التي قد تأخذ فراغا في الفكر، و لكنها لا تهب الحياة شيئا.

و إذا كانت أساليب الكذب و الافتراء أعجز من أن تقتل فكرة أو تخلق مبدأ، و طرق الغشّ و التضليل أضعف من أن تحجب نور الحقيقة و تهمش دور العقيدة، فإن من الغباء إذن جعل العقيدة بالإمام المهدي عليه السّلام انهزاما عن الواقع و انعزالا عن الحياة، أو هروبا و انسحابا عن مشاكل الأمّة!! هذا في الوقت الذي يسمع فيه نداء أهل البيت عليهم السّلام من عمق التاريخ الإسلامي بضرورة أن يكون انتظار الإمام المهدي عليه السّلام في غيبته محفّزا إيجابيا و دافعا قويا لتحقيق ما أراده الله و رسوله صلى الله عليه و آله في أن يكون بناء الحياة بشكل أفضل.

و هكذا عاشت عقيدتنا بالإمام المهدي عليه السّلام و لا زالت في قلب المعركة معركة الحق و الباطل، و لن يكون غريبا إذن أن يرى المتتبع لهذه العقيدة اتجاهات دخيلة عليها نمت ضمن نطاق إسلامي من طراز خاص يحتضن تلك الاتجاهات تارة، و يغذيها بتشجيع الزيف و الخداع لأجل أن يتبوأ أنصاره مكانا واسعا خدمة لفكرة محرّفة و غاية مسمومة، و بدعاية كذوب على أنها نتاج إسلامي موضوعي خالص تارة أخرى؛ تبريرا لما يعتقد من خرافات و أوهام، و من هنا صار دعمها طريقا منتجا لإشاعتها و

نشرها فى الوسط الإسلامى حيث اتصالها بالحسّ الدينى العميق؛ و هكذا فقدت العقيدة بمهدى مجهول- كواحدة من تلك الخرافات- مبررات وجودها؛ إذ لا انسجام لها مع الواقع، و لا مع الحياة، و لا مع المبادئ الإسلامية فى تلك العقيدة التى أفاض بها هذا الكتاب و حصرها بواحد من أهل البيت عليهم السّلام و هو ملاذ الفقهاء و أستاذ العلماء فى عصره، و إمام الأمة فى زمانه الصادق عليه السّلام.

و أخيرا فإن هذا الكتاب المائل بين يديك عزيزى القارئ إنما هو صفقة قوية بوجه أولئك الذين أنكروا ولادة الإمام المهدي عليه السّلام و كذبوا بغيبته، و لبنة جديدة تضاف إلى صرح الثقافة المهدوية الحقّة، و دليل على الطريق.

و الله الهادى إلى سواء السبيل

مركز الرسالة

ص:٧

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، و صلّى الله على نبيّنا محمّد و آله الطيّبين الطاهرين، صلاة زاكية نامية متّصلة متواترة لا غاية لأمدّها و لا نهاية لآخرها، و سلّم تسليمًا كثيرًا. و بعد ..

فإنّ الحديث عن الإمام المهدي الحجة ابن الحسن عليهما السّلام خصب الميادين، متعدّد الجوانب، واسع الأطراف، و لا حصر للمؤلّفات التى كتبت- شرقا و غربا- حوله، حتى يخال للباحث و هو يرى كثرة المؤلّفات و البحوث المعدّة حول هذا الموضوع أنّه قد أغلق تماما، و أنّ طرقه من جديد لن يأتى بشيء جديد.

و مع كل هذا قد نبغ فى الآونة الأخيرة من يتّهم متكلمى الإمامية فى أواخر القرن الثالث و بداية الرابع الهجريين، بأنهم- و لأجل أن يستمر المذهب الاثنى عشرى بعد وفاة الإمام العسكري بلا عقب- حاولوا ببراعتهم الكلامية اقناع عامة المذهب بولادة الحجة ابن الحسن الغائب الذى لم يولد بعد!!.

و قد كنت آمل فى كتاب (المهدي المنتظر فى الفكر الإسلامى)- الذى صدر سنة ١٤١٧هـ، و طبع ثلاث مرّات، و ترجم إلى خمس لغات- أن ينبّه على مدارك ذلك الاتهام و يخفّف من غلواء مروّجيه عبر الأقمار الصناعية كلّما اتّاحت لهم الفرصة، و لكنهم بقوا كما بدأوا! و من هنا وجدت نفسى أمام اختيار صعب، فعدت إليهم مرّة أخرى لأرسم الصورة الواضحة لعمق العقيدة المهدوية فى الفكر الشيعى قبل ولادة متكلمى الشيعة- الذين اتهموا باختلاق مفهوم

ص:٨

الغيبه و الغائب- بأكثر من مائة عام؛ و لهذا جاء البحث محصورا بالغيبه و الغائب عند الإمام الصادق عليه السّلام وحده، فنقول:

عاش الإمام الصادق عليه السلام في عصرين مختلفين: عصر ضعف الدولة الأموية حتى آلت إلى السقوط سنة ١٣٢ هـ على أيدي العباسيين، و عصر انشغال بنى العباس في تثبيت أقدامهم بالسلطة. ومعنى هذا، أن الدولة الأموية في عهد الإمام الصادق عليه السلام - الذى تولّى الإمامة بعد وفاة أبيه الإمام الباقر عليهما السلام سنة (١١٤ هـ) - لم تكن قادرة على ممارسة نفس دورها الإرهابى فى الحدّ من نشاط أهل البيت عليهم السلام كما كانت تمارسه فى عهود آبائه عليهم السلام.

كما أنّ الدولة العباسية لم تعلن إرهابها على الإمام عليه السلام فى بداية حكمها كما أعلنته عليه بعد حين و على الأئمة المعصومين من أولاده عليهم السلام فيما بعد، وصولاً إلى دورهم البغيض فى غيبة آخر الأئمة الإمام المهدي عليه السلام.

و من هنا وجد الإمام عليه السلام الفرصة النسبية ساحة للانطلاق فى أرحب الميادين، و لهذا نجد اسمه الشريف يتردد على ألسنة المؤرخين و المحدثين و المفسرين و الفلاسفة و المتكلمين أكثر من سائر الأئمة الآخرين عليهم السلام، و لعلّ خير ما يعبر لنا عن هذه الحقيقة هو الإمام الصادق عليه السلام نفسه فيما رواه عنه أوثق تلامذته.

فعن أبان بن تغلب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «كان أبى عليه السلام يفتى فى زمن بنى أمية أن ما قتل البازى و الصقر فهو حلال، و كان يتقيهم، و أنا لا أتقيهم، و هو حرام ما قتل»^١.

ص: ٩

و نحو هذا ما رواه الحلبي عن أبى عبد الله الصادق عليه السلام أيضاً^٢، و نظيره ما رواه زرارة و أبو عمر الأعجمي عن الإمام الصادق عليه السلام من المنع عن مسح الخفين فى الوضوء تقيّة و كذلك فى النبذ و متعة الحج^٣.

فهذه النصوص و أمثالها تصوّر لنا بوضوح حالة الانفراج السياسى النسبى الذى عاشه الإمام الصادق عليه السلام فى ظلّ الدولتين.

و قد كانت وظيفة الإمام الصادق عليه السلام صعبة للغاية، إذ شاهد خطورة الموقف الإسلامى، و عاصر تلوث المجتمع المسلم بالمفاهيم الدخيلة الوافدة إليه عن طريق الفلسفات الأجنبية التى تسلّلت رويداً إلى ساحته عبر القنوات الكثيرة التى شقّتها حروب العصر الأموى (٤٠ - ١٣٢ هـ)، و بدايات العصر العباسى الأوّل (١٣٢ - ٢٣٤ هـ)، و ما نتج عن هذا و ذاك من نشوء التيارات الفكرية الخطيرة، و انقسام المسلمين إلى مذاهب و فرق عديدة، مع بروز حركة الزندقة و الإلحاد بفعل تلك الرواسب الثقافية المسمومة، فضلاً عن استشراف حالة الفساد الإدارى و الخلقى فى عاصمة الخلافة - دمشق أولاً، و بغداد ثانياً - و من ثمّ تصدير الانحراف إلى شرائح المجتمع من قصور الخلفاء أنفسهم، و يشهد على كلّ هذا ما وصل إلينا من أدب البلاطين فى ذينك العصرين، و فى كتاب الأغاني لأبى الفرج الأصفهاني أمثلة لا حصر لها تصوّر لنا حالة البذخ

^١ (١) فروع الكافى / الكليني ٦: ٢٠٨ / ٨ كتاب الصيد، باب صيد البزاة و الصقور، و الفقيه / الصدوق ٣: ٢٠٤ / ٩٣٢، و التهذيب / الشيخ الطوسى ٩: ٣٢ / ١٢٩، و الاستبصار / الشيخ الطوسى ٤: ٧٢ / ٢٤٥.

^٢ (١) فروع الكافى ٦: ٢٠٧ / ١، من الباب السابق، و التهذيب ٩: ٣٢ / ١٣٠، و الاستبصار ٤: ٧٢ / ٢٤٦.

^٣ (٢) فروع الكافى ٣: ٣٢ / ٢ باب مسح الخفين من كتاب الطهارة، و ٢: ٢١٧ / ٢ باب التقيّة، و المحاسن / البرقى: ٢٥٩ / ٣٠٩، و الخصال / الصدوق ٣٢: ٧٩.

الاقتصادي، و الترف الفكري، و التحلل الخلقي الذي أصاب الأمة على أيدي حكامهم و أمرائهم في الدولتين الأموية و العباسية.

فليس أمام الإمام الصادق عليه السلام إذن إلا إعادة تشكيل وعي الأمة من جديد، و تعبئة أكبر ما يمكن من طاقات أفرادها للنهوض بمهمة التغيير الكبرى، و هو ما استطاع عليه السلام أن يحققه في تلك الفترة القصيرة؛ إذ استطاع و بكل جدارة أن يعيد للإسلام قوته و نظارته، بعد أن أرسى قواعد الفكر الصحيح على أسسه. فوقف كالطود الأشم بوجه تلك العواصف الكثيرة التي أوشكت أن تعصف بكل شيء من بقايا الحق و أهله، و جاهد جهادا علميا عظيما، حتى تمكن بحكمته و عطائه و علمه و إخلاصه لله عز شأنه و تفانيه في دين جده صلى الله عليه و آله أن يصبغ الساحة الفكرية و الثقافية في عصره - بعد أن تدنت بها القيم و الأخلاق - بمعارف الإسلام العظيم، و مفاهيمه الراقية، و استطاع تحويل تلك المفاهيم إلى غذاء روحي يومي، فنقلها من الواقع النظري إلى حيّز التطبيق الفعلي مبتدأ ذلك برواد مدرسته العظيمة التي كانت تضم ما يزيد على أربعة آلاف رجل، و كلهم من تلامذته، حتى صاروا مشاعل نور أضاءت لكل ذي عينين من أفراد الأمة ما أظلم عليه.

و هكذا استمرت مدرسة الإمام الصادق عليه السلام في أداء رسالتها يغذيها - من بعده - الأئمة من ولده عليهم السلام بفيض من علم النبوة و نور الولاية، و لم يخب ضوؤها بتعاقب الزمان و تجدد الملوان، و يشهد لخلودها و اتساعها أنك واجد في كل عصر قطبا من أقطابها يشار له بالبنان، و تشد إليه الرحال من كل فج عميق.

و ما كان هذا ليتّم بسهولة لو لا الجهاد العلمي الحثيث المتواصل الذي بذله الإمام الصادق عليه السلام حتى اكتسب الواقع الثقافي الإسلامي بفضل مدرسته

المباركة مناعة قويّة ضدّ وباء الانحراف، ذلك الوباء الذي كان ضاربا أطنابه على مرافق عديدة من الفكر الإسلامي، فضلا عمّا تركه من تشويش و تضادّ في جزئيات العقيدة، ناهيك عمّا أصاب (الإمامة) من تداعيات خطيرة في المجتمع المسلم، حتى أبيضحت وضوح النهار لكلّ جبار عنيد، و صار كلّ من غلب بحدّ السيف إماما مفروض الطاعة! هذا في الوقت الذي صحّ فيه عن رسول الله صلى الله عليه و آله برواية الفريقين أنّه قال: «الخلفاء اثنا عشر كلّهم من قریش»^٤، و صحّ أيضا قوله صلى الله عليه و آله: «من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة»^٥، كما تواتر عنه صلى الله عليه و آله حديث الثقلين الذي جعل الكتاب و عترته أهل بيته صنوين متلازمين ما بقيت الدنيا، و عاصمين من الضلالة لكلّ من تمسك بهما، و إنهما لن يفترقا

^٤ (١) صحيح البخاري ٤: ١٦٤ باب الاستخلاف من كتاب الأحكام، و صحيح مسلم ٢: ١١٩ باب الناس تبع لقریش من كتاب الإمامة أخرجه من تسعة طرق، و مسند

أحمد ٥: ٩٠ و ٩٣ و ٩٧ و ١٠٠ و ١٠٦ و ١٠٧. و إكمال الدين / الشيخ الصدوق ١: ٢٧٠ / ١٦ و ١: ٢٧٢ / ١٩، و الخصال / الشيخ الصدوق ٢: ٤٦٩ و ٤٧٥.

^٥ (٢) أصول الكافي ١: ٣٠٣ / ٥، و ١: ٣٠٨ / ١، ٢، ٣، و ١: ٣٧٨ / ٢، و روضة الكافي ٨: ٢٩ / ١٢٣، و الإمامة و التبصرة من الحيرة / الصدوق الأوّل ٢١٩ / ٦٩ و ٧٠

و ٧١، و قرب الإسناد / الحميري: ٣٥١ / ١٢٦٠، و بصائر الدرجات / الصفار:

٢٥٩ و ٥٠٩ و ٥١٠، و إكمال الدين ٢: ٤١٢ - ٤١٣ / ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٥ باب ٣٩، و رجال الكشي في ترجمة سالم بن أبي حفصة: ٢٣٥ / رقم الترجمة (٤٢٨).

حتى يردا على النبي صلى الله عليه وآله الحوض^٦.

وهكذا تعين المقصود بالاثني عشر، و اتضح المعنى بإمام زمان كل جيل من أجيال الأمة بما لا يحتاج معه إلى مزيد تأمل أو تفكير.

و في الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: (إنني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله و عترتي) من العترة؟ فقال عليه السلام: أنا، و الحسن، و الحسين، و الأئمة التسعة من ولد الحسين، تاسعهم مهديهم، لا يفارقون كتاب الله عز و جل و لا يفارقهم حتى يردوا على رسول الله صلى الله عليه وآله حوضه»^٧.

و لو لم يكن الأمر كما قلناه لجعل صلى الله عليه وآله مناط الاعتصام من الضلالة بطاعة من و صل إلى السلطة و قاد المسلمين طوعا أو كرها. و أما أن تكون النجاة بالتمسك بالثقلين دون غيرهما بمنطوق الحديث و مفهومه، فالعقل يأبى أن يكون الإمام القدوة غير المنجى من الضلالة.

و في هذا البحث مقطع قصير من مقاطع الإمامة، بل مفصل خطير من مفاصلها و هو «غيبية الإمام المهدي عند الإمام الصادق عليهما السلام»، و نظرا لاتصال

هذا الموضوع الحساس اتصالا وثيقا بحياتنا المعاصرة فكرا و سلوكا و عقيدة، ارتأيت أن أبحث هذا الموضوع عند الإمام الصادق عليه السلام لنرى كيف طرح الإمام الصادق عليه السلام موضوع غيبة الإمام عليه السلام؟ و إذا كان هناك ما يوضح لنا هوية الإمام الغائب المنتظر بلا لبس أو إبهام، فهل وجد مثله في فكر الإمام الصادق عليه السلام؟ أو أنه طرح موضوع الغيبة مجردا عن هوية الغائب و ترك علامات استفهام حول اسمه و نسبه الشريف؟

و نحوه في صحيح البخارى ٥: ١٣ باب الفتن، و صحيح مسلم ٦: ٢١-٢٢ / ١٨٤٩، و مسند أحمد ٢: ٨٣ و ٣: ٤٤٦ و ٤: ٩٦، و المعجم الكبير/ الطبراني ١٠:

٣٥٠ / ١٠٦٨٧، و مسند الطيالسي: ٢٥٩، و مستدرک الحاكم ١: ٧٧، و سنن البيهقي ٨: ١٥٦ و ١٥٧.

٦ (١) سيأتي تخريج حديث الثقلين الشريف في الفصل الثاني من الباب الأول في هذا البحث.

٧ (٢) رواه الفضل بن شاذان في إثبات الرجعة كما في مختصره: ٢٠٨ / ٦، عن ابن أبي عمير، عن غياث بن إبراهيم، عن الإمام الصادق عليه السلام. و أخرجه الصدوق بسند صحيح، عن ابن أبي عمير، عن غياث، عنه عليه السلام. إكمال الدين ١: ٢٤٠-٢٤١ / ٦٤ باب ٢٢، و عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٦٠ / ٥٥، و معاني الأخبار: ٩٠ / ٤ باب معنى الثقلين و العترة.

لقد حرص الإمام الصادق عليه السّلام على إشاعة مفهوم غيبة الإمام المهدي المنتظر عليه السّلام، و بثّ الفكر المهدوي الأصيل في وجدان الأمة التي اختلط عليها الحابل بالنابل، و امتزج عندها الحقّ بأضغاث الباطل نتيجة لما لحق هذا الفكر من تضادّ و تشويش أدّى إلى ظهور دعاوى المهدوية الباطلة التي حاولت الالتفاف على الحقيقة المهدوية الناصعة.

و من هنا قام الإمام الصادق عليه السّلام بتهيئة الأجواء العلميّة لفهم الغيبة و معرفة من هو المهدي الذي سيغيب، و ذلك من خلال اتخاذ الخطوات الآتية:

تتمثّل الخطوة الأولى بدعم العقيدة المهدوية و إرجاعها إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله الذي أكّدها بأقوى ما يمكن حتى تواترت عنه صلّى الله عليه و آله، ثمّ بيان الإمام عليه السّلام حكم من أنكرها.

و تتمثّل الخطوة الثانية بترسيخ القواعد الكاشفة عن هوية الإمام المهدي عليه السّلام من دون الخوض في تفاصيل الهوية الشريفة. و انحصرت الخطوة الثالثة في مجال تشخيص هوية الإمام الغائب عليه السّلام و كيفية الانتفاع به في غيبته.

ص: ١٤

و هكذا يسرّ الإمام الصادق عليه السّلام السبل الكفيلة لمعرفة الإمام الغائب قبل ولادته بعشرات السنين، و هو ما تكفّل به الباب الأول من البحث، و ذلك في ثلاثة فصول عالجت الخطوات الثلاث المذكورة على الترتيب.

و أما عن مفهوم الغيبة فقد احتضنه الإمام الصادق عليه السّلام و أولاه أهمية خاصة، و هو ما تكفّل به الباب الثاني في فصول أربعة.

تناولت: العناية بالغيبة و بيان معطياتها، و تأكيد الإمام الصادق عليه السّلام على وقوعها و طولها، و بيان ما مطلوب في زمانها، و أخيراً الكشف عن عللها.

و عقدنا الباب الثالث لنرى من خلاله موقف الإمام الصادق عليه السّلام من دعاوى المهدوية التي أدركها، و عاصر بعضها، أو التي نشأت باطلا بعده و ذلك في خمسة فصول، ردّ فيها الإمام الصادق عليه السّلام على دعاوى الكيسانية و الأموية و الحسنية و العباسية و النواوسية و الواقفية، مع إعطاء القواعد اللازمة و الضوابط العامة المتقنة لمعرفة قيمة آية دعوى من هذا القبيل ثم جاء الفصل السادس و الأخير ليكشف عن أجوبة الإمام الصادق عليه السّلام على الشبهات المثارة حول الموضوع؛ الأمر الذي أدّى إلى تعرية جميع المزاعم التاريخية التي حاولت الالتفاف على مفهوم الغيبة، أو هوية الإمام الغائب عليه السّلام سواء تلك التي ظهرت في زمان الإمام الصادق عليه السّلام، أو قبله، أو التي نشأت بعد حين و تلاشت فجأة حيث اتضح الصبح لذي عينين.

و آخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

و صلّى الله على نبيّنا و سيّدنا محمّد و آله الهداة الأطهار الميامين.

ص:١٥

الباب الأول فى معرفة الإمام الغائب عليه السلام قبل ولادته

الفصل الأول:

دعم الإمام الصادق عليه السلام للعقيدة المهدوية و بيان حكم من أنكرها

الفصل الثانى:

ترسيخ الإمام الصادق عليه السلام للقواعد الكاشفة عن هوية الإمام الغائب

الفصل الثالث:

تشخيص الإمام الصادق عليه السلام لهوية الغائب و كيفية الانتفاع به فى غيبته

ص:١٧

الفصل الأول دعم الإمام الصادق عليه السلام للعقيدة المهدوية و بيان حكم من أنكرها

اتخذ الإمام الصادق عليه السلام جملة من الأمور اللازمة فى مجال التثقيف العقائدى و الفكرى الموصل لتقائنا إلى معرفة مفهوم الغيبة و صاحبها، و إدراك هويته من قبل أن يولد بعشرات السنين، و ذلك من خلال تأكيده المباشر على أمرين، و هما:

الأمر الأول- ثبوت أصل العقيدة المهدوية، و دعمها:

من الواضح أن الحديث عن الغيبة و الغائب ابتداء، و بيان ما يجب فعله أو تركه فى زمان الغيبة، و نحو هذا من الأمور ذات الصلة المباشرة بهذا المفهوم، لا يجدى نفعا ما لا يعلم بأصل العقيدة المهدوية؛ و لهذا أراد الإمام الصادق عليه السلام تنبيه الأمة على أصل هذه العقيدة، و ذلك من خلال دعمها بما تواتر عن رسول الله صلى الله عليه و آله بشأنها، حتى لا يكون هنالك شك فى الأصل الثابت عن رسول الله صلى الله عليه و آله، و هو ما اتفقت الأمة على نقله.

ص:١٨

فعن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه و آله قال:

«لو لم يبق من الدهر إلّا يوم لبعث الله رجلا من أهل بيتي يملأها عدلا كما ملئت جورا»^٨.

و عن أبي سعيد الخدرى قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول على المنبر:

إنّ المهدي من عترتي من أهل بيتي، يخرج في آخر الزمان، ينزل الله له من السماء قطرها، و يخرج له من الأرض بذرها، فيملأ الأرض عدلا و قسطا كما ملأها القوم ظلما و جورا»^٩.

و عن أبي سعيد الخدرى أيضا، عن النبي صلى الله عليه وآله: «المهدي منى أجلي الجبهة، أقتى الأنف، يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا»^{١٠}.

و عن ام سلمة قالت: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: المهدي من عترتي من ولد فاطمة»^{١١}.

و عن حذيفة بن اليمان، قال: «خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فذكرنا رسول الله صلى الله عليه وآله بما هو كائن، ثم قال: لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد، لطوّل الله عزّ و جلّ

ص: ١٩

ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا من ولدي اسمه اسمي، فقام سلمان الفارسي رضى الله عنه فقال: يا رسول الله من أى ولدك؟ قال: من ولدي هذا، و ضرب بيده على الحسين»^{١٢}. و غيرها من الأحاديث الكثيرة الاخرى.

و ممّا يؤيد عمق الاعتقاد بالمهدي عليه السلام فى الوجود الإسلامى، هو أنّه لا يكاد يخلو كتاب حديثى من كتب المسلمين إلّا و قد صرح بهذه الحقيقة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله ثبوتا قطعيا، و يكفى فى ذلك أن من أخرج أحاديث المهدي عليه السلام من محدثى العامة فقط بلغوا زهاء تسعين محدثا، و قد أسندوها إلى أكثر من خمسين صحابيا^{١٣}، و أما من قال بصحتها أو تواترها فقد بلغوا ثمانية و خمسين عالما من علمائهم فيما تتبّعناه^{١٤}، و إذا ما علمنا موقف أهل البيت عليهم السلام، و عرفنا عقيدة شيعتهم بالإمام المهدي عليه السلام، تبيّننا من حصول إجماع الأمة بكل مذاهبها على ضرورة الاعتقاد بالمهدي عليه السلام.

^٨ (١) كتاب الغيبة / الشيخ الطوسى: ١١١.

^٩ (٢) سنن أبى داود ٤: ١٠٧ / ٤٢٨٣، و مسند أحمد ١: ٩٩، و مصنف ابن أبى شيبة ١٥: ١٩٨ / ١٩٤٩٤.

^{١٠} (٣) سنن أبى داود ٤: ١٠٧ / ٤٣٨٥، و مصنف عبد الرزاق ١١: ٣٧٢ / ٢٠٧٧٣.

^{١١} (٤) سنن ابن ماجه ٢: ١٣٨٦ / ٤٠٨٦ باب ٣٤، و سنن أبى داود ٤: ١٠٧ / ٤٢٨٤، و مستدرک الحاكم ٤: ٥٥٧، و المعجم الكبير / الطبرانى ٢٣: ٢٦٧ / ٥٦٦.

^{١٢} (١) عقد الدرر: ٥٦ باب ١، و فرائد السمطين ٢: ٣٢٥ - ٣٢٦ / ٥٧٥ باب ٦١، و المنار المنيف / ابن القيم ١٤٨ / ٣٣٩ فصل ٥٠، و كشف الغمة / الإربلى ٣: ٢٥٩.

^{١٣} (٢) راجع كتابنا: المهدي المنتظر فى الفكر الإسلامى: ٢٦ - ٣٢.

^{١٤} (٣) راجع كتابنا: دفاع عن الكافى ١: ٤٣٤ - ٤٠٥ تحت عنوان: (من قال بصحة أحاديث المهدي عليه السلام أو تواترها من أهل السنة).

و فى هذا الصدد توجد أحاديث كثيرة عن الإمام الصادق عليه السلام فى تثبيت أصل القضية المهدوية، و هو ما اتفقت عليه كلمة المسلمين من ظهور رجل فى آخر الزمان من ذرية النبی صلی الله عليه و آله یلقب بالمهدى ليملاً الأرض

ص: ٢٠

قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا، و انه یقتل الدجال و ينزل عيسى بن مريم عليه السلام لنصرته، و یأتى بصلاته. و يدل عليه:

١- عن معمر بن راشد، عن الإمام الصادق عليه السلام فى حديث عن رسول الله صلی الله عليه و آله جاء فيه: «... و من ذریتی المهدى، إذا خرج نزل عيسى بن مريم لنصرته، فقدّمه و صلی خلفه»^{١٥}.

و فى هذا الحديث تثبيت واضح لأصل القضية المهدوية، و إشارة مجملة إلى هوية الإمام المهدى بأنه من ذرية الرسول صلی الله عليه و آله، مع التنبيه على مقامه، بأن عيسى عليه السلام سيكون - بأمر الله - وزيرا للمهدى و ناصرا له فى آخر الزمان و أنه یأتى بصلاته.

و حديث نزول عيسى لنصرة الإمام المهدى عليه السلام أخرجه البخارى فى صحيحه، عن أبى هريرة^{١٦}، و أخرجه مسلم فى صحيحه من طرق شتى عن أبى هريرة أيضا^{١٧} و جابر الأنصارى^{١٨}، و الترمذى عن أنس^{١٩}، و أبو نعيم عن عبد الله بن عمرو^{٢٠} و حذيفة^{٢١}، و ابن المنذر، عن شهر

ص: ٢١

ابن حوشب، عن ام سلمة^{٢٢}، و ابن أبى شيبه، عن ابن سيرين مرسل^{٢٣}.

و لا يقال هنا إن تحديد هوية الإمام المهدى عليه السلام من بين الذرية الطاهرة غير معلوم فى حديث الإمام الصادق عليه السلام، لأننا لا زلنا فى صدد تثبيت أصل القضية المهدوية على لسان الإمام الصادق عليه السلام، و إثبات هذا الأصل لا يمكن اغفاله،

^{١٥} (١) أمالى الشيخ الصدوق: ٢٨٧ / ٣٢٠ / ٤ مجلس / ٣٩.

^{١٦} (٢) صحيح البخارى ٢٠٤: ٤ باب نزول عيسى عليه السلام.

^{١٧} (٣) صحيح مسلم ١: ١٣٥ / ٢٤٢ و ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٦ باب نزول عيسى عليه السلام حاكما بشريعة نبينا محمد صلی الله عليه و آله.

^{١٨} (٤) صحيح مسلم ١: ٢٤٧ / ١٣٥ من الباب السابق.

^{١٩} (٥) سنن الترمذى ٥: ١٥٢ / ٢٨٩٦.

^{٢٠} (٦) الحاوى للفتاوى / السيوطى ٢: ٧٨.

^{٢١} (٧) الحاوى للفتاوى ٢: ٨١.

^{٢٢} (١) تفسير القمى ١: ١٥٨، و انظر: الدر المنثور / السيوطى ٢: ٧٣٤.

^{٢٣} (٢) المصنّف / ابن أبى شيبه ١٥: ١٩٨ / ١٩٤٩.

خصوصا و أن فى المسلمين من شكك فيه و أنكره جملة و تفصيلا، و مع هذا فإن فى مثبتات الأصل المذكور تشخيصا أعلى لموضوع الهوية كما سيأتى.

جدير ذكره أن كون المهدي من ذرية الرسول صلى الله عليه و آله يعنى كونه من ذرية أمير المؤمنين عليه السلام من فاطمة عليها السلام، بمعنى أنه لا بدّ و أن يكون إما من ذرية الإمام الحسن السبط، أو من ذرية الإمام الحسين السبط عليهما السلام لانحصار ذرية الرسول صلى الله عليه و آله بهما و بأولادهما. و من هنا جاءت الأحاديث الأخرى المثبتة لأصل القضية مصرّحة بهذا المعنى.

٢- عن أبان بن عثمان، عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه و آله فى حديث قاله لعلّى عليه السلام: «... كان جبريل عليه السلام عندى آنفا، و أخبرنى أن القائم الذى يخرج فى آخر الزمان فيملأ الأرض عدلا، من ذريتك، من ولد الحسين»^{٢٤}.

٣- و عن معاوية بن عمار، عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه و آله

ص: ٢٢

فى حديث آخر: «... إن جبريل عليه السلام أتانى فأقرأنى من ربى السلام، و قال يا محمد ... و منكم القائم يصلى عيسى بن مريم خلفه، إذا أهبطه الله إلى الأرض، من ذرية على و فاطمة، من ولد الحسين عليه السلام»^{٢٥}.

هذا، و أما ما قد يقال أنّ فى بعض الأحاديث ما يثبت كون المهدي حسنيا لا حسينيا، فالجواب باختصار أنه لا يوجد حديث صحيح البتة يثبت هذا المعنى من طرق العامة، و إنما وجد ذلك فى حديثين فقط، أرسل الطبرى أحدهما^{٢٦} و لا حجة فى المرسل، و الآخر رواه أبو داود فى سننه، قال: «حدثت عن هارون بن المغيرة، قال: حدثنا عمر بن أبى قيس، عن شعيب بن خالد، عن أبى إسحاق، قال: قال على رضى الله عنه - و نظر إلى ابنه الحسن -: (إنّ ابنى هذا سيّد كما سمّاه النبى صلى الله عليه [و آله] و سلّم، و سيخرج من صلبه رجل يسمّى باسم نبيكم، يشبهه فى الخلق و لا يشبهه فى الخلق) ثم ذكر قصة: يملأ الأرض عدلا»^{٢٧}، انتهى.

و سند الحديث مجهول و منقطع؛ لأنّه قال: «حدثت» و لم يذكر اسم من حدّثه، فهو مجهول إذن، و هو منقطع أيضا؛ لأنّ أبا إسحاق - و المراد به:

^{٢٤} (٣) كتاب الغيبة / النعماني: ٢٤٧ - ٢٤٨ / ١ باب ١٤.

^{٢٥} (١) روضة الكافي / الكليني ٨: ٤٢ / ١٠.

^{٢٦} (٢) تهذيب الآثار / الطبرى - كما فى الحاوى للفتاوى / السيوطى ٢: ٦٦.

^{٢٧} (٣) سنن أبى داود ٤: ١٠٨ / ٢٢٩٠.

السبيعي - لم تثبت له رواية واحدة سماعاً عن أمير المؤمنين علي عليه السلام كما صرح بهذا المنذرى فى شرح حديث أبى داود^{٢٨}، وقد كان عمره يوم

ص: ٢٣

شهادة أمير المؤمنين علي عليه السلام نحو سبع سنين؛ لأنه ولد لسنتين بقيتا من زمان عثمان^{٢٩}، هذا فضلاً عن اختلاف النقل عن أبى داود، فمنهم من نقله من كتاب السنن وفيه لفظ (الحسين) بدلاً من لفظ (الحسن)، وكذلك وجود أحاديث كثيرة أخرى من طرق العامة تثبت أنه من ولد الحسين عليه السلام^{٣٠}.

وأما الشيعة الإمامية فليس فى تراثها المهدوى الزاخر بهوية المهدي عليه السلام ما يشير - بأدنى عبارة من حديث أو أثر - إلى كون المهدي من ولد الإمام الحسن السبط عليه السلام.

الأمر الثانى - بيان حكم من أنكر أصل العقيدة المهدوية:

من خلال ما تبين فى الأمر الأول يتضح جداً أن إنكار أصل العقيدة المهدوية جملة و تفصيلاً هو من قبيل الردّ على الله و رسوله صلى الله عليه وآله، و من قبيل الازدراء باجماع هذه الأمة بكلّ فوائدها و تياراتها على قبول أصل العقيدة المهدوية و إن اختلفوا فى تفاصيلها.

و قد ورد فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله ما يبين حكم من أنكر الإمام المهدي عليه السلام.

فعن جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من كذب بالدجال فقد كفر، و من كذب بالمهدي فقد كفر»^{٣١}.

ص: ٢٤

و هذا ما أكّده علماء المذاهب الأربعة فيما حكاه لنا علاء الدين على المتقى بن حسام الدين الشهير بالمتقى الهندي الحنفى (ت/ ٩٧٥ هـ)، إذ قال تحت عنوان: «فتاوى علماء العرب من أهل مكة المشرفة فى شأن المهدي الموعود فى آخر الزمان» إذ ورد عليهم سؤال بهذا الموضوع، قال المتقى:

^{٢٨} (٤) مختصر سنن أبى داود/ المنذرى ٦: ١٦٢ / ٤١٢١.

^{٢٩} (١) تهذيب التهذيب/ ابن حجر العسقلانى ٨: ٥٦ / ١٠٠.

^{٣٠} (٢) انظر كتابنا: المهدي المنتظر فى الفكر الإسلامى: ٦٢ ففيه بطلان حديث أبى داود من سبعة وجوه.

^{٣١} (٣) الروض الانف/ السهيلي ٢: ٤٣١، و عقد الدرر/ المقدسى الشافعى: ٢٠٩، - و الحاوى للفتاوى/ السيوطى ٢: ٢٤٤، قال: «و أخرج أبو بكر الاسكاف فى فوائد الأخبار، عن جابر بن عبد الله ... ثم ساق الخبر».

«و هذه صورة السؤال: اللهم أرنا الحقّ حقّاً و ارزقنا اتباعه، و أرنا الباطل باطلا و ارزقنا اجتنابه.

ما يقول السادة العلماء أئمة الدين و هداة المسلمين - أيّدهم الله بروح القدس - في طائفة اعتقدوا شخصا من بلاد الهند مات سنة عشر و تسعمائة^{٣٢} ببلد من بلاد العجم، يسمى: (فره) أنّه المهديّ الموعود به في آخر الزمان، و أنّ من أنكر هذا المهديّ فقد كفر؟ ثمّ حكم من أنكر المهديّ الموعود؟ افتونا - رضى الله تعالى عنكم».

قال: «و كان هذا الاستفتاء في سنة اثنتين و خمسين و تسعمائة»^{٣٣}.

و قد نقل المتّقى الهندى رحمه الله ما أفتى به فقهاء مكّة بشأن السؤال المذكور، مبينا اسم كلّ فقيه منهم، و اسم مذهبه،

ص: ٢٥

كالآتى:

١- فتوى ابن حجر الهيتمى الشافعى.

٢- فتوى الشيخ أحمد أبى السرور بن الصبا الحنفى.

٣- فتوى الشيخ محمد بن محمد الخطابى المالكى.

٤- فتوى الشيخ يحيى بن محمد الحنبلى.

و سنذكر خلاصة ما ذكر كلّ واحد منهم.

أما الفقيه الشافعى:

فقد نصّ على تواتر أحاديث المهديّ ذكرا علامات خروجه المتواترة و محيلا في ذلك إلى كتابه (القول المختصر في علامات المهديّ المنتظر).

و قد وضّح أنّ إنكار هذه الطائفة ظهور المهديّ عليه السّلام، إن كان إنكارا للسّنة رأسا فهم كفار، و يجب قتلهم، و إن كان محض عناد لأئمة الإسلام لا للسّنة. قال: «فهو يقتضى تعزيرهم البليغ، و إهانتهم بما يراه الحاكم لائقا بعظيم جريمتهم و قبح طريقتهم، و

^{٣٢} (١) ذكره في أوّل كتاب البرهان فقال في ص ٦٧ منه: «و طائفة من بلاد الهند يعتقدون شخصا شريفا ولد في الهند اسمه: السيد محمد بن سيد خان الجونفورى -

رحمه الله و له نحو أربعين سنة - أنّه هو المهديّ الموعود به في آخر الزمان» و كتاب البرهان ألفه كردّ على ضلالة هذه الطائفة.

^{٣٣} (٢) البرهان في علامات مهديّ آخر الزمان / المتّقى الهندى: ١٧٧.

فساد عقيدتهم من حبس، و ضرب، و صفع و غيرها، مما يزرهم عن هذه القبائح، و يكفهم عن تلك الفضايح، و يرجعهم إلى الحق رغما على أنوفهم، و يردهم إلى اعتقاد ما ورد به الشرع ردعا عن كفرهم و إكفارهم...»^{٣٤}.

ص: ٢٦

و أمّا الفقيه الحنفى:

فقد أفتى ببطان هذه الدعوى، و قال بحق أصحابها: «و يجب قمعهم أشد القمع، وردعهم أشد الردع؛ لمخالفة اعتقادهم ما وردت به النصوص الصحيحة و السنن الصريحة التى تواترت الأخبار بها، و استفاضت بكثرة روايتها من أن المهديّ رضى الله عنه الموعود بظهوره فى آخر الزمان يخرج مع سيدنا عيسى على نبينا و عليه السلام»^{٣٥}، ثمّ حكم عليهم بالكفر أيضا.

و أمّا الفقيه المالكي:

فقد أفتى ببطان دعوى هذه الطائفة أيضا، فقال: «اعتقاد هؤلاء الطائفة فى الرجل الميت أنّه المهديّ الموعود بظهوره فى آخر الزمان باطل، للأحاديث الصحيحة الدالة على صحّة صفة المهديّ، و صفة خروجه، و ما يتقدّم بين يدي ذلك من الفتن...»^{٣٦} ثمّ بيّن أن اعتقادهم بهذا الرجل بأنّه هو المهديّ و تكفير من خافهم، هو الكفر بعينه، و أفتى بوجوب استنابتهم و رجوعهم إلى الاعتقاد الحق، و إلّا قتلوا.

و أمّا الفقيه الحنبلى:

فقد قال: «لا ريب فى فساد هذا الاعتقاد، لما اشتمل عليه من مخالفة الأحاديث الصحيحة بالعناد. فقد صحّ عنه عليه الصلاة و السلام كما

ص: ٢٧

رواه الثقات، عن الرواة الأثبات، أنّه أخبر بخروج المهديّ فى آخر الزمان، و ذكر مقدمات لظهوره، و صفات فى ذاته، و أمور تقع فى زمانه...»^{٣٧}.

٣٤ (١) البرهان فى علامات مهديّ آخر الزمان: ١٧٨ - ١٧٩.

٣٥ (١) البرهان فى علامات مهديّ آخر الزمان: ١٨٠.

٣٦ (٢) البرهان فى علامات مهديّ آخر الزمان: ١٨١.

٣٧ (١) البرهان فى علامات مهديّ آخر الزمان: ١٨٢.

و أخيراً طالب حاكم المسلمين «أن يخرج عليهم أحكام المرتدين باستتابتهم ثلاثاً، فإن تابوا و إلّا يضرب أعناقهم بالسيف كي يرتدع أمثالهم من المبتدعين [و] يريح الله المسلمين منهم أجمعين»^{٣٨}.

و مما يؤيد صحة تلك الفتاوى على لسان إمامنا الصادق عليه السلام الأحاديث الآتية:

١- عن صفوان بن مهران الجمال، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «من أقر بجميع الأئمة و جحد المهدي كان كمن أقر بجميع الأنبياء و جحد محمداً صلى الله عليه و آله نبوته...»^{٣٩}.

و قد مرّ عن الإمام الصادق عليه السلام في الإشارة إلى حديث الثقلين ما يوضح المراد بالأئمة عليهم السلام، و سيأتى ذلك أيضاً.

٢- و عن غياث بن إبراهيم، عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه و آله، قال: «من أنكر القائم من ولدى فقد أنكرنى»^{٤٠}.

ص: ٢٨

جدير بالذكر أنّ لفظ «القائم» و إن كان وصفاً لجميع الأئمة عليهم السلام، إلّا أنه ينصرف عند الإطلاق إلى الإمام المهدي عليه السلام كما هو صريح جميع الروايات.

و مما يؤيد ذلك و على لسان الإمام الصادق عليه السلام:

- حديث عبد الله بن سنان، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: **يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ**؟^{٤١} قال: إمامهم الذي بين أظهرهم، و هو قائم أهل زمانه»^{٤٢}.

- و حديث أبي خديجة، عن أبي عبد الله عليه السلام، و قد سئل عن القائم عليه السلام، فقال: «كلنا قائم بأمر الله، واحد بعد واحد حتى يجيء صاحب السيف، فإذا جاء صاحب السيف جاء بأمر غير الذي كان»^{٤٣}.

^{٣٨} (٢) البرهان في علامات مهدي آخر الزمان: ١٨٣.

^{٣٩} (٣) إكمال الدين / الصدوق ٢: ٣٣٣ / باب ١.

^{٤٠} (٤) إكمال الدين ٢: ٤١٢ / باب ٨.

^{٤١} (١) سورة الإسراء: ٧١ / ١٧.

^{٤٢} (٢) أصول الكافي ١: ٥٣٦ - ٥٣٧ / باب ٣ إن الائمة عليهم السلام كلهم قائمون بأمر الله تعالى هادون إليه.

^{٤٣} (٣) أصول الكافي ١: ٥٣٦ / ٢، و الإرشاد ٢: ٣٨٤.

- و حديث محمد بن عجلان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إذا قام القائم عليه السلام دعا الناس إلى الإسلام جديداً، و هداهم إلى أمر قد دثر، فضل عنه الجمهور، و إنما سمي القائم مهدياً؛ لأنه يهدي إلى أمر قد ضلّوا عنه، و سمي بالقائم؛ لقيامه بالحق»^{٢٤}.

ص: ٢٩

- هذا، و في حديث الحكم بن أبي نعيم، عن الإمام الباقر عليه السلام ما يشير بكل وضوح إلى اشتهاه وصف الإمام المهدي عليه السلام بالقائم بين صفوف أصحاب الأئمة عليهم السلام^{٢٥}.

٣- و في الصحيح عن علي بن رثاب، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قول الله عزّ و جلّ: **يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ**^{٢٦}، قال عليه السلام: «الآيات: هم الأئمة، و الآية المنتظرة: هو القائم عليه السلام، فيومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل قيامه بالسيف، و إن آمنت بمن تقدمه من آبائه عليهم السلام^{٢٧}.

و هذا الحديث الصحيح صريح بهلاك منكري الإمام المهدي عليه السلام في غيبته، ما لم يتداركوا أنفسهم و يتوبوا إلى الله عزّ و جلّ قبل انسداد باب التوبة بظهور الإمام المنتظر عليه السلام. و منه يعلم و هن اعتذار بعض من اتبعوا أهواءهم بأنهم لو أدركوا ظهور الإمام المهدي عليه السلام لآمنوا به و أسرعوا إلى مبايعته و تصديقه. الأمر الذي يشير إلى ضرورة التصدي إلى تلك الأعذار الواهية و الذرائع الخاوية، و اجتثاث جذورها من الأعماق **وَلْتَنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ**

ص: ٣٠

الظَّالِمِينَ^{٢٨}.

٤- و عن غياث أيضاً، عن الإمام الصادق عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه و آله:

قال: «من أنكر القائم من ولدى في زمان غيبته مات ميتة جاهلية»^{٢٩}.

و يلحظ هنا ذكر الغيبة في تثبيت أصل القضية و في حكم من أنكرها معاً، و منه يكشف عمق مفهوم الغيبة المواكب لأصل القضية.

^{٢٤} (٤) الإرشاد ٢: ٣٨٣، و كشف الغمة ٣: ٢٥٤ - ٢٥٥.

^{٢٥} (١) أنظر الحديث في أصول الكافي ١: ٥٣٦ / ١ من الباب السابق.

^{٢٦} (٢) سورة الأنعام: ٦ / ١٥٨.

^{٢٧} (٣) إكمال الدين: ١٨، من المقدمة. و أخرجه الشيخ الصدوق من طريق صحيح آخر، عن علي بن رثاب، عن الإمام الصادق عليه السلام في إكمال الدين: ٣٠، من المقدمة أيضاً.

^{٢٨} (١) سورة البقرة: ٢ / ١٤٥.

^{٢٩} (٢) إكمال الدين ٢: ٤١٢ - ٤١٣ / ١٢ باب ٣٩.

و من هنا كان الخطر الذى يكمن وراء إنكار الإمام المهدي عليه السلام عظيمًا، و النتيجة التى تضمّنتها الأحاديث الثلاثة تتماشى مع روح القرآن الكريم تماما، قال تعالى: **أَفُتُونُونَ بَعْضَ الْكِتَابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ**^{٥٠} فما دام الكلّ من الله عزّ و جلّ فلا معنى للتبعض فيه أصلا، و لهذا فمن آمن بالقرآن الكريم و أنكر سورة واحدة من سوره القصار فقد كفر و خرج عن ملّة الإسلام، فكذلك الحال هنا.

و قد يقال: بأن هذا قياس مع الفارق؛ إذ ليس فى القرآن الكريم صحيح و ضعيف، بل هو كلّ من كلام الله عزّ و جلّ المنقول إلينا بالتواتر، و الحديث ليس كذلك إذ فيه الصحيح و الضعيف و الموضوع الذى لا أصل له، و من ثمّ فإنّ الوعيد الشديد المذكور واقع على من أنكر أصل القضية

ص: ٣١

المهدوية، كمن يقول مثلا: (لا مهدى فى آخر الزمان)؛ و حينئذ لا يضرّ الوعيد المذكور بمن آمن بمهدى مجهول يخلقه الله فى آخر الزمان؛ لأنه إيمان بالأصل المتفق عليه بين جميع فئات المسلمين و طوائفهم و مذاهبهم.

و الجواب: إن معرفة مقام أهل البيت عليهم السلام بأنهم الامتداد الطبيعى لرسول الله صلى الله عليه و آله و أنهم خلفاؤه، و أوصياؤه، و طاعتهم طاعته، و معصيتهم معصيته، و حديثهم حديثه، و قول أىّ منهم حجة، و أنّ من مات و لم يعرف إمام زمانه منهم مات ميتة جاهلية، كميته أبى سفيان على الكفر و النفاق، كلّ ذلك يدلّ على أنهم عليهم السلام كالقرآن الكريم لا يجوز تبعض الإيمان بهم مطلقا، و يؤيد هذا، أنّ نجاة المسلمين من الضلالة مرهونة باتباع القرآن و العترة معا؛ لأنهما صنوان لا يفترقان عمر الدنيا كما فى حديث الثقلين الشريف، و هو حديث متواتر بلا أدنى شبهة، هذا فضلا عن الأحاديث الكثيرة المتواترة فى وجوب التمسكّ بهم و الردّ إليهم، و الكون معهم، فإنّ ظاهرها إنّ من لم يأخذ منهم أو عمن أخذ منهم، لا يعدّ فى العرف طائعا لهم، و لا رادا إليهم، و لا متمسكا بهم، و لا كائنا معهم، و إذا لم يصدق عليه ذلك، لم تصدق عليه صفة الإيمان و إن نطق بالشهادتين و صام و صلى و أدّى فرائض الله كلّها، بل فى إسلامه خدش عظيم.

و أمّا عن دعوى التحقيق فى تلك الأحاديث لاحتمال أن تكون موضوعة أو ضعيفة، و بالتالى فلا يلزم منها الوعيد المذكور. فهى دعوى غير صحيحة أصلا؛ إذ لا تحتاج المسألة إلى تحقيق ما ورد فيها من أحاديث، بل لو لم يوجد أىّ حديث عن النبى صلى الله عليه و آله و أهل بيته عليهم السلام فى مثل

ص: ٣٢

هذا الموضوع أصلا، لكان الاعتقاد بهلاك منكر الإمام المهدي عليه السلام هو المتعين، لثبوت كونه خاتم الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام ثبوتا متواترا.

علما أنّ في هذا الكتاب وحده من الأحاديث المروية عن الإمام الصادق عليه السلام وحده، ما يكفي لإثبات هذه الحقيقة، فكيف الحال إذن لو أضيف لها ما روى عن أهل البيت عليهم السلام كافة، لا شك أنها ستفوق الحد المطلوب في تحقّق التواتر بدرجات.

و من شاء فليرجع إلى أمّهات الكتب المعتمدة المعدّة في هذا الغرض كإكمال الدين للشيخ الصدوق، وكتاب الغيبة للشيخ النعماني، وكتاب الغيبة للشيخ الطوسي، وغيرها من الكتب المعتبرة الأخرى، التي اشتملت على مئات الأحاديث الواردة في هذا الموضوع.

ص: ٣٣

الفصل الثاني ترسيخ الإمام الصادق عليه السلام للقواعد الكاشفة عن هوية الإمام الغائب

هناك جملة وافرة من الأحاديث النبويّة الشريفة، التي يمكن عدها - و بكل اطمئنان - من القواعد الأساسية التي أصلتها الشريعة الإسلامية في مقام بيان منزلة و معرفة الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام، ابتداء من أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب، و انتهاء بالإمام الحجة ابن الحسن العسكري عليهم السلام، بحيث لو ضم بعضها إلى بعض لتكشّفت من خلالها هوية الإمام الغائب، و بصورة لا تحتاج معها إلى أى دليل آخر في مسألة ولادته، و إمامته و غيبته و طول عمره و ظهوره في آخر الزمان ليملأ الأرض عدلا و قسطا بعد ما ملئت ظلما و جورا، و هو ما اتّضح لطلائع التشييع، و آمنوا به قبل ولادة الإمام المهدي عليه السلام بعشرات السنين، نتيجة لتلك الأخبار التي أفصحت عن كلّ هذا قبل زمان تحقّقه.

و من الطبيعي أن لا يتفق هذا المنهج القائم على الإيمان بالغيب مع معطيات الفلسفة المادية التي لا تؤمن بالغيب أصلا، و من هنا أصبح الدليل

ص: ٣٤

المادى في تلك الفلسفة هو الحاكم في مجال العقيدة عند من تأثر بتلك الفلسفة و روج لها من المستشرقين و غيرهم.

و أمّا في المنظور الإسلامي فيكفي الاعتقاد بالغيب ثبوت الإخبار عنه بالطريق الشرعى، كوجوده في القرآن الكريم، أو في الصحيح من الحديث النبوى الشريف، أو من حديث أهل البيت عليهم السلام الذين زكّاهم الله تعالى، و أذهب عنهم الرجس و طهّهم تطهيرا.

و الحديث عن دور الإمام الصادق عليه السلام في موضوع الثقافة المهدوية بوجه عام، و الغيبة و الغائب بوجه خاص، ينبغى أن لا تغيب عنه المقدمات التي اعتمدها الإمام الصادق عليه السلام في بناء تلك الثقافة بناء محكما، و ذلك من خلال القيام بترسيخ القواعد اللازمة في ذهنية الأمة، و العمل الدؤوب على نشرها، حتى استطاع عليه السلام من خلال التأكيد عليها، و بيان مصداقها الخارجى أن يجعل العقيدة بالإمام المهدي و غيبته عليه السلام - قبل أن يولد بأكثر من مائة عام - من القلاع الشامخة الحصينة التي لا يمكن لأحد تسلّق أسوارها، فضلا عن السطو عليها بهدف النيل منها أو تشويهها، و من تلك القواعد:

القاعدة الاولى: قاعدة العصمة و المرجعية العلمية و السياسية لأهل البيت عليهم السلام.

و هذه القاعدة كغيرها من القواعد الأخرى الآتية كانت معروفة من قبل، بفضل ما ورد بشأنها فى القرآن الكريم و أحاديث الرسول صلى الله عليه و آله، و أهل البيت من آباء الإمام الصادق عليهم السلام، و لكنها لم تصل مداها الأرحب

ص: ٣٥

كما ينبغى، بسبب الظرف السياسى الخانق الذى حال دون وصول أهل البيت عليهم السلام إلى الخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و آله مباشرة، و بالتالى حال دون أن تأخذ مفعولها فى الوسط الإسلامى.

و من هنا يبرز دور الإمام الصادق عليه السلام فى ترسيخ تلك القواعد بناء على ما ذكرناه سلفاً من توفر الانفراج السياسى النسبى الذى حصل له عليه السلام بعد انهيار دولة البغاة و نشأة امبراطورية الطغاة.

و لسعة ما اعتمده الإمام فى التأكيد على هذه القاعدة، فسوف نكتفى بحدود اهتمامه عليه السلام بحديث الثقلين الشريف، الذى اعتنى به الإمام للغرض المذكور، بعد أن رأى محاولات الالتفاف على هذا الحديث الشريف من قبل السلطات الحاكمة حيث سخرت له من يصرفه عن مؤداه من فقهاء و رواة السلطة و قضاتهم و ولاتهم. الأمر الذى يكشف عن ادراكهم خطورة هذا الحديث على المستويين الثقافى و السياسى معاً. و سوف نتحدث عنه تحت عنوان:

حديث الثقلين و أثره فى بلورة القاعدة:

أولاً- صحة الحديث و بيان تواتره:

جرى الاستدلال على صحة هذه القاعدة ببيان اصولها من القرآن الكريم و السنة النبوية الثابتة و السيرة الذاتية لأهل البيت عليهم السلام مع الدليل العقلى، و سنقتصر - كما ذكرنا - على دليل واحد من السنة النبوية و هو حديث الثقلين الشريف، فنقول:

ص: ٣٦

إنَّ النيل من صحّة حديث الثقلين الشريف لا يجدى نفعاً بعد وروده عن رسول الله صلى الله عليه و آله من طرق كثيرة جداً و بألفاظ واحدة و متقاربة، توجب تواتره بأبهى صورة.

فقد أخرج الترمذى، عن أبى سعيد الخدرى، عن رسول الله صلى الله عليه و آله قوله الشريف: «إنى تارك فيكم ما إن تمسكنم به لن تضلوا بعدى، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، و عترتى أهل بيتى، و لن يتفرقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»^{٥١}.

و أخرجه عن أبي سعيد- من العامة-: أحمد بن حنبل، و ابن أبي عاصم، و أبو يعلى الموصلي، و ابن الجعد، و ابن سعد، و ابن أبي شيبه، و الطبراني في معاجمه الثلاثة، و الحمويني^{٥٢}.

كما أخرجه عن أبي سعيد- من الإمامية-: محمد بن

ص: ٣٧

العباس المفسر، و الشيخ الصدوق، و الشيخ المفيد، و الشيخ الطوسي^{٥٣}.

و لم تقتصر رواية حديث الثقلين على أبي سعيد الخدرى فحسب، بل رواه آباء الإمام الصادق عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه و آله، و هم: أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام^{٥٤}، و الإمام الحسن السبط عليه السلام^{٥٥}، و الإمام الباقر عليه السلام^{٥٦}. كما ورد- فيما بعد- عن الإمامين:

ص: ٣٨

الكاظم^{٥٧}، و الرضا عليهما السلام^{٥٨}.

^{٥٢} (٢) مسند أحمد ٣: ١٧ و ٢٦ و ٥٩، و فضائل الصحابة له أيضا ٢: ٥٨٥ / ٩٩٠ و ٢:

٧٧٩ / ١٣٨٢، و السنة لابن أبي عاصم ٢: ١٠٢٣ - ١٠٢٤ / ١٥٩٧ و ١٥٩٨، و مسند أبي يعلى الموصلي ٢: ١٠١٧ / ٦، و ٢: ٨ - ١٠٢٣ / ٩، و مسند ابن الجعد ١: ٣٩٧ / ٢٧١١، و الطبقات الكبرى لابن سعد ٢: ١٩٤، و المصنف لابن أبي شيبه ٧: ٢٧ / ١٧٦، و معاجم الطبراني الثلاثة: الكبير ٣: ٦٥ - ٦٦ / ٢٦٧٨ و ٢٦٧٩ و ٢٦٧٩، و الصغير ١: ١٣١ و ١٣٥، و الأوسط ٤: ٢٦٢ - ٢٦٣ / ٣٤٦٣ و ٤: ٣٢٨ / ٣٥٦٦، و فرائد السمطين ٢: ١٤٤ - ١٤٦ / ٤٣٨ و ٤٣٩ و ٤٤٠ باب ٣٣.

^{٥٣} (١) تأويل الآيات الظاهرة للإستزادة: ١٦٦، و إكمال الدين ١: ٢٣٥ / ٤٦، و ١:

٢٣٧ - ٢٣٨ / ٥٤ و ٥٧، و ١: ٢٤٠ / ٦١ باب ٢٢، و معاني الأخبار: ٩٠ / ١ و ٢ باب معنى الثقلين، و الخصال: ٩٧ / ٦٥، و أمالي الشيخ المفيد: ١٣٤ / ٣ مجلس / ١٣٦، و أمالي الشيخ الطوسي: ٢٥٥ / ٤٦٠ (٥٢٩) مجلس / ٩.

^{٥٤} (٢) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة ٢: ١٠٢٦، و البزار في مسنده ٣: ٨٩ / ٨٦٤، و الطحاوي في مشكل الآثار ٢: ٢١١ - ٢١٢ / ١٩٠٠، و الحمويني الشافعي في فرائد السمطين ٢: ١٤٤ / ٤٣٧ باب ٣٣.

و رواه من الإمامية: الكليني في اصول الكافي ٢: ٤١٤ / ١، و الصدوق في إكمال الدين ١: ٢٣٥ / ١٩ و ١: ٢٣٧ / ٥٤ و ١: ٢٣٩ / ٥٨ و ١: ٢٤٠ / ٢٤ باب ٢٢، و كذلك في عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٥٧ / ٢٥ باب ٦ و ٢: ٣٤ / ٤٠ باب ٣١، و ٢: ٦٨ / ٢٥٩، و معاني الأخبار: ٩ - ٩١ / ٤ و ٥، و الشيخ النعماني في كتاب الغيبة: ٤٢.

^{٥٥} (٣) أخرجه الشيخ المفيد في أماليه: ٣٤٨ / ٤ مجلس / ٤١، و الشيخ الطوسي في أماليه: ١٨٨ / ١٢١ مجلس / ٥، و ١: ٦٩٩ / ٤٦٩ مجلس / ٣٩، و الخراز في كفاية الأثر: ١٦٢، و الطبري في بشارة المصطفى: ١٠٦.

^{٥٦} (٤) أخرجه الصفار في بصائر الدرجات: ٤١٣ - ٤١٤ / ٣ و ٦ باب ١٧، وثقة- الإسلام الكليني في فروع الكافي ٣: ٤٢٢ / ٦ باب تهية الإمام للجمعة، و الكشي في رجاله ١: ٢١٩ / ٢١٨ في ترجمة ثوير بن أبي فاختة، و الشيخ الصدوق في معاني الأخبار: ٥٨ / ٥٩، و عماد الدين الطبري في بشارة المصطفى: ١٢.

^{٥٧} (١) أخرجه الشريف الرضي في خصائص الأئمة: ٧٢.

^{٥٨} (٢) أخرجه الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٢٨ / ١ باب ٢٣، و الأمالي: ٥٢٢ / ١ مجلس / ٧٩.

و أما حديث الإمام الصادق عليه السلام فسيأتي في ترسيخ هذه القاعدة.

كما روى حديث الثقلين الشريف عدد من الصحابة، وهم: جابر بن عبد الله الأنصاري^{٥٩}، و حذيفة ابن أسيد^{٦٠}، و زيد بن أرقم^{٦١}،

ص: ٣٩

و زيد بن ثابت الأنصاري^{٦٢}، و جندب بن جنادة أبو ذر الغفاري^{٦٣}،

ص: ٤٠

^{٥٩} (٣) أخرجه الترمذى فى سننه ٥: ٤٤٢-٤٤٣ / ٣٧٨٦، و الطبرانى فى المعجم الكبير ٣: ٢٤٨٠ / ٦٤ و ٥: ٢٧٥٤ / ٣٨٠، و ابن أبى شيبه فى المصنف ٧: ١٧٥ / ٢٧، و اللالكائى فى اعتقاد أهل السنة ١: ٨١ / ٩٥.

و أخرجه من الإمامية: الصفار فى بصائر الدرجات: ٤١٤ / ٥ باب ١٧، و الصدوق فى إكمال الدين ١: ٢٣٦ / ٥٣ باب ٢٢، و الشيخ الطوسى فى أماليه: ٥١٦ / ١١٣١ (٣٨) مجلس / ١٨.

^{٦٠} (٤) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ٣: ١٨٠-١٨١ / ٣٠٥٢، و الخطيب البغدادي فى تاريخ بغداد ٨: ٤٤٢ / ٤٥٥١ فى ترجمة زيد بن الحسن الأنماطى، و أبو نعيم الأصبهاني فى حلية الأولياء ١: ٣٥٥ / ٥٧ فى ترجمة حذيفة بن أسيد.

و أخرجه من الإمامية: الخزاز فى كفاية الأثر: ١٢٧، و الصدوق فى الخصال:

٩٨ / ٦٥ من أربعة طرق.

^{٦١} (٥) أخرجه مسلم فى صحيحه ٤: ١٤٩٢-١٤٩٣ / ٢٤٠٨ (٣٦) و (٣٧)، و ابن خزيمة فى صحيحه ٤: ٦٢-٦٣ / ٢٣٥٧، و النسائي فى خصائص الإمام على عليه السلام:

١١٧-١٢٠ / ٧٩، و أحمد بن حنبل فى مسنده ٤: ٣٦٦ و ٣٧١، و فى فضائل الصحابة أيضا ٢: ٥٧٢ / ٩٤٨، و الدارمى فى سننه ٢: ٥٢٤ / ٣٣١٦، و ابن أبى عاصم فى السنة ٢: ١٠٢٢-١٠٢٣ / ١٥٩٥ و ١٥٩٦، و ٢: ١٠٢٥-١٠٢٦ / ١٥٩٩، و ابن أبى شيبه فى المصنف ٧: ١٧٦ / ٢٧، و الطبرانى فى المعجم الكبير ٥:

١٦٦-١٦٧ / ٤٩٦٩ و ٤٩٧١، و ٥: ١٦٩-١٧٠ / ٤٩٨٠ و ٤٩٨١، و ٥: ١٨٢-١٨٣ / ٥٠٢٥ و ٥٠٢٧ و ٥٠٢٨، و ٥: ١٨٦ / ٥٠٤٠، و الحاكم فى المستدرک على الصحيحين ٣: ١١٨ / ٤٥٧٦، و ٣: ١٦٠-١٦١ / ٤٧١١، و الطحاوى فى مشكل الآثار ٤: ٢٥٠-٢٥١ / ٣٧٩٦ و ٣٧٩٧ باب ٥٤٨، و البيهقى فى كتاب الاعتقاد ١:

٣٢٥، و السنن الكبرى أيضا ١٠: ١١٣-١١٤، و الخوارزمى الحنفى فى المناقب: ١٥٤ و ١٨٢، و الرافعى فى التدوين فى أخبار قزوين ٣: ٤٦٥ / ٥٢.

و أخرجه من الإمامية: الصدوق فى إكمال الدين ١: ٢٣٤ / ٤٤ و ٤٥، و ١: ٢٣٧-٢٤٠ / ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ و ٦٢ باب ٢٢ من ستة طرق.

^{٦٢} (١) أخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده ٥: ١٩٠، و فى فضائل الصحابة له أيضا ٢:

٧٨٦، و ابن أبى عاصم فى السنة ١: ٥٠٩ / ٧٧٢، و ٢: ١٠٢١ / ١٥٩٣، و ابن أبى شيبه فى المصنف ٧: ٤١٨ / ٤١، و الطبرانى فى المعجم الكبير ٥: ١٥٣-١٥٤ / ٤٩٢١ و ٤٩٢٢ و ٤٩٢٣، و الحمونى فى فرائد السمطين ٢: ١٤٤ / ٤٣٧ باب ٣٣.

و أخرجه من الإمامية: ابن شاذان فى مائة منقبة: ١٦١ / ٨٦، و الصدوق فى إكمال الدين ١: ٢٣٦ / ٥٢ باب ٢٢، و ١: ٢٣٩ / ٦٠ باب ٢٢، و الأمالى: ٥٠٠ / ٦٨٦ (١٥) مجلس / ٦٤.

^{٦٣} (٢) أخرجه على بن إبراهيم فى تفسيره ١: ١٠٩ فى تفسير سورة آل عمران، و الشيخ الصدوق فى إكمال الدين ١: ٢٣٦-٢٣٩ / ٥٢ و ٥٩ و ٦٠ باب ٢٢، و الخصال ٢: ٤٥٧ / ٢، و الأمالى: ٥٠٠ / ٦٨٦ (١٥) مجلس / ٦٤.

و أبو هريرة^{٦٤}، و أم سلمة^{٦٥}، و البراء بن عازب^{٦٦}، و حذيفة بن اليمان^{٦٧}، و عبد الله ابن عباس^{٦٨}، و عمر بن الخطاب^{٦٩}.

ثانيا- من صحَّ الحديث من العلماء:

من الواضح أنَّ اتفاق الصحابة - الذين سبق ذكرهم - على رواية حديث الثقلين الشريف بلفظ: «كتاب الله و عترتي ...»، عن رسول الله صَلَّى الله عليه و آله يوجب تواتره، و إذا ما أُضيف إلى ذلك موقف أهل البيت من هذا الحديث علم تواتره بأبهى صورة. على أنَّهم صرَّحوا بحسن الكثير من طرقه تارة، و صحتَّها أخرى. و لو جمعت طرق الحديث تلك لكانت وحدها دليلا كافيا على تواتر الحديث. و إليك جملة يسيرة بأسماء من قال بحسن الحديث أو صحتَّه، و هم:

محمد بن إسحاق (ت / ١٥٠ هـ)^{٧٠}، و محمد بن عيسى الترمذی

ص: ٤١

(ت / ٢٩٧ هـ)^{٧١}، و يحيى بن زكريا الحافظ النيسابوري (ت / ٣٠٧ هـ)^{٧٢}، و محمد بن جرير بن رستم الطبري المفسر العامي (ت / ٣١٠ هـ)^{٧٣}، و أبو بكر محمد بن إسحاق السلمي المعروف بابن خزيمة (ت / ٣١١ هـ)^{٧٤}، و أحمد بن محمد بن عقدة الزيدى الجارودي الحافظ (ت / ٣٣٣ هـ) و هو من المعتقدين بتواتر الحديث؛ إذ أخرجه عن أكثر من مائة من الصحابة و بطرق شتى فى كتاب الولاية كما صرَّح بهذا السيد ابن طاوس^{٧٥}.

^{٦٤} (١) أخرجه الخزاز القمى فى كفاية الأثر: ٨٧.

^{٦٥} (٢) أخرجه الشيخ الطوسى فى أماليه: ٤٧٨ / ١٠٤٥ (١٤) مجلس / ١٧.

^{٦٦} (٣) أخرجه عماد الدين الطبرى فى بشارة المصطفى: ١٣٦.

^{٦٧} (٤) أخرجه الخزاز فى كفاية الأثر: ١٣٦، و السيد ابن طاوس فى إقبال الأعمال: ٤٥٤.

^{٦٨} (٥) أخرجه الشيخ الصدوق فى أماليه: ٦٤ / ١١ مجلس / ١٥، و الشيخ المفيد فى أماليه: ٤٥ - ٤٧ / ٦ مجلس / ٦، و ابن شاذان القمى فى مائة منقبة: ١٤٣ / ٧٥.

^{٦٩} (٦) أخرجه الخزاز فى كفاية الأثر: ٩١.

^{٧٠} (٧) لسان العرب / ابن منظور ٤: ٥٣٨ (عتر).

^{٧١} (١) سنن الترمذى ٥: ٦٦٢ - ٦٦٣ / ٣٧٨٦ باب مناقب أهل البيت عليهم السَّلام.

^{٧٢} (٢) الفوائد المنتقاة و الغرائب الحسان عن الشيوخ الكوفيين / محمد بن على الصورى: ٧٣.

^{٧٣} (٣) كنز العمال ١: ٣٧٩ / ١٦٥٠.

^{٧٤} (٤) راجع: صحيح ابن خزيمة ١: ٣ من المقدمة.

^{٧٥} (٥) انظر: الاقبال / السيد ابن طاوس ٢: ٢٣٩ - ٢٤٠.

و الأزهرى اللغوى المشهور (ت/ ٣٧٠ هـ)^{٧٦}، و الحاكم النيسابورى (ت/ ٤٠٥ هـ)^{٧٧}، و أبو سعيد السجزي (ت/ ٤٧٧ هـ) و هو من المعتقدين بتواتر الحديث؛ إذ أخرجه من طرق شتى^{٧٨}، و البغوى (ت/ ٥١٠ هـ)^{٧٩}،

ص: ٤٢

و سبط ابن الجوزى (ت/ ٦٩٤ هـ)^{٨٠}، و ابن منظور (ت/ ٧١١ هـ)^{٨١}، و المزي (ت/ ٧٤٢ هـ)^{٨٢}، و الذهبى (ت/ ٧٤٨ هـ)^{٨٣}، و ابن كثير الدمشقى (ت/ ٧٧٤ هـ)^{٨٤}، و المحاملى فى أماليه على ما سيأتى عن السيوطى، و نور الدين الهيثمى (ت/ ٨٠٧ هـ)^{٨٥}، و البوصيرى (ت/ ٨٤٠ هـ)^{٨٦}، و ابن حجر العسقلانى (ت/ ٨٥٢ هـ)^{٨٧}، و السخاوى (ت/ ٩٠٢ هـ) و هو من المعتقدين بتواتر الحديث إذ أخرجه من طرق كثيرة صحح الكثير منها^{٨٨}، و السيوطى (ت/ ٩١١ هـ) و هو من المعتقدين بتواتره أيضا كما يظهر من كثرة طرقه، و قد صحح بعضها، و أشار إلى تصحيح من سبقه لها كالمحاملى و غيره^{٨٩}، و السمهودى (ت/ ٩١١ هـ) و هو من المعتقدين بتواتره أيضا كما

ص: ٤٣

^{٧٦} (٦) تهذيب اللغة/ الأزهرى ٢: ١٥٧ (عتر).

^{٧٧} (٧) مستدرک الحاكم ٣: ١١٨ / ٤٥٦٧ كتاب معرفة الصحابة - ذكر مقتل عثمان، و ٣: ١٦٠ - ١٦١ / ٤٧١١، و ٣: ٦١٣ / ٦٢٧٢.

^{٧٨} (٨) الاقبال/ السيد ابن طاوس ٢: ٢٣٩ الفصل ٢.

^{٧٩} (٩) مصابيح السنة/ البغوى ٤: ١٨٥ / ٤٨٠٠، و ٤: ١٨٩ / ٤٨١٦ باب مناقب أهل البيت عليهم السلام، و شرح السنة/ البغوى ١٤: ١١٧ / ٣٩١٣ و ١٤: ١١٨ / ٣٩١٤.

^{٨٠} (١) تذكرة الخواص/ سبط بن الجوزى: ٢٩٠.

^{٨١} (٢) لسان العرب/ ابن منظور ٤: ٥٣٨ (عتر).

^{٨٢} (٣) تحفة الأشراف/ المزي ٣: ١٩٣ / ٣٦٥٩.

^{٨٣} (٤) تلخيص المستدرک/ الذهبى ٣: ٥٣٣ مطبوع بهامش مستدرک الحاكم).

^{٨٤} (٥) السيرة النبوية/ ابن كثير ٤: ١٦٨، و تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير ٧: ١٨٥ فى تفسير الآية (٢٣) من سورة الشورى المباركة، و البداية و النهاية/ ابن كثير أيضا ٥: ٢٢٨ - ٢٢٩، و ٥: ٢٣١.

^{٨٥} (٦) مجمع الزوائد/ الهيثمى ١: ١٧٠، و ٩: ١٦٢ - ١٦٣.

^{٨٦} (٧) مختصر اتحاف السادة المهرة/ البوصيرى ٨: ٤٦١، و ٩: ١٩٤.

^{٨٧} (٨) المطالب العالیه/ ابن حجر العسقلانى ٤: ٦٥ / ٣٩٧٢.

^{٨٨} (٩) استجلاب ارتقاء الغرف/ السخاوى: ٨٨ - ١٢٢ بعنوان: «حديث الثقلين».

^{٨٩} (١٠) مسند الإمام على عليه السلام/ السيوطى: ١٩٢ / ٦٠٥، و جامع الأحاديث/- السيوطى ١٦: ٢٥٥ / ٧٨٦٣، و الخصائص الكبرى/ السيوطى ٢: ٤٦٦، و الدر المنثور/ السيوطى أيضا ٥: ٧٠٢ فى تفسير الآية (٢٣) من سورة الشورى المباركة.

يظهر بوضوح من طريقه لديه مع تصحيحه لكثير من تلك الطرق^{٩٠}، و محمد بن يوسف الشامي (ت/ ٩٤٢ هـ)^{٩١}، و ابن حجر الهيتمي (ت/ ٩٧٤ هـ) و هو من المعتقدين بتواتر الحديث، و له كلام طويل في تصحيح جملة وافرة من طريقه^{٩٢}، و عبد الرؤوف محمد بن علي المناوي (ت/ ١٠٣١ هـ)^{٩٣}، و علي بن برهان الدين الحلبي (ت/ ١٠٤٤ هـ)^{٩٤}، و محمد بن معتمد خان الحارثي المعروف بالبدخشاني (ت/ ١١٢٦ هـ)^{٩٥}، و محمد بن محمد بن معين المعروف بالسندی (ت/ ١١٦١ هـ)^{٩٦}، و الزبيدي الحنفی (ت/ ١٢٠٥ هـ)^{٩٧}، و الحسين بن أحمد الصنعاني (ت/ ١٢٢١ هـ)^{٩٨}، و القندوزي الحنفی (ت/ ١٢٧٠ هـ) و هو من المعتقدين بتواتر الحديث؛ إذ

ص: ٤٤

أخرجه من طرق كثيرة جدا صحح معظمها^{٩٩}، و الآلوسی المفسر الوهابي (ت/ ١٢٧٠ هـ) فقد صحح الحديث و قال معقباً بعد التصحيح، إنّه: «يقتضى أن النساء المطهرات غير داخلات في أهل البيت الذين هم أحد الثقلين»^{١٠٠}.

و صحّحه جمال الدين القاسمي (ت/ ١٣٣٢ هـ)^{١٠١}.

و صحّحه محمود شكرى الآلوسی (ت/ ١٣٤٢ هـ) مصرّحاً بأنّ من خالف الثقلين فهو ضالّ، و مذهبه باطل و فاسد لا يعبأ به، و من جحد بهما فقد غوى، و وقع في مهاوى الردى^{١٠٢}، و لله درّ القائل: و الحقّ ينطق منصفاً و عنيداً.

^{٩٠} (١) جواهر العقدين / السمهودي: ٢٣١ و ٢٣٢ و ٢٣٤ و ٢٣٦ و ٢٣٨ و ٢٤٦ و قال في هذا المورد الأخير: «و هو كثير الطرق جدا و قد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، و كثير من أسانيدھا صحاح و حسان».

^{٩١} (٢) سبيل الهدى و الرشاد في سيرة خير العباد / محمد بن يوسف الشامي ١١: ٦.

^{٩٢} (٣) الصواعق المحرقة / ابن حجر الهيتمي: ٤٢ و ٤٣ و ٤٤ و ١٤٥ و ١٤٩ و ١٥٠ و ٢٢٨.

^{٩٣} (٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير / المناوي ٢: ١٧٤ / ١٦٠٨.

^{٩٤} (٥) السيرة الحلبيّة / الحلبي ٣: ٣٨٤.

^{٩٥} (٦) نزل الأبرار بما صحّ من مناقب أهل البيت الأطهار / البدخشاني: ٣٣.

^{٩٦} (٧) دراسات اللبيب في الأسوة الحسنة بالحبيب / السندی: ٢٣٣.

^{٩٧} (٨) اتحاف السادة المتقين / الزبيدي ١٤: ٥٣٤.

^{٩٨} (٩) الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير / الصنعاني ١: ٣٩.

^{٩٩} (١) ينابيع المودة ١: ١٢٠ / ٤٤ و ٤٥، و ١: ١٢١ / ٤٨، ٢: ٤٣٢ / ١٩١، و غيرها.

^{١٠٠} (٢) روح المعاني / الآلوسی الوهابي ١١: ١٩٧ في تفسير الآية (٣٣) من سورة الأحزاب المباركة.

^{١٠١} (٣) محاسن التأويل / القاسمي ١٤: ٣٠٧.

^{١٠٢} (٤) مختصر التحفة الإثنى عشرية / محمود شكرى الآلوسی: ٥٢.

و صحّحه - كذلك - المولوى حسن زمان (من أعلام القرن الرابع عشر الهجرى)^{١٠٣}، والألبانى الوهابى (ت/ ١٤١٣ هـ)^{١٠٤}.

و إذا ما لوحظ بأن مسلم بن الحجاج النيسابورى (ت/ ٢٦١ هـ) قد أخرج الحديث فى صحيحه، عن أبى سعيد الخدرى كما تقدّم، وإنّ علماء

ص: ٤٥

العامّة مطبقون على صحة هذا الكتاب، فلا معنى إذن للاكتثار من أسماء علمائهم الذين صحّحوا الحديث.

و يدلّ على ذلك أقوالهم الآتية:

١- قال العيني فى عمدة القارى: «اتفق علماء الغرب و الشرق على أنه ليس بعد كتاب الله تعالى أصح من صحيحى البخارى و مسلم»^{١٠٥}.

٢- و قال الكشميرى الديوبندى فى فيض السارى: «و اعلم أنه انعقد الإجماع على صحة البخارى و مسلم»^{١٠٦}.

٣- و قال حاج خليفة فى كشف الظنون: «إنّ السلف و الخلف قد أطبقوا على أن أصحّ الكتب بعد كتاب الله سبحانه و تعالى، صحيح البخارى ثم صحيح مسلم»^{١٠٧}.

٤- و كان أبو على النيسابورى يرى: «أنّه ما من شىء تحت أديم السماء إلّا و صحيح مسلم أصحّ منه»^{١٠٨}.

٥- و ذهب الذهبى، و السرخسى، و ابن تيمية، و عمر بن الصلاح الشهرزورى، و الحميدى، و ابن طاهر، و أبو إسحاق الشيرازى، و القاضى عبد الوهاب المالكى، إلى القول بأنّ ما وجد فى الصحيحين يفيد القطع!! و احتجّوا بالإجماع على قبوله، و جزم السيوطى بأنّ القطع هو

ص: ٤٦

^{١٠٣} (٥) القول المستحسن فى فخر الحسن / المولوى حسن زمان: ٥٩٤.

^{١٠٤} (٦) صحيح الجامع الصغير / الألبانى الوهابى ١: ٢٨٦ / ١٣٥١، و ١: ٤٨٢ / ٢٤٥٧ و ٢٤٥٨، و سلسلة الأحاديث الصحيحة / الألبانى الوهابى أيضا، رقم الحديث (١٧٦١).

^{١٠٥} (١) عمدة القارئ فى شرح صحيح البخارى / العيني ١: ٥.

^{١٠٦} (٢) فيض السارى على صحيح البخارى / الكشميرى الديوبندى ١: ٥٧.

^{١٠٧} (٣) كشف الظنون / حاج خليفة ١: ٦٤١.

^{١٠٨} (٤) وفيات الأعيان / ابن خلكان ٤: ٢٠٨.

الصواب!!^{١٠٩}.

هذه هي رتبة حديث الثقلين الشريف بلفظ: «كتاب الله و عترتي ...» عند علماء العامة، و بهذا تعلم قيمة إعراض البخارى فى صحيحه عن رواية هذا الحديث، و قيمة الشبهات التى أثارها و يثيرها بعض الجهلة من هنا و هناك بشأن صحة هذا الحديث تارة أو دلالته تارة أخرى^{١١٠}.

ثالثا- علم الصحابة بالمعنيين بحديث الثقلين:

إنّ العودة السريعة إلى أزمان صدور الحديث^{١١١} تؤكد لنا أهمية حديث الثقلين (القرآن و العترة)، و قيمة إرجاع الأمة فيه إلى العترة لأخذ الدين الحقّ عنهم، و تزداد أهميته كثيرا بالوقوف على أسباب التأكيد عليه فى مناسبات مختلفة و نوب متفرقة؛ منها فى يوم الغدير، و آخرها فى

ص: ٤٧

مرضه صلى الله عليه و آله الأخير.

هذا فضلا عن تأكيده صلى الله عليه و آله المستمر على الاقتداء بعترته أهل بيته، و الاهتداء بهديهم، و التحذير من مخالفتهم، و ذلك بجعلهم: تارة كسفن للنجاة، و أخرى أمانا للأمة، و ثالثة كباب حطّة.

و فى الواقع لم يكن الصحابة بحاجة إلى سؤال و استفسار من النبىّ صلى الله عليه و آله لتشخيص المراد بأهل البيت، و هم يرونه و قد خرج للمباهلة و ليس معه غير أصحاب الكساء و هو يقول: «اللهم هؤلاء أهلى» و هم من أكبر الناس معرفة بخصائص هذا الكلام، و إدراكا لما ينطوى عليه من قصر و اختصاص.

خصوصا و قد علموا كيف جذب صلى الله عليه و آله طرف الكساء من يد ام سلمة و منعها من الدخول مع أهل بيته قائلا لها «إنك إلى خير»^{١١٢}.

^{١٠٩} (١) شرح الزرقانى على المنظومة البيقونية لأبى الفتوح البيقونى: ٥٧ - ٥٩، القسم الأول (الحديث الصحيح)، و فيض السارى ١: ٥٧.

^{١١٠} (٢) راجع: حديث الثقلين / السيد على الحسينى الميلانى. (كتبه ردّا على بعض من تخرّص باطلا بشأن حديث الثقلين الشريف).

^{١١١} (٣) الثابت هو أن حديث الثقلين الشريف قد أكّده رسول الله صلى الله عليه و آله على أمته فى أكثر من مكان و زمان؛ فمرة فى حجة الوداع كما فى حديث جابر، و اخرى عند منصرفه من الطائف كما فى حديث عبد الرحمن بن عوف، و ثالثة فى الجحفة قرب غدير خم كما فى حديث زيد بن أرقم و غيره، و رابعة فى مرض موته صلى الله عليه و آله كما فى حديث ام سلمة و قد امتلأت الحجرة من أصحابه، و خامسة فى المسجد النبوى الشريف قبل وفاته صلى الله عليه و آله بيومين أو ثلاثة، و غيرها كما يتضح من مراجعة مصادر الحديث السابقة.

^{١١٢} (١) تفسير الطبرى ٢٢: ٥ - ٧، و الجامع لأحكام القرآن / القرطبى المالکى ١٤:

١٨٢، و تفسير ابن كثير ٣: ٤٩٢، و الدر المنثور / السيوطى ٣: ٦٠٣ - ٦٠٤، و فتح الغدير / الشوكانى ٤: ٢٧٩ كلهم فى تفسير آية التطهير، و انظر: سنن الترمذى ٥:

٦٩٩ / ٣٨٧١ و مستدرک الحاكم ٢: ٤٢٦.

و شاهدوه أيضا و هو يقف صلى الله عليه و آله على باب فاطمة عليها السلام صباح كل يوم و لمدة تسعة أشهر و هو يقرأ: **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**^{١١٣}.

ص: ٤٨

و كلّ هذا يكفي لمن شاهد ذلك أو سمع به من الصحابة لأن يعرف من هم أهل البيت عليهم السلام، و أما ما يقال بأن معرفة الصحابة بأهل البيت كانت مقتصرة على أصحاب الكساء عليهم السلام، في حين أشار الحديث إلى استمرار وجودهم مع القرآن ليكونا لمن تمسك بهما عاصمين من الضلالة إلى يوم القيامة، و هذا يبرر لهم السؤال عمّن سيأتي بعد أصحاب الكساء عليهم السلام من أهل البيت لكي تعرف الأمة أسماءهم و لا يشتبه أحد بهم.

و الجواب: إن حاجة الصحابة و الأجيال اللاحقة فيما بعد ليس أكثر من تشخيص أولّهم ليكون المرجع للقيام بمهمته بعد النبي صلى الله عليه و آله حتى يأخذ دوره في عصمة الأمة من الضلالة، و هو بدوره مسؤول عن تعيين من يليه في هذه المهمة، و هكذا حتى يرد آخر عاصم من الضلالة مع القرآن على النبي صلى الله عليه و آله الحوض.

و إذا علمت أنّ عليّاً عليه السلام قد تعيّن بنصوص لا تحصى، و منها: في حديث الثقلين نفسه، فليس من الضروري إذن أن يتولّى النبي صلى الله عليه و آله بنفسه تعيين من يلي أمر الأمة باسمه في كلّ عصر و جيل، إن لم نقل إنّ غير طبعي لو لا أن تقتضيه بعض الاعتبارات^{١١٥}.

فالمقياس إذن في معرفة إمام كلّ عصر و جيل: إمّا أن يكون بتعيينهم دفعة واحدة، أو بنصّ السابق على إمامة اللاحق و هو المقياس الطبيعي المألوف الذي دأبت عليه الأنبياء و الأوصياء عليهم السلام، و عرفته البشرية في سياساتها منذ أقدم العصور و إلى يوم الناس هذا.

ص: ٤٩

و مع هذا فإن الصحابة لم يكونوا على جهل تام بهوية من سيأتي بعد أصحاب الكساء عليهم السلام، إذ علموا مسبقا بعدد الأئمة بعد النبي صلى الله عليه و آله و هم اثنا عشر على لسان رسول الله صلى الله عليه و آله كما سيأتي في القاعدة الرابعة، و فيهم من علم أسماءهم عليهم السلام من رسول الله صلى الله عليه و آله مباشرة كجابر بن عبد الله الأنصاري^{١١٦}، و ابن عباس^{١١٧} و سلمان الفارسي رضي الله عنه^{١١٨}، هذا فضلا عن علم منهم بانحدار بقية أهل البيت من صلب الإمام الحسين عليه السلام، و إن

^{١١٣} (٢) سورة الأحزاب: ٣٣ / ٣٣.

^{١١٤} (٣) راجع: الأحاديث الواردة في وقوف النبي صلى الله عليه و آله على باب فاطمة عليها السلام و هو يقرأ آية التطهير في تفسير الطبري ٢٢: ٦.

^{١١٥} (١) راجع: الأصول العامة للفقهاء المقارن / السيّد محمد تقى الحكيم: ١٧٥.

^{١١٦} (١) أصول الكافي: ١ / ٥٣٢ / ٩ باب ١٢٦، و إكمال الدين: ١ / ٣١٣ / ٤ باب ٢٨، و ينابيع المودة: ٣ / ١٧٠ باب ٩٤.

^{١١٧} (٢) ينابيع المودة: ٣ / ١٦٢ باب ٩٤ و ٢: ٨٣ المودة العاشرة (في عدد الأئمة، و إنّ المهدي منهم عليهم السلام).

^{١١٨} (٣) أصول الكافي: ١ / ٥٢٥ / ١ باب ١٢٦.

عددهم لا يزيد و لا ينقص عن تسعة، و إن تاسعهم هو المهدي الموعود، و من جملة من علم ذلك، أبو سعيد الخدرى، و أبو أيوب الأنصارى، و على الهلالى، و غيرهم كثير^{١١٩}.

و إذا ما عدنا إلى واقع أهل البيت عليهم السّلام نجد النصّ قد توفّر على إمامتهم بكلّا طريقه: النصّ المستطيل الشامل، و تعيين السابق للاحق، و من سبر الواقع التاريخى لسلوكهم علم يقينا بأنّهم ادّعوا لأنفسهم

ص: ٥٠

الإمامة فى عرض السلطة الزمنية، و اتّخذوا من أنفسهم كما اتّخذهم الملايين من أتباعهم أئمة و قادة للمعارضة السلمية للحكم القائم فى زمانهم، مع إرشاد كلّ إمام أتباعه على من يقوم بأمر الإمامة من بعده، و على هذا جرت سيرتهم، فكانوا عرضة للمراقبة و السجون و الاستشهاد بالسّم تارة، و فى سوح الجهاد تارة أخرى و على أيدي القائمين بالحكم أنفسهم^{١٢٠}.

ثم لو فرض أنّ أحدهم لم يعبّ لأتباعه من يقوم بأمر الإمامة من بعده، مع فرض توقّف النصّ عليه، فإنّ معنى ذلك بقاء ذلك الإمام خالدا مع القرآن فى كلّ عصر و جيل؛ لأنّ دلالة «لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض» على استمرار وجود إمام من العترة فى كلّ عصر كاستمرار وجود القرآن الكريم ظاهرة واضحة، و لهذا ذهب ابن حجر إلى القول:

«و فى أحاديث الحثّ على التمسّك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهّل منهم للتمسّك به إلى يوم القيامة، كما أنّ الكتاب العزيز كذلك، و لهذا كانوا أمانا لأهل الأرض، و يشهد لذلك الخبر: «فى كلّ خلف من أمّتى عدول من أهل بيتى»^{١٢١}.

رابعاً- تأكيد الإمام الصادق عليه السّلام على حديث الثقلين:

لم يتولّ الإمام الصادق عليه السّلام مهمّة الدفاع عن حديث الثقلين بنسبته إلى

ص: ٥١

رسول الله صلّى الله عليه و آله فحسب، بل أكد على صلته المباشرة بالحديث باعتباره واحدا من أهل البيت، و اعتبره نصّا فى خلافتهم عليهم السّلام، كما بيّن صلة هذا الحديث بمعرفة المؤمنين و تمييزهم عن غيرهم، و أنّه أمر صريح بوجوب اقتداء الأئمة بالمعنيين به، و بيان من هم المعنيون بالحديث الشريف، كما سيأتى.

^{١١٩} (٤) انظر: البيان فى أخبار صاحب الزمان/ الكنجى الشافعى: ٥٠١-٥٠٢، و الفصول المهمة/ ابن الصباغ المالكى: ٢٩٥-٢٩٦ فصل ١٢٠، و ينابيع المودة/

القندوزى الحنفى ٣: ١٤٩ باب ٩٤، و فى كفاية الأثر للخزاز جمع غير من الصحابة الذين وعوا هذه الحقيقة و رووها لمن بعدهم.

^{١٢٠} (١) راجع: الأصول العامة للفقهاء المقارن: ١١٨.

^{١٢١} (٢) الصواعق المحرقة: ١٤٩.

١- عن عبد الحميد بن أبي الديلم، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل، ذكر فيه الإمام الصادق عليه السلام ما يدل على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مباشرة، من القرآن والسنة، وكان من جملة الأحاديث التي بينها عليه السلام في مقام بيان النص هو حديث الثقلين الشريف^{١٢٢}.

٢- وعن ذريح المحاربي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال «قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

(إني قد تركت فيكم الثقلين: كتاب الله، وأهل بيته). فنحن أهل بيته صلى الله عليه وآله»^{١٢٣}.

٣- وسأل أبو بصير الإمام الصادق عن أهل البيت عليهم السلام قائلا: «و من أهل بيته؟ قال عليه السلام: الأئمة الأوصياء».

ثم سأل قائلا: «من أمته صلى الله عليه وآله؟ قال عليه السلام: «المؤمنون الذين صدقوا بما جاء من عند الله، المتمسكون بالثقلين. اللذين أمروا بالتمسك بهما:

كتاب الله، وعترته أهل بيته، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم

ص: ٥٢

تطهيرا. وهم الخليفتان على الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله»^{١٢٤}.

٤- وعن مسعدة بن صدقة، قال: قال أبو عبد الله صلى الله عليه وآله: «إن الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن، وقطب جميع الكتب، عليها يستدير محكم القرآن، وبها نوهت الكتب، ويستبين الإيمان. وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقتدى بالقرآن وآل محمد، وذلك حيث قال صلى الله عليه وآله في آخر خطبة خطبها: إني تارك فيكم الثقلين: الثقل الأكبر، والثقل الأصغر. فأما الأكبر فكتاب ربّي، وأما الأصغر فعترتي أهل بيتي، فاحفظوني فيهما، فلن تضلوا ما تمسكن بهما»^{١٢٥}.

٥- وعن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل جاء فيه: «.. و من أراد الله تعالى به الخير، جعله من المصدقين المسلمين للأئمة الهادين بما منحهم الله تعالى من كرامته، و خصهم به من خيرته، و حباهم به من خلافته على جميع بريته دون غيرهم من خلقه؛ إذ جعل طاعتهم طاعته، يقول عزّ وجلّ: أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ

^{١٢٢} (١) أصول الكافي ١: ٢٩٣/٣ باب الإشارة والنص على أمير المؤمنين عليه السلام.

^{١٢٣} (٢) بصائر الدرجات ١: ٤١٤/٤ باب ١٧.

^{١٢٤} (١) روضة الواعظين/الفتال النيسابوري: ٢٩٤ مجلس من مناقب آل محمد صلى الله عليه وآله.

^{١٢٥} (٢) تفسير العياشي ١: ٩/٥ في فضل القرآن الكريم.

مِنْكُمْ^{١٢٦}، و قوله: مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ^{١٢٧}. فندب الرسول صَلَّى الله عليه وآله الخلق إلى الأئمة من ذريته، الذين أمرهم الله تعالى بطاعتهم، و دلّهم عليهم، و أرشدهم إليهم، بقوله عليه السلام: إني

ص: ٥٣

مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله، و عترتي أهل بيتي، حبل ممدود بينكم و بين الله ما إن تمسكتكم به لن تضلّوا»^{١٢٨}.

و من الواضح أنّ عناية إمامنا الصادق عليه السلام بحديث الثقلين، و بيان أغراضه، و تحديد المعنيين به، و هم الأئمة الاثنا عشر، و أنهم أوصياء الرسول صَلَّى الله عليه وآله و خلفاؤه، و أولهم أمير المؤمنين عليه السلام و آخرهم المهدي عليه السلام، و أنهم مطهرون، و طاعتهم مفروضة، و مرجعيتهم ثابتة، كل ذلك لم ينطلق من فراغ، و إنما جاء كرد فعل معاكس للتيارات الفكرية و المذهبية المختلفة التي أوجدها النظام السياسي المضاد، بغية تمكّنها من جرف الحقيقة و تعميّتها، و يكفي أنها - على صعيد حديث الثقلين - قد وسّعت دائرة (أهل البيت) لتشمل بنى العباس و غيرهم ممن ليس لهم في هذا الأمر نصيب.

و لهذا اضطر الإمام الصادق عليه السلام إلى تأكيد اختصاصهم بهذا الحديث الدالّ على عصمتهم و مرجعيتهم عليهم السلام بكلّ قوة.

خامسا - دلالة حديث الثقلين:

دلّ حديث الثقلين الشريف على أمور كثيرة، سنشير إلى أهمها بالنقاط الآتية:

١- إنّ دلّ على أن أهل البيت عليهم السلام أفضل الأمة بعد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله قاطبة؛ لأنهم قرنوا بالكتاب العزيز، فكان فضلهم على سائر الناس بعد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله كفضل القرآن الكريم على سائر الكتب.

ص: ٥٤

٢- إنّهم عليهم السلام أنفسهم شيء تركه رسول الله صَلَّى الله عليه وآله مع القرآن، كما يفهم من وصفهما بالثقلين، و الثقل في اللغة هو الشيء النفيس الخطير.

٣- دلّ الحديث على إمامتهم و خلافتهم و وجوب تسليم الحكم و إدارة شؤون الدولة إليهم بعد الرسول صَلَّى الله عليه وآله مباشرة؛ لأن وظيفة الحاكم الأعلى في الدولة الإسلامية في المنظور القرآني و النبوي أن يقود الرعية إلى شاطئ الأمان لا أن يضلّها و يحرفها عن دين الله و شرعه القويم أما بتقصير أو قصور، و يكاد لفظ الحديث أن يكون صريحا بهذا؛ لأن معنى نجاة

^{١٢٦} (٣) سورة النساء: ٥٩ / ٤.

^{١٢٧} (٤) سورة النساء: ٨٠ / ٤.

^{١٢٨} (١) كتاب الغيبة / النعماني ١: ٥٤ / ٣ باب ما جاء في الإمامة.

الرعية في الدولة الإسلامية أن لا تضل عن الطريق المستقيم، و قد حصر الحديث النجاة من الضلالة بالتمسك بالثقلين: كتاب الله و عترته أهل بيته صلى الله عليه و آله.

٤- دلّ أيضا على أن مقولة (حسبنا كتاب الله) مقولة شيطانية، لا يراد بها إلّا إضلال الأمة و هلاكها، لأن الحديث حصر النجاة بالتمسك بالثقلين (كتاب الله و العترة). و أين هذا من تلك المقولة؟

٥- دلّ على أن من تمسك بغيرهما يكون من الهالكين و لا بد، و من باب أولى أن يكون ذلك الغير (التمسك به) من الهالكين، لأنه سيكون من أئمة الضلال، و لا فرق في ذلك بين أن يكون خليفة أو حاكما أو قاضيا أو رئيسا أو أميرا أو سلطان؛ إذ خدع الناس بأخذ معالم دينهم منه، فتمسكوا به لا بالثقلين.

و قد صرح محمود شكرى الآلوسى بهذا، فقال عمن خالفهما و تمسك بغيرهما: «فهو ضالّ، و مذهبه باطل، و فاسد لا يعبأ به، و من جحد بهما فقد

ص: ٥٥

غوى، و وقع في مهاوى الردى»^{١٢٩}.

٦- دلّ على مرجعية أهل البيت عليهم السلام العلمية، و أنهم أعلم الناس بعد رسول الله صلى الله عليه و آله بما في الكتاب و السنة المطهرة، إذ لا يعقل مطلقا أن يكونوا أمانا للأمة من الضلالة في حال تمسكها بهم و هناك من هو أعلم منهم بالكتاب و السنة، و لو وجد فرضا لعدّه الرسول صلى الله عليه و آله بمكان أهل البيت عليهم السلام أو لجعله ثقلا ثالثا مع الكتاب العزيز و العترة الطاهرة، و أما أن يتركه - على تقدير وجوده - فهو محال. الأمر الذي يدلّ على عدمه، و يؤيّده أن الله عزّ و جلّ لم يذهب الرّجس عن أحد من الصحابة و يطهره تطهيرا و إنّما انحصر ذلك بأهل البيت عليهم السلام دون غيرهم.

٧- دلّ الحديث على وجوب الأخذ منهم مباشرة أو بالواسطة، و على محبتهم و توقيرهم، و طاعتهم المطلقة و عدم الرد عليهم في شيء البتة لأنهم عليهم السلام مع القرآن صنوان لا يفترقان، كل منهما يشهد للآخر، فيكون الراد عليهم كالجاحد بكتاب الله، و كالراد على الله تعالى و رسوله.

٨- دلّ الحديث على حجية سنتهم عليهم السلام، و ان سنة كل واحد منهم عليه السلام هي سنة رسول الله عليه السلام، و أن حديثهم حديث رسول الله صلى الله عليه و آله سواء رفع منهم إلى النبي صلى الله عليه و آله أو لم يرفع، و أن الحكم على حديثهم عليهم السلام بالإرسال لا يكون إلّا من جاهل بحديث الثقلين أو من معاند متعصب أو ناصب.

ص: ٥٦

٩- دلّ الحديث الشريف على عصمة أهل البيت عليهم السّلام من جهتين:

الاولى: أنهم عليهم السّلام مع القرآن و القرآن معهم لا يفترقان عمر الدنيا، فعصمتهم كعصمة الكتاب من هذه الجهة.

الثانية: أن من لا يدلّ على ضلالة أبدا ولو مرّة واحدة في حياته عن سهو أو اشتباه لا يكون إلّا معصوما، وقد صرح الحديث بأن من يتمسك بهما لا يضلّ أبدا إلى يوم القيامة.

جدير بالذكر أن الإمام الصادق عليه السّلام قد صرّح بعصمة الأنبياء والأوصياء عليهم السّلام جميعا فقال: «الأنبياء وأوصياؤهم لا ذنوب لهم؛ لأنهم معصومون مطهرون»^{١٣٠}.

و قال عليه السّلام: «عشر خصال في صفات الإمام» ثمّ عدّ عليه السّلام العصمة في أول تلك الخصال^{١٣١}.

و قد مرّ عنه عليه السّلام ما يشير إلى عصمتهم و مرجعيتهم عليهم السّلام بأسلوب المزوجة بين الآيات الدالة على العصمة كآية التطهير، و الطاعة كآية اولى الأمر من جهة، و بين حديث الثقلين من جهة اخرى، ليلتفت السامع و المتلقى إلى وحدة الموضوع و الهدف و النتيجة.

ص: ٥٧

القاعدة الثانية: قاعدة حصر الأئمة باثني عشر إماما كلّهم من عترة النّبي أهل بيته صلّى الله عليه و آله

و هذه القاعدة تكشف للعيان بأن الثقل الذي أوصى به الرسول صلّى الله عليه و آله مع القرآن ليكونا للمتمسك بهما عاصما من الضلالة، إنما هو الثقل المتمثّل بهذا العدد من الأئمة لا غير، و أنه ليس للأئمة أن تزيد عليهم إماما و لا تنقص منهم واحدا، و هذه القاعدة مستفادة من الحديث الصحيح الثابت عن رسول الله صلّى الله عليه و آله، فقد أخرج البخاري بسنده عن جابر بن سمرة قال:

«سمعت النّبيّ صلّى الله عليه [و آله] و سلم يقول: يكون اثنا عشر أميرا، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: كلّهم من قريش»^{١٣٢}.

و في صحيح مسلم: «و لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش»^{١٣٣}.

^{١٣٠} (١) الخصال / الشيخ الصدوق ٢: ٦٠٨ / ٩.

^{١٣١} (٢) الخصال ٢: ٤٢٨ / ٥.

^{١٣٢} (١) صحيح البخاري ٤: ١٦٤ كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، و أخرجه الصدوق، عن جابر بن سمرة أيضا في إكمال الدين ١: ٢٧٢ / ١٩، و الخصال ٢: ٤٦٩ و ٤٧٥.

^{١٣٣} (٢) صحيح مسلم ٢: ١١٩- كتاب الأمانة، باب الناس تبع لقريش، أخرجه من تسعة طرق.

و فى مسند أحمد بسنده، عن مسروق قال: «كنّا جلوسا عند عبد الله ابن مسعود و هو يقرأ القرآن، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن! هل سألتهم رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال

ص: ٥٨

عبد الله: ما سألتني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك، ثم قال: نعم، و لقد سألتنا رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلم، فقال: «اثني عشر كعدة نقيب بني إسرائيل»^{١٣٤}.

و قد جاء فى الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنه قال: «سألت رسول الله صلى الله عليه و آله حين حضرته وفاته، فقلت: يا رسول الله! إذا كان ما نعوذ بالله منه، فإلى من؟ فأشار صلى الله عليه و آله إلى على عليه السلام فقال: إلى هذا، فإنه مع الحق، و الحق معه، ثم يكون من بعده أحد عشر إماما، مفترضة طاعتهم كطاعته»^{١٣٥}.

و عن ابن عباس أيضا، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: «.. معاشر الناس من أراد أن يتولّى الله و رسوله فليقتد بعلى بن أبى طالب بعدى، و الأئمة من ذريتي، فإنهم خزّان علمى. فقام جابر بن عبد الله الأنصارى، فقال: يا رسول الله! و ما عدّة الأئمة؟ فقال صلى الله عليه و آله: يا جابر سألتنى - رحمك الله عن الإسلام باجمعه. عدّتهم عدّة الشهور، و هى عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات و الأرض، و عدّتهم عدّة العيون التى انفجرت لموسى بن عمران عليه السلام حين ضرب بعصاه الحجر فانفجرت

ص: ٥٩

منه اثنتا عشرة عينا، و عدّتهم عدّة نقيب بني إسرائيل **و بَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا**^{١٣٦} فالأئمة يا جابر اثنا عشر أولهم: على بن أبى طالب، و آخرهم: القائم المهدي صلوات الله عليهم»^{١٣٧}.

و قد جاء إمامنا الإمام الصادق عليه السلام ليؤكد هذه القاعدة بكل قوة:

١- فعن عبد العزيز القراطيسي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «الأئمة بعد نبينا صلى الله عليه و آله اثنا عشر نجباء مفهمون، من نقص منهم واحدا، أو زاد فيهم واحدا، خرج من دين الله، و لم يكن من ولايتنا على شيء»^{١٣٨}.

^{١٣٤} (١) مسند أحمد ٥: ٩٠ و ٩٣ و ٩٧ و ١٠٠ و ١٠٦ و ١٠٧، و أخرجه الصدوق، عن ابن مسعود فى إكمال الدين ١: ٢٧٠ / ١٦.

^{١٣٥} (٢) إعلام الورى ٢: ١٦٣ - ١٦٤ الركن الرابع. أخرجه عن الدورىسى، عن أبيه، عن الصدوق، عن ماجيلويه، عن عمه، عن البرقى، عن أبيه، عن خلف بن حماد، عن الأعمش، عن عباية بن ربعى، عن ابن عباس، و هؤلاء كلهم من مشاهير الرواة و لم يتهم أحدهم بكذب و كلهم ما بين ثقة مشهور، أو حسن معتمد.

^{١٣٦} (١) سورة المائدة: ١٢ / ٥.

^{١٣٧} (٢) مائة منقبة / ابن شاذان: ٧١ المنقبة رقم / ٤١.

^{١٣٨} (٣) الاختصاص / الشيخ المفيد: ٢٣٣.

٢- و فى الصحيح عن الحلبي، عن أبى عبد الله عليه السلام، عن آبائه، عن الحسن السبط عليهم السلام قال: «سألت جدى رسول الله صلى الله عليه وآله عن الأئمة بعده، فقال: الأئمة بعدى بعدد نساء بنى إسرائيل، اثنا عشر، أعطاهم الله علمى و فهمى، و أنت منهم يا حسن»^{١٣٩}.

٣- و عن إبراهيم بن مهزم، عن أبيه، عن الإمام الصادق، عن أبيه، عن آبائه، عن على عليهم السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الأئمة اثنا عشر من أهل بيتى أعطاهم الله فهمى و علمى و حكمى، و خلقهم من طينتى، فويل

ص: ٦٠

للمتكبرين عليهم بعدى، القاطعين فيهم صلتى .. الحديث»^{١٤٠}.

٤- و عن سماعة بن مهران قال: «كنت أنا، و أبو بصير، و محمد بن عمران- مولى أبى جعفر عليه السلام- فى منزل بمكة، فقال محمد بن عمران: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: نحن اثنا عشر مهديا. فقال له أبو بصير: تالله، لقد سمعت ذلك من أبى عبد الله عليه السلام؟ فحلف مرة أو مرتين أنه سمع ذلك منه، فقال أبو بصير: لكننى سمعته من أبى جعفر عليه السلام»^{١٤١}.

و يستفاد من مجمل هذه الأحاديث أمور، و هى:

الأول: إنَّ عدد الخلفاء أو الأمراء أو الأئمة لا يتجاوز الاثنى عشر و كلهم من قریش بلا خلاف بين الفريقين. و هذا العدد منطبق مع ما تعتقده الشيعة الإمامية بعدد الأئمة، و هم كلهم من قریش.

و أما التعبير ب (الأمراء أو الخلفاء) فهو و إن لم ينطبق فى الظاهر على مقولة الإمامية إلّا أنَّ المقصود بذلك ليس الإمرة القسرية أو الاستخلاف بالقوة و إنما المراد بذلك هو من يستمدُّ سلطته من الشارع المقدس، و لا ينافى ذهاب السلطة عن أهل البيت عليهم السلام فى واقعها الخارجى؛ لتسلط الآخرين عليهم. و فى كلام النوربشتى ما يشير إلى هذه الحقيقة، قال:

«السبيل فى هذا الحديث و ما يتعقبه فى هذا المعنى أنه يحمل على المقسطين

ص: ٦١

منهم، فإنهم هم المستحقون لاسم الخليفة على الحقيقة ..»^{١٤٢}.

^{١٣٩} (٤) اثبات الرجعة / الفضل بن شاذان، كما فى اثبات الهداة / الحر العاملى ٣: ٩٣- ٩٤ / ٨٠٩ باب ٩ فصل / ٦٠.

^{١٤٠} (١) إكمال الدين ١: ٢٨١ / ٣٣ باب ٢٤، و عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٦٦ / ٣٢ باب النصوص على الرضا عليه السلام بالأئمة الاثنى عشر عليهم السلام.

^{١٤١} (٢) أصول الكافى ١: ٥٣٤- ٥٣٥ / ٢٠ باب ١٢٦، و إكمال الدين ٢: ٣٣٥ / ٦ و ذيل الحديث نفسه أيضا.

^{١٤٢} (١) عون المعبود فى شرح سنن أبى داود / النوربشتى ١١: ٢٦٢ / ٤٢٥٩.

الثاني: إن هؤلاء الاثنى عشر معنيون بالنص كما هو مقتضى تشبيههم بنقاء بنى إسرائيل، قال تعالى: **وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا**^{١٤٣}.

الثالث: إن هذه الأحاديث تفترض عدم خلو الزمان من الاثنى عشر جميعا، وأنه لا بد من وجود أحدهم ما بقى الدين إلى أن تقوم الساعة.

و يؤيده ما أخرجه البخارى بسنده، عن عبد الله بن عمر، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى منهم اثنان»^{١٤٤}.

و أخرجه مسلم فى صحيحه أيضا و بلفظ: «لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى فى الناس اثنان»^{١٤٥}.

و هو كما ترى ينطبق تمام الانطباق على ما تقوله الشيعة الإمامية بأن الإمام الثانى عشر (المهدى عليه السلام) حى كسائر الأحياء، وأنه لا بد من ظهوره فى آخر الزمان ليملا الأرض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا على وفق ما بشر به جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله و آباؤه الأئمة عليهم السلام.

ص: ٤٢

و من الواضح أن جميع علماء العامة لم يتفقوا على تسمية الاثنى عشر خليفة كما نطقت بذلك أحاديثهم! حتى أن بعضهم اضطرّ إلى إدخال يزيد بن معاوية لعنه الله و أمثاله من حثالات التاريخ كمروان و عبد الملك و نظرائهم من العتاة المردة وصولا إلى عمر بن عبد العزيز!! كل ذلك لأجل اكتمال نصاب الاثنى عشر!!

و هذا تفسير خاطىء سقيم لا يسمن و لا يغنى من جوع و غير منسجم مع نص الحديث من كل وجه؛ إذ يلزم منه خلو جميع عصور الإسلام بعد عصر عمر بن عبد العزيز الأموى من الخليفة، بينما المفروض أن الدين لا يزال قائما بوجودهم إلى قيام الساعة.

إنّ أحاديث الخلفاء اثنا عشر تبقى بلا تفسير لو تخلينا عن حملها على هذا المعنى، لبداية أن السلطة الظاهرية قد تولّاها من قريش أضعاف العدد المنصوص عليه فى هذه الأحاديث، فضلا عن انقراضهم أجمع، و عدم النص على أحد منهم - أمويين أو عباسيين - باتفاق جميع المسلمين.

و بهذا الصدد يقول القندوزى الحنفى: «قال بعض المحققين: إنّ الأحاديث الدالة على كون الخلفاء بعده صلى الله عليه وآله اثنتى عشر، قد اشتهرت من طرق كثيرة، فبشرح الزمان و تعريف الكون و المكان علم أن مراد رسول الله صلى الله عليه وآله و آله من حديثه هذا: «الأئمة اثنا عشر»، من أهل بيته و عترته، إذ لا يمكن أن يحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه لقلّتهم

^{١٤٣} (٢) سورة المائدة: ١٢ / ٥.

^{١٤٤} (٣) صحيح البخارى: ح (٣٥٠١) كتاب المناقب، باب مناقب قريش.

^{١٤٥} (٤) صحيح مسلم: ح (١٨٢٠) كتاب الإمامة، باب الناس تبع لقريش، و الخلافة فى قريش.

عن اثني عشر، و لا يمكن أن نحمله على الملوك الاموية لزيادتهم على اثني عشر، و لظلمهم الفاحش إلا عمر بن عبد العزيز، و لكونهم غير

ص: ٦٣

بنى هاشم؛ لأنّ النبيّ صَلَّى الله عليه و آله قال: «كلّهم من بنى هاشم» في رواية عبد الملك، عن جابر، و إخفاء صوته صَلَّى الله عليه و آله في هذا القول يرجّح هذه الرواية: لأنّهم لا يحسنون خلافة بنى هاشم. و لا يمكن أن يحمل على الملوك العباسية؛ لزيادتهم على العدد المذكور، و لقلة رعايتهم ... و يؤيد هذا المعنى - أى: أن مراد النبيّ صَلَّى الله عليه و آله: الأئمة الاثنا عشر من أهل بيته - و يرجّحه حديث الثقلين»^{١٤٦}.

و لا يخفى أنّ حديث: «الخلفاء اثنا عشر» قد سبق التسلسل التاريخي للأئمة الاثني عشر، و ضبط في كتب الصحاح و غيرها قبل تكامل الواقع الإمامي، فهو ليس انعكاسا لواقع، و إنّما هو تعبير عن حقيقة ربّانية نطق بها من لا ينطق عن الهوى، فقال صَلَّى الله عليه و آله: «الخلفاء بعدى اثنا عشر» ليكون ذلك شاهدا و مصدقا لهذا الواقع المبتدئ بأمر المؤمنين على، و المنتهى بالإمام المهدي عليهم السّلام، و هو التطبيق الوحيد المعقول لذلك الحديث^{١٤٧}.

فالصحيح إذن أن يعتبر الحديث من دلائل النبوة في صدقها عن الإخبار بالمغيّبات، أمّا محاولات تطبيقه على من عرفوا بنفاقهم و جرائمهم و سفكهم للدماء من الامويين و العباسيين و غيرهم فهو يخالف الحديث مفهوما و منطوقا على الرغم ممّا في ذلك من إساءة بالغة إلى مقام النبيّ صَلَّى الله عليه و آله إذ يعنى ذلك أنّه أخبر ببقاء الدين إلى زمان عمر بن عبد العزيز مثلا، لا

ص: ٦٤

إلى أن تقوم الساعة!!

و قد علمت أنّ الإمام الصادق عليه السّلام قد قطع الطريق أمام كلّ التفسيرات المنحرفة لحديث: «الخلفاء اثني عشر ..» مبينا المراد بمصاديق هذا الحديث واقعا كما تقدّم.

القاعدة الثالثة: قاعدة التسلسل العمودي للإمامة بعد الإمام الحسين عليه السّلام:

تهدف هذه القاعدة إلى الإطاحة بجميع الدعاوى الباطلة التي زعمتها بعض الفرق المندرسة التي أتت عليها حملة التنقيف الواسعة التي قادها الإمام الصادق عليه السّلام و جعلتها هشيما تذروه الرياح، إذ نسفت تلك القاعدة ما زعمه الكيسانية من إمامة محمد بن الحنفية رضى الله عنه، كما نسفت مزاعم الفطحية بإمامة عبد الله الأقطع، و بددت طموح من قال بإمامة السيد محمد بن الإمام

^{١٤٦} (١) يناير المودة ٣: ١٠٥ باب ٧٧ في تحقيق حديث «بعدى اثنا عشر خليفة».

^{١٤٧} (٢) بحث حول المهدي / السيد الشهيد محمد باقر الصدر: ٥٤ - ٥٥.

الهادى عليه السّلام، و كذلك من قال بإمامة جعفر الكذاب، و زيادة على ذلك فإنها حصرت الإمامة بذرية الحسين عليه السّلام كما سنرى.

و عليه لا بدّ و أن يكتمل عدد الأئمة الاثنى عشر، خصوصا و إن هذه القاعدة الشريفة قد عرفت قبل اكتمال التسلسل التاريخى للأئمة عليهم السّلام كما عرف حديث الخلفاء أو الأئمة اثنا عشر كلّهم من قریش قبل اكتمال التسلسل التاريخى للأئمة أيضا. و من هنا ركّز الإمام الصادق عليه السّلام على هذه القاعدة، و ممّا يؤيد ذلك على لسانه الشريف أحاديث شتى نكتفى ببعضها، و هى:

١- فى الصحيح عن الحسين بن ثوير بن أبى فاختة، عن أبى

ص: ٦٥

عبد الله عليه السّلام قال: «لا تعود الإمامة فى أخوين بعد الحسن و الحسين أبدا إنما جرت من على بن الحسين كما قال الله تبارك و تعالى و أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله^{١٤٨}، فلا تكون بعد على بن الحسين عليه السّلام إلّا فى الأعقاب و أعقاب الأعقاب»^{١٤٩}.

٢- و فى الصحيح عن حماد بن عيسى، عن أبى عبد الله عليه السّلام أنّه قال:

«لا تجتمع الإمامة فى أخوين بعد الحسن و الحسين عليهما السّلام إنّما هى فى الأعقاب و أعقاب الأعقاب»^{١٥٠}.

٣- و فى الصحيح عن عيسى بن عبد الله بن عمر بن على بن أبى طالب عليه السّلام، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: «قلت له: إن كان كون- و لا أرانى الله- فبمن أئتم؟ فأوماً إلى ابنه موسى، قال، قلت: فإن حدث بموسى حدث فبمن أئتم؟ قال: بولده، قلت: فإن حدث بولده حدث و ترك أخا كبيرا، و ابنا صغيرا، فبمن أئتم؟ قال: بولده ثم واحدا فواحدا»^{١٥١}.

و من روائع ترسيخ هذه القاعدة فى نفوس الشيعة ما ورد فى الصحيح عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن أبى الحسن الرضا عليه السّلام أنّه سئل:

«أتكون الإمامة فى عم أو خال؟ قال: لا، فقلت: ففى أخ؟ قال: لا، قلت:

^{١٤٨} (١) سورة الأنفال: ٨ / ٧٥.

^{١٤٩} (٢) أصول الكافى ١: ٢٨٥ / ١ باب ثبات الإمامة فى الأعقاب.

^{١٥٠} (٣) أصول الكافى ١: ٢٨٦ / ٤ من الباب السابق.

^{١٥١} (٤) أصول الكافى ١: ٢٨٦ / ٥ من الباب السابق.

ففى من؟ قال: فى ولدى. قال محمد بن إسماعيل بن بزيع: و هو - يومئذ - لا

ص: ٦٦

ولد له «١٥٢».

القاعدة الرابعة: عدم خلو الأرض من إمام من الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام مطلقا:

و هذه القاعدة الشريفة تعد فى طليعة القواعد التى أرسنها الشريعة الإسلامية، و قد جاء تأكيد الإمام الصادق عليه السلام على هذه القاعدة باعتبار أن فهم الأمة لحديث الثقلين و دلالاته و معرفتها بالاثنى عشر إماما من أهل البيت الذين هم خلفاء النبى صلى الله عليه و آله، مع التسلسل العمودى للأئمة بعد الحسين عليه السلام بموجب القاعدة الثالثة، يعنى - مع هذه القاعدة - بأنّ زماننا هذا إلى ما شاء الله تعالى لا بدّ و أن يكون فيه إمام من الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام حيّا كسائر الأحياء، و الثابت لدى جميع الأمة هو مضى أحد عشر إماما من الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام و هم:

١- أمير المؤمنين الإمام على عليه السلام استشهد بالكوفة سنة ٤٠ هـ عن (ثلاث و ستين سنة).

٢- الإمام الحسن السبط عليه السلام استشهد مسموما فى المدينة سنة ٥٠ هـ عن ٤٨ سنة.

٣- الإمام الحسين السبط عليه السلام استشهد فى كربلاء سنة ٦٠ هـ عن ٥٧ سنة و خمسة أشهر.

٤- الإمام على بن الحسين السجاد عليه السلام استشهد مسموما فى المدينة سنة ٩٥ هـ

ص: ٦٧

عن ٥٧ سنة (سمّه هشام الأموى).

٥- الإمام محمد بن على الباقر عليه السلام استشهد مسموما فى المدينة سنة ١١٤ هـ عن ٥٧ سنة (سمّه هشام الأموى).

٦- الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام استشهد مسموما بالمدينة سنة ١٤٨ هـ عن ٦٥ سنة (سمّه المنصور العباسى بالعنب).

٧- الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام استشهد مسموما ببغداد سنة ١٨٣ هـ فى حبس هارون عن ٥٥ سنة (سمه هارون).

٨- الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام استشهد مسموما بخراسان سنة ٢٠٣ هـ عن ٥٥ سنة (سمه المأمون بالعنب).

٩- الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام استشهد مسموما ببغداد سنة ٢٢٠ هـ عن ٣٥ سنة (سمه المعتصم).

١٠- الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام استشهد مسموما بسامراء سنة ٢٥٤ هـ عن ٤١ سنة (سمه المعتز).

١١- الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام استشهد مسموما بسامراء سنة ٢٦٠ هـ عن ٢٨ سنة (سمه المعتمد).

و قاعدة عدم خلو الأرض من إمام حجة إما ظاهرا مشهورا أو غائبا مستورا قد عرفتها الشيعة منذ عهد أمير المؤمنين عليه السلام، و لعله عليه السلام هو أول من أشاعها في حديثه عليه السلام لكميل بن زياد النخعي الثقة، ذلك الحديث الذي وصفه ابن القيم بقوله: «و هو حديث مشهور عند أهل الفن و يستغنى عن

ص: ٤٨

الاسناد لشهرته عندهم»^{١٥٣} و هذا الحديث رواه عن أمير المؤمنين عليه السلام كميل ابن زياد النخعي الثقة كما في نهج البلاغة^{١٥٤} و قد رواه عنه الجهم الغفير من المحدثين^{١٥٥}.

و في الكافي وحده ثلاثة عشر حديثا في خصوص هذه القاعدة^{١٥٦}.

و في إكمال الدين للشيخ الصدوق خمسة و ستين حديثا في خصوص هذه القاعدة أيضا^{١٥٧}.

فأصالة هذه القاعدة و عمقها التاريخي في الفكر الديني مما لا نقاش فيه أصلا.

و اللسان العربي الأصيل ذو ذائقة خاصة في تذوق معنى هذه القواعد الشريفة و فهم دلالتها، و لهذا فهو لا يعذر على سوء فهمه لدلالاتها، بخلاف من لم يتأدّب بآدابها و يتمرّس على فنونها و لم يعم الله بصيرته، و لم يطبع على قلبه.

و يبقى السؤال هنا بعد أن عرفت مضي أحد عشر إماما، هو: أين الإمام الثاني عشر عليه السلام؟ و من عساه سيكون غير ابن الإمام الحادي عشر

ص: ٤٩

الحسن العسكري عليه السلام الذي راح شهيدا على يد عتاة بني العباس؟

^{١٥٣} (١) اعلام الموقعين/ ابن القيم ٢: ١٣٥ تحت عنوان: «مضار زلة العلم».

^{١٥٤} (٢) نهج البلاغة بشرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣٥١، و بشرح الشيخ محمد عبده ٤: ٤٧٩/٤٧.

^{١٥٥} (٣) راجع تخريجه في كتابنا (دفاع عن الكافي) ١: ٤٧٩ - ٤٨٠.

^{١٥٦} (٤) اصول الكافي ١: ١٣٦ - ١٣٧ / ١ - ١٣ باب أن الأرض لا تخلو من حجة.

^{١٥٧} (٥) إكمال الدين ١: ٢١١ - ٢٤١ / ١ - ٦٥ باب أن الأرض لا تخلو من حجة.

إن القواعد التي عرفتها طلائع التشيع قبل ولادة الإمام العسكري عليه السّلام بعشرات السنين تأبى من قبول أى تسويق أو تأويل متعسف حيال هوية ابنه الإمام الثانى عشر عليه السّلام.

نعم، قد يقال، بأن هذا من الناحية النظرية مقبول إلى حد ما، و لكن يجب تحقّقه فى مساحة الواقع التاريخى بولادة الحجة ابن العسكري عليه السّلام، حتى تكون النظرية قابلة للتطبيق!

و للإجابة على هذا التساؤل نحتاج إلى بسط عريض يبعدنا عن أصل الموضوع، و مع هذا فلن نهمله دون الإشارة السريعة إلى ما يثبت ولادة الإمام المهدي عليه السّلام، فنقول باختصار شديد:

بلغ مجموع من اعترف بولادة الإمام المهدي عليه السّلام من علماء العامة فقط و بحسب ما قمنا به من إحصاء سابق مائة و ثمانية و عشرين عالما، و قد ذكرنا فى ذيل كل اسم ما يدل على اعترافه بكل دقة و تفصيل. و هم لم يعترفوا بولادة ابن الحسن العسكري عليه السّلام بناء على تلك القواعد، و إنّما اعترفوا بذلك على أساس متين من الواقع التاريخى لحدث الولادة المباركة.

و أما مجموع من رأى الإمام المهدي عليه السّلام فى حياة أبيه الإمام العسكري عليه السّلام فقد بلغ بأحصائنا تسعة و سبعين نفرا، و ذكرنا من وكلائه عليه السّلام من أهل آذربيجان، و الأهواز، و بغداد و الكوفة، و قم، و نيسابور، و همدان زهاء ثلاثة عشر شخصا^{١٥٨}، هذا فضلا عما خرج من

ص: ٧٠

توقعات عن الإمام المهدي عليه السّلام فى زمان السفراء الأربعة، مجموع الصحيح الثابت منها على نحو القطع يوجب تواتر ولادته و حياته الشريفة، و أما الأحاديث الصحيحة المثبتة لإقرار الإمام العسكري عليه السّلام بولادة ابنه الإمام المهدي عليه السّلام، و شهادة الأصحاب بذلك، فضلا عن الخدم و الجوارى فتحتاج إلى كتاب مستقل، كما أثبتنا فى بحث آخر اتفاق ثمانية من علماء الأنساب على ولادة الإمام المهدي عليه السّلام و تثبتت نسبه الشريف، و فيهم المعاصر للغيبة الصغرى^{١٥٩}.

الأمر الذى يشير إلى انطباق تلك القواعد الشريفة على الواقع التاريخى بأبهى صورة و أقوى دليل و أمّتن برهان.

ثم كيف لا تجد تلك القواعد مصداقها الخارجى و هى صادرة عن رسول الله صلى الله عليه و آله، و مؤكدة على لسان العروة الوثقى فى الدين الهداة الميامين من آل طه و ياسين؟

إنّ الذين أطاعوا الله و رسوله فى آل محمد صلى الله عليه و آله ما كان التصديق بانباء الغيب عندهم موقوفا على تحقّقها، و لهذا فهم آمنوا بها و رووها و كانوا على ثقة من تحقّقها و لو بعد حين الم* ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ* الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

^{١٥٨} (١) راجع كتابنا دفاع عن الكافى ١: ١٦٧-١٦١ من الباب الأول.

^{١٥٩} (١) راجع كتابنا المهدي المنتظر فى الفكر الإسلامى: ١١٩-١٢٣.

بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ^{١٦٠}، ولهذا لم يناقشوا في تلك الأخبار ولا وقفوا حيالها موقف الرافض المشكك، بل كانوا يعدون العدة لانتظار ذلك اليوم الموعد،

ص: ٧١

و يتحرقون شوقاً إلى ساعة الخلاص على يد المنتظر أرواحنا فداء، و بقيت أجيالهم هكذا إلى حين ولادته عليه السلام و غيبته، و لا زال خلفهم الصالح على ذات الطريق، و قد كان من ثواب انتظارهم ما أخرجوه عن الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «من مات منكم و هو منتظر لهذا الأمر كان كمن هو مع القائم في فسطاطه، لا بل كمن قارع معه بسيفه .. لا و الله إلا كمن استشهد مع رسول الله صلى الله عليه و آله»^{١٦١}.

هذا، و أما عن دور الإمام الصادق عليه السلام في ترسيخ هذه القاعدة، فيمكن الإشارة إليه بالأحاديث الآتية:

١- عن الوشاء، عن الإمام الرضا عليه السلام قال: «إن أبا عبد الله عليه السلام، قال:

إن الحجة لا تقوم لله عزّ و جلّ على خلقه إلا بإمام حتى يعرف»^{١٦٢}.

و قد عرفت أن الأرض لا تخلو من حجة، و في هذا الحديث حصر للحجة بالإمام، لتلا يتوهم أحد فيزعم أنه فلان أو فلان أو فلان أو معاوية بن أبي سفيان!

٢- و عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله جلّ و عزّ، أجلّ و أعظم من أن يترك الأرض بغير إمام»^{١٦٣}.

ص: ٧٢

٣- و عن عبد الله بن خراش، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سأله رجل، فقال: تخلو الأرض ساعة لا يكون فيها إمام؟ فقال: لا تخلو الأرض من الحق»^{١٦٤}.

^{١٦٠} (٢) سورة البقرة: ٢ / ١ - ٣.

^{١٦١} (١) المحاسن: ١٥٠ / ١٥١ باب ٣٨ و في الباب أحاديث كثيرة بهذا اللفظ تارة، و بمعناه أخرى.

^{١٦٢} (٢) أصول الكافي: ١ / ١٧٧ و ٢ و ٣ باب أن الحجة لا تقوم لله على خلقه إلا بإمام.

^{١٦٣} (٣) بصائر الدرجات: ٣ / ٤٨٥ باب أن الأرض لا تخلو من حجة، و أصول الكافي: ١ / ١٧٨ و ٦ باب أن الأرض لا تخلو من حجة، و إكمال الدين: ١ / ٢٣٤ / ٤٣

باب ٢٢.

^{١٦٤} (١) إكمال الدين: ١ / ٢٣٣ / ٤٠ باب ٢٢.

٤- و عن أبي حمزة الثمالي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: تبقى الأرض بغير إمام؟ فقال عليه السلام: «لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت»^{١٦٥}.

٥- و عن يونس بن يعقوب، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لو لم يكن في الدنيا إلّا اثنان لكان الإمام أحدهما»^{١٦٦}.
و روى حمزة بن الطيار، عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام نحوه^{١٦٧}.

ص: ٧٣

٦- و عن ذريح المحاربي، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: «منّا الإمام المفروض طاعته، من جحدته مات يهوديا أو نصرانيا، والله ما ترك الله الأرض منذ قبض الله آدم إلّا وفيها إمام يهتدى به إلى الله، حجة على العباد، من تركه هلك، و من لزمه نجا، حقا على الله تعالى»^{١٦٨}.

و إلى هنا قد تبين لنا أنّ قاعدة العصمة و المرجعية السياسية العلمية قد حصرها حديث الثقلين الشريف بعد النبي صلى الله عليه و آله بالقرآن الكريم و أهل البيت عليهم السلام، و إن أهل البيت عليهم السلام قد حصرتهم القاعدة الثانية باثني عشر إماما: أمير المؤمنين عليه السلام و الحسن و الحسين و تسعة من ولد الحسين عليه السلام، و إن الإمامة لا تكون إلّا في عقب الإمام الحسين عليه السلام كما وضحته القاعدة الثالثة.

ثم جاءت القاعدة الرابعة لتبين لنا أنّ أولئك الأئمة الاثني عشر عليهم السلام لا تخلو الأرض من واحد منهم على الإطلاق؛ لأنهم حجج الله في بلاده على عباده منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه و آله و إلى قيام الساعة، و قد ثبت مضي أحد عشر إماما منهم عليهم السلام، و بقي الموعود المنتظر الثاني عشر ابن الإمام العسكري عليهما السلام.

و إن الأمة ملزمة بمعرفته باسمه و نسبه كما هو صريح القاعدة الخامسة

^{١٦٥} (٢) بصائر الدرجات: ٢ / ٤٨٨ باب أنّ الأرض لا تبقى بغير إمام، و اصول الكافي ١: ١٧٩ / ١٠ باب أنّ الأرض لا تخلو من حجة، و الإمامة و التبصرة: ٣٠ / ١٢ باب أنّ الأرض لا تخلو من حجة، و كتاب الغيبة / النعماني: ١٣٨ - ١٣٩ / ٨ باب ٨، و إكمال الدين ١: ٢٠١ / ١ باب العلة التي من أجلها يحتاج إلى الإمام عليه السلام، و علل الشرائع ١: ١٩٦ / ٥ باب ١٥٣، و ١ / ١٩٨ / ١٦ و ١٨ من الباب السابق، و كتاب الغيبة / الشيخ الطوسي: ٢٢٠ / ١٨٢.

^{١٦٦} (٣) بصائر الدرجات: ٢ / ٤٨٧ باب أنّ الأرض لا تخلو منهم عليهم السلام، و اصول الكافي ١: ١٨٠ / ٥ باب أنّه لو لم يبق في الأرض إلّا رجلان لكان أحدهما الحجة.

^{١٦٧} (٤) بصائر الدرجات: ٤٨٧ - ٤٨٨ / ٣ باب أنّ الأرض لا تخلو منهم عليهم السلام، و اصول الكافي ١: ١٨٠ / ٤ باب أنّه لو لم يبق في الأرض إلّا رجلان لكان أحدهما الحجة، و الإمامة و التبصرة: ٢٨ / ٩ باب أنّ الأرض لا تخلو من حجة، و مختصر بصائر الدرجات لسعد بن عبد الله القمي / الشيخ حسن بن سليمان الحلبي: ٨، و كتاب - الغيبة / النعماني: ١٣٩ / ١ باب ٩، و إكمال الدين ١: ٢٠٣ / ١٠ باب ٢١، و علل الشرائع ١: ١٩٧ / ١٠ باب ١٥٣.

^{١٦٨} (١) الإمامة و التبصرة: ٣١ / ١٥ باب أنّ الأرض لا تخلو من حجة، و رجال الكشي ٢: ٦٧٠ - ٦٧١ / ٦٩٨ في ترجمة ذريح المحاربي، و إكمال الدين ١: ٢٣٠ / ٢٨ باب ٢٢، و علل الشرائع ١: ١٩٧ / ١٣ باب ٥٣.

التي اشتهرت عن رسول الله صلى الله عليه وآله برواية الفريقين، كما صحّت روايتها عن أهل البيت عليهم السّلام، لا سيما الإمام الصادق عليه السّلام و من طرق شتى، وهى:

القاعدة الخامسة قاعدة وجوب معرفة إمام الزمان من أهل البيت عليهم السّلام:

و يدلّ على ترسيخ الإمام الصادق عليه السّلام لهذه القاعدة و التنقيف الواسع عليها أحاديثه الشريفة الكثيرة فى خصوص وجوب معرفة إمام الزمان، و سنكتفى فى حدود تأكيده على حديث: «من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»، كالاتى:

١- عن بشير الدهان، عن الإمام الصادق عليه السّلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (من مات و هو لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية) فعليكم بإطاعته، قد رأيتم أصحاب على عليه السّلام، و أنتم تأتمون بمن لا يعذر الناس بجهالته، و لنا كرائم القرآن، و نحن قوم افترض الله طاعتنا، و لنا الأنفال، و لنا صفو المال»^{١٦٩}.

٢- و عن معاوية بن وهب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية»^{١٧٠}.

و بهذا اللفظ، و ما قاربه ما رواه عيسى بن السرى^{١٧١} و الحسين بن

أبى العلاء^{١٧٢} و عبد الأعلى^{١٧٣} و أيوب بن الحر^{١٧٤} و أبو بكر الحضرمى^{١٧٥} و عبد الله ابن أبى يعفور^{١٧٦}؛ كلهم عن الإمام الصادق عليه السّلام.

^{١٦٩} (١) المحاسن ١: ٢٥١ - ٢٥٢ / ٤٧٤ باب من مات و لم يعرف إمام زمانه، و روضة الكافى ٨: ١٢٨ - ١٢٩ / ١٢٣.

^{١٧٠} (٢) كتاب الغيبة / النعمانى: ١٢٩ / ٦ باب ٧.

^{١٧١} (٣) اصول الكافى ٢: ١٩ - ٢١ / ٦، و ٢: ٢١ / ٩ باب من مات و ليس له إمام من - أئمة الهدى عليهم السّلام، و تفسير العياشى ١: ٢٥٢ - ٢٥٣ / ١٧٥ فى تفسير سورة النساء.

^{١٧٢} (١) المحاسن ١: ٢٥٢ / ٤٧٤ باب من مات لا يعرف إمامه.

^{١٧٣} (٢) اصول الكافى ١: ٣٧٨ - ٣٧٩ / ٢ باب ما يجب على الناس عند مضى الإمام عليه السّلام.

^{١٧٤} (٣) المحاسن ١: ٢٥٢ - ٢٥٣ / ٤٧٧ باب من مات لا يعرف إمامه.

^{١٧٥} (٤) الإمامة و التبصرة: ٨٢ - ٨٣ / ٧٩ باب من مات و ليس له إمام مات ميتة جاهلية.

^{١٧٦} (٥) اصول الكافى ١: ٣٧٦ / ٢ باب من مات و ليس له إمام من أئمة الهدى عليه السّلام.

٣- و عن الفضيل بن يسار قال: «ابتدأنا أبو عبد الله عليه السلام و قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات و ليس عليه إمام فميتته ميتة جاهلية، فقلت: قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: إي و الله، قد قال، قلت: فكل من مات و ليس له إمام فميتته ميتة جاهلية؟ قال: نعم»^{١٧٧}.

٤- و عن عمار بن إسحاق، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من مات و ليس له إمام مات ميتة جاهلية: كفر، و شرك، و ضلال»^{١٧٨}.

و في رواية أخرى عنه: «ميتة كفر و ضلال و نفاق»^{١٧٩}.

و للشيخ المفيد رضى الله عنه كلام مهم حول هذا الحديث، قال: «عن

ص: ٧٦

النبي صلى الله عليه وآله إنه قال: (من مات و هو لا يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية).

ثم قال: و هذا صريح بأن الجهل بالإمام يخرج صاحبه عن الإسلام»^{١٨٠}.

و قال قدس سره في الرسالة الأولى في الغيبة: «سأل سائل فقال: أخبروني عما روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (من مات و هو لا يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية). هل هو ثابت صحيح؟ أم هو معتل بغم؟

(فأجاب الشيخ المفيد قائلاً): بل هو خبر صحيح يشهد له إجماع أهل الآثار، و يقوى معناه صريح القرآن حيث يقول جل اسمه: **يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَ لَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا**^{١٨١}، و قوله تعالى: **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا**^{١٨٢}، و أى كثيرة من القرآن»^{١٨٣}.

و في الصحيح عن الإمام الصادق عليه السلام ما يوضح أهمية هذه القاعدة وصلتها بمقام أهل البيت عليهم السلام.

فقد روى ثقة الإسلام الكليني رضى الله عنه، عن على بن إبراهيم الفقيه المفسر

^{١٧٧} (٦) اصول الكافي ١: ٣٧٦ / باب من مات و ليس له إمام من أئمة الهدى عليه السلام.

^{١٧٨} (٧) الإمامة و التبصرة: ٨٣ / ٧١ باب من مات و ليس له إمام مات ميتة جاهلية، و مثله في إكمال الدين ٢: ٤١٢ / ١١ باب ٣٩.

^{١٧٩} (٨) اصول الكافي ١: ٣٧٦ / ٣ باب من مات و ليس له إمام من أئمة الهدى عليه السلام.

^{١٨٠} (١) الافصاح في الإمامة / الشيخ المفيد: ٢٨ - ٢٩.

^{١٨١} (٢) سورة الإسراء: ١٧ / ٧١.

^{١٨٢} (٣) سورة النساء: ٤ / ٤١.

^{١٨٣} (٤) الرسالة الأولى في الغيبة / الشيخ المفيد: ١١ - ١٢ مطبوعة ضمن الجزء السابع من سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد.

الثبت الثقة، عن محمد بن عيسى الفقيه الجليل ثبت الثقة، عن يونس ابن عبد الرحمن الفقيه العظيم الجليل ثبت الثقة، عن حماد بن عثمان ثبت الثقة، عن عيسى بن السري ثبت الثقة قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: حدثني عما بنى عليه دعائم الإسلام، إذا أنا أخذت بها زكى عملي و لم يضرنى جهل ما جهلت بعده، فقال عليه السلام: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله، والإقرار بما جاء به من عند الله، وحق في الأموال من الزكاة، والولاية التي أمر الله عز وجل بها، ولاية آل محمد صلى الله عليه وآله، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من مات و لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية. قال الله عز وجل: **أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ**^{١٨٤} فكان على عليه السلام، ثم صار من بعده حسن، ثم من بعده حسين، ثم من بعده علي ابن الحسين، ثم من بعده محمد بن علي، ثم هكذا يكون الأمر. إن الأرض لا تصلح إلا بإمام، و من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية، و أحوج ما يكون أحدكم إلى معرفته إذا بلغت نفسه هاهنا - قال: و أهوى بيده إلى صدره - يقول حينئذ: لقد كنت على أمر حسن»^{١٨٥}.

و قد روى هذه الرواية صفوان بن يحيى الثقة عن عيسى بن السري أيضاً^{١٨٦}، الأمر الذي يعزز من صدقها و يؤكد سماعها من الإمام الصادق عليه السلام

حقاً.

و نظير الرواية المذكورة في الصحة، ما أخرجه ثقة الإسلام الكليني بسند صحيح، عن بشير الكناسي، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

وصلتم و قطع الناس، و أحببتهم و أبغض الناس، و عرفتم و أنكر الناس و هو الحق، إن الله اتخذ محمداً صلى الله عليه وآله عبداً قبل أن يتخذ نبياً، و إن علياً عليه السلام كان عبداً ناصحاً لله عز و جل فنصحته، و أحب الله عز و جل فأحبه. إن حقنا في كتاب الله بين، لنا صفو المال، و لنا الانفال، و إننا قوم فرض الله عز و جل طاعتنا، و إنكم تأتمون بمن لا يعذر الناس بجهالته. و قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (من مات و ليس له إمام مات ميتة جاهلية)، عليكم بالطاعة ..»^{١٨٧}.

هذا، و أمّا من ادعى أن المراد بالإمام الذي من لا يعرفه سيموت ميتة جاهلية هو السلطان أو الحاكم أو الملك و نحو ذلك و إن كان فاسقاً ظالماً كما هو حال سلاطين بنى أمية و بنى العباس، أو طاغية مستبداً كما هو عليه واقعنا المعاصر، فعليه أن يثبت

^{١٨٤} (١) سورة النساء: ٥٩ / ٤.

^{١٨٥} (٢) أصول الكافي ٢: ٢١ / ٩ باب دعائم الإسلام.

^{١٨٦} (٣) رجال الكشي: ٧٩٩ / ٤٢٤ في ترجمة أبي اليسع عيسى بن السري.

^{١٨٧} (١) روضة الكافي ٨: ١٢٨ - ١٢٩ / ١٢٣.

بالدليل أن معرفة هذه النماذج القذرة من الدين أولاً، ثم يبين للعلاء الثمرة المترتبة على وجوب معرفة الظالم الفاسق الطاغية المستبد بحيث يكون من مات و لم يعرفه مات ميتة جاهلية.

و من عظيم ما يروى فيمن ادعى ذلك: الصحيح الوارد عن

ص: ٧٩

ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، و لا يذكهم، و لهم عذاب أليم: من ادعى إمامة من الله ليست له، و من جحد إماما من الله، و من زعم أن لهما في الإسلام نصيباً»^{١٨٨}.

إنّ دلالة ما مرّ على ضرورة معرفة الإمام الحق الذي أمر الله تعالى بطاعته، لا تتمّ في زماننا هذا إلّا مع القول بولادة الإمام المهدي الحجة ابن الحسن العسكري عليهما السلام و غيبته و اعتقاد ظهوره في آخر الزمان ليملأ الدنيا قسطاً و عدلاً بعد ما ملئت ظلماً و جوراً.

و لا يخفى أن المراد من هذه القاعدة ليس مجرد معرفة الإمام باسمه و نسبه مثلاً، و إنما المطلوب إلى جانب المعرفة تلك: طاعة الإمام، و عدم مخالفته بشيء، و الردّ إليه، و التسليم له.

و في الصحيح الثابت ما قاله إمامنا الصادق عليه السلام لزيد الشحام: «أتدري بما أمروا؟ أمروا بمعرفتنا، و الردّ إلينا، و التسليم لنا»^{١٨٩}.

و في الصحيح عن أبي بصير قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: رأيت الرادّ علىّ هذا الأمر كالرادّ عليكم؟ فقال عليه السلام: يا أبا محمد! من ردّ عليك هذا الأمر فهو كالرادّ على رسول الله صلى الله عليه و آله»^{١٩٠}.

ص: ٨٠

و كلّ هذا يعزّز ما ذكرناه سابقاً في حكم من أنكر الإمام المهدي ابن الإمام الحسن العسكري عليهما السلام.

ص: ٨١

الفصل الثالث تشخيص الإمام الصادق عليه السلام لهوية الغائب و كيفية الانتفاع به في غيبته

^{١٨٨} (١) أصول الكافي ١: ٣٧٣ / ٤ باب من ادعى الإمامة و ليس لها بأهل.

^{١٨٩} (٢) بصائر الدرجات: ٥٢٥ - ٥٢٦ / ٣٢ باب ٢٠ (من الجزء العاشر).

^{١٩٠} (٣) المحاسن: ١٨٥ / ١٩٤.

أولاً- منهج الإمام الصادق عليه السلام في تشخيص هوية الإمام الغائب عليه السلام:

يرجع الفضل في معرفتنا بذلك المنهج المحكم إلى محدثي الإمامية الذين عاشوا في الغيبة الصغرى (٢٦٠-٣٢٩ هـ) أو بعدها، كالبرقي (ت/ ٢٧٤ و قيل سنة / ٢٨٠ هـ)، و الصفار (ت/ ٢٩٠ هـ)، و ثقة الإسلام الكليني (ت/ ٣٢٩ هـ)، و الصدوق الأول (ت/ ٣٢٩ هـ)، و النعماني (ت/ بعد سنة ٣٤٢ هـ)، و الشيخ الصدوق (ت/ ٣٨١ هـ)، و الشيخ المفيد (ت/ ٤١٣ هـ)، و الشيخ الطوسي (ت/ ٤٦٠ هـ)، و غيرهم من أعلام الإمامية المتقدمين الذين استفرغوا الوسع في جمع الحديث الشريف و تحقيقه و تدوينه، باعتمادهم على مصنفات الشيعة في القرون الثلاثة الأولى، لا سيما الكتب المعروفة بالأصول الأربعمئة، و غيرها من المصنفات المعتمدة المؤلفة في عصور الأئمة التي شاع اعتمادها، حتى صار مرجعهم إليها و معولهم عليها، و أودعوا ما جمعوا منها في مؤلفاتهم المعروفة، مع حسن تبويبها

ص: ٨٢

و تصنيفها، الأمر الذي ساعد على استخراج المادة المطلوبة منها بيسر و سهولة، هذا فضلا عن الكتب الأخرى المصنفة في خصوص الإمام المهدي عليه السلام و غيبته. و لا شك بأن الرجوع إلى تلك الكتب- بصنفيها- سوف يكشف بالتأكيد عن غيبة الإمام المهدي عند جدّه الإمام الصادق عليهما السلام بكلّ وضوح، و لا يضرّ وجود الإجمال في بعضها مع وجود التفصيل، كما لا يقدح الإبهام في دلالاتها مع توفرّ البسط و التوضيح؛ إذ لم يقتصر إمامنا الصادق عليه السلام على إخبار شيعته بمجرد غيبة إمام من أهل البيت عليهم السلام حتى يمكن القول بعدم دلالة ما أخبر به على غياب شخص معيّن. و إنما أخبرهم كذلك بشخص من سيغيب، و حدّد رقمه من بين الأئمة الاثني عشر، و ذكر اسمه و كنيته، و سلّط الضوء على كامل هويّته، و ما يقوله المبطلون في ولادته، و طول أمد غيبته، و ما يجب على المؤمنين من انتظار فرجه، مع تبين واسع لعلامات ظهوره، و مكان الظهور، و عدد أنصاره، و مدّة حكمه بعد ظهوره، و قوّة دولته، و سعة العدل فيها، و الرخاء العميم في جناباتها، و سيطرة دين الإسلام في ظلالها على سائر الأديان كلّها في مشارق الأرض و مغاربها، بما لا يبقى مع تلك الأخبار أدنى مجال للقول بمهدي مجهول يخلقه الله تعالى في آخر الزمان.

و هكذا حكم الإمام الصادق عليه السلام من خلال ما وصلنا من أحاديثه الشريفة بزيّف دعاوى المهدوية السابقة على عصره، و المعاصرة له، و اللاحقة به، و بيّن كذبها جميعاً؛ كمهدوية محمد بن الحنفية (ت/ ٧٣ هـ، و قيل غيرها) و مهدوية عمر بن عبد العزيز الأموي (ت/ ١٠١ هـ)، و مهدوية محمد بن عبد الله بن الحسن الذي قتله المنصور الدوانيقي سنة /

ص: ٨٣

١٤٥ هـ، و مهدوية الملقّب زورا بالمهدي العباسي (ت/ ١٦٩ هـ).

و لم يكتف الإمام الصادق عليه السلام بهذا كلّ، و إنّما حاول تنبيه الشيعة إلى ما سيحصل بعده من قول الناووسية بمهدويّته عليه السلام، و قول الواقفية بمهدوية ابنه الإمام الكاظم بعد وفاته عليه السلام.

و من هنا نفى الإمام الصادق عليه السلام المهدوية عن نفسه، و عن ولده الإمام الكاظم عليه السلام بوضوح و صراحة تامين؛ لكي لا يغتر أحد بمقولة النאוوسية، و لا يعبأ بمقولة الواقفية، و لا يصغى لغيرهما كالفطحية و أمثالها، مما نتج عن ذلك التنبيه الواعى المدورس أن تبخرت تلك المزاعم الباطلة و ذهبت أدراج الرياح، و اضمحلت فرقتها الفاسدة بعد ظهورها على مسرح الأحداث، و زالت بأسرها عن صفحة الوجود كلمح فى البصر، و عاد مثلها كممثل الفقاعات التى تظهر على سطح الماء الساخن فجأة ثم سرعان ما تنفجر و تتلاشى، بحيث لا ترى لها رسما و لا ظللا، و هكذا كانت تلك الفرق! محا الله تعالى آثارها و دثر أخبارها، حتى صارت أثرا بعد عين، و ذهبت جفاء كالزبد الذى لا يمحث فى الأرض إلّا قليلا.

و فى مقام بيان منهج الإمام الصادق عليه السلام فى تشخيص هوية المهدي الموعود بظهوره فى آخر الزمان عليه السلام، نقف على اسلوبين فى هذا المنهج الشريف و هما:

الأسلوب الأول - اسلوب التمثيل و التشبيه لتقريب الهوية:

و خير ما يدل على هذا الأسلوب أحاديث الإمام الصادق عليه السلام التى بينت أوجه الشبه بين الإمام المهدي عليه السلام و بين بعض الأنبياء عليهم السلام، و من

ص: ٨٤

مراجعة ما حكاه القرآن الكريم فى قصصهم عليهم السلام، و ما بينته الأحاديث النبوية الشريفة فى هذا المجال؛ يعلم بأن هدف الإمام الصادق عليه السلام فى تبيان أوجه الشبه تلك إنما هو بهدف التوعية المطلوبة و ذلك على مستويين:

المستوى الأول: مستوى من لم يعاصر الإمام المهدي عليه السلام،

و يضم هذا المستوى جميع من ماتوا قبل ولادته عليه السلام من أصحاب الإمام الصادق و أصحاب ولده عليهم السلام وصولا إلى الإمام العسكرى عليه السلام؛ إذ بإمكان هذه الطبقة أن تستحضر هذا الأسلوب لكي تعرف قيمة ما يظهر بزمانها من دعاوى المهدوية، و يتأكد لها - حينئذ - بطلان تلك الدعاوى لعدم انطباق التشبيه و التمثيل الواردين فى الإمام المهدي عليه السلام عليها.

و ما قد يقال بأن هذه الطبقة من الأصحاب لا تحتاج فى الواقع إلى كل ذلك؛ إذ يكفيها معرفة إمام زمانها فحسب، و على أبعد تقدير معرفة من سيليه على أمر الإمامة، و أما معرفة هوية من سيأتى بعد ذلك من الأئمة عليهم السلام فهى غير مسؤولة عنها و لا ملزمة بها، و أما عن دعاوى المهدوية التى عاصرتها، فبإمكانها السؤال من إمام زمانها نفسه عن مدى مصداقيتها، و حينئذ ستنتفى حاجتها إلى هذا الاسلوب، خصوصا و إن فى أحاديث أهل البيت عليهم السلام ما يدل على ذلك. و يكفي فى هذا ما ذكره ثقة الإسلام الكلينى فى باب (إنه من عرف إمامه لم يضره تقدّم هذا الأمر أو تأخره)، حيث ضمّ سبعة أحاديث بهذا المعنى، و هذا نموذج منها:

١- عن زرارة، قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: اعرف إمامك، فإنك إذا

عرفت لم يضرّك، تقدّم هذا الأمر أو تأخّر»^{١٩١}.

٢- و عن إسماعيل بن محمّد الخزاعي، قال: «سأل أبو بصير أبا عبد الله عليه السّلام و أنا أسمع، فقال: ترانى أدرك القائم عليه السّلام؟ فقال: يا أبا بصير أأست تعرف إمامك؟ فقال: إى و الله و أنت هو، و تناول يده. فقال: و الله ما تبالى يا أبا بصير ألا تكون محتبياً بسيفك فى ظلال رواق القائم صلوات الله عليه»^{١٩٢}.

٣- و عن فضيل بن يسار، قال: «سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: من مات و ليس له إمام فميتته ميتة جاهلية، و من مات و هو عارف لإمامه لم يضرّه، تقدّم هذا الأمر أو تأخّر، و من مات و هو عارف لإمامه كان كمن هو مع القائم فى فسطاطه»^{١٩٣}.

و كلّ هذا يدلّ على انتفاء حاجة الأصحاب إلى التوعية المطلوبة على المستوى الأول فى تبيان أوجه الشبه بين المهدي الموعود عليه السّلام و بين الأنبياء السابقين عليهم السّلام.

فكيف تكون تلك التوعية إذن هدفاً من أهداف الإمام الصادق عليه السّلام مع انتفاء حاجة الأصحاب إليها؟

و الجواب باختصار .. هو أن أحاديث الاكتفاء بمعرفة إمام الزمان إنما

جاء التأكيد عليها فى مقابل استعجال بعض أصحاب الأئمة عليهم السّلام فى مسألة ظهور الفرج على يد الإمام المهدي عليه السّلام، إذ سبق إلى أذهانهم دوره الشريف فى انشاء دولة آل محمّد صلى الله عليه و آله، دولة الحق الشامل و ذلك من خلال ما بشّر به النّبي صلى الله عليه و آله و آلّه الأطهار عليهم السّلام، و المعروف أن انتظار الفرج فى ظلّ الاستبداد و العنف السياسى المقيت المتواصل، عادة ما يكون مدعاة للسّأم و الضجر، و قد ينتج عنه اليأس من الظهور، و الشكّ فى أصل القضية، و لهذا حاول الإمام الصادق عليه السّلام تنبيه هذه الشريحة على القاعدة القرآنية القائلة:

يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ^{١٩٤} و ذلك من خلال أحاديثه الشريفة المصرّحة بوجود معرفة إمام الزمان الحقّ، و إذا ما أضيف هذا إلى تنبيهه عليه السّلام على مسألة عدم التوقيت، مع ضرورة البقاء فى حالة تأهّب و انتظار مع بيان فضل الانتظار بأنّه من أنواع العبادة، علم أنّ الهدف من وراء ذلك إنما هو لأجل تثبيت القلوب و القضاء على عوامل اليأس التى قد تنشأ نتيجة الانتظار

^{١٩١} (١) أصول الكافى ١: ٣٧١ / ١ باب انه من عرف إمامه لم يضرّه، تقدم هذا الأمر أو تأخّر.

^{١٩٢} (٢) أصول الكافى ١: ٣٧١ / ٤، من الباب السابق.

^{١٩٣} (٣) أصول الكافى ١: ٣٧١ - ٣٧٢ / ٥، من الباب السابق.

^{١٩٤} (١) سورة الإسراء: ١٧ / ٧١.

الطويل، و هذا لا يعارض أية خطوة من خطوات كشف الطريق، كبيان مستقبل الأمة على يد الإمام المهدي، و تشخيص هويته عليه السلام بالتلميح تارة و بالتصريح تارة أخرى.

و أما عن حاجتهم إلى هذا على الرغم من معرفتهم إمام زمانهم، فهي حاجة كل إنسان إلى معرفة ما في المستقبل، إذ المطلوب أن لا يعيش الإنسان يومه فحسب، بل لا بدّ و أن تكون عنده نبوءات عن مستقبله، و إلّا كان فاشلاً، و لهذا نجد في عالمنا المعاصر مؤسسات علمية و ثقافية

ص: ٨٧

كثيرة تعنى بشؤون المستقبل، فضلا عن وجود مجالات علمية متخصصة بالدراسات المستقبلية.

و من هنا صار التنبؤ بالشئ قبل وقوعه من الأمور الاحترازية المهمة لكل مجتمع، و على هذا جرى أسلوب الإمام الصادق عليه السلام في خصوص مسألة الإمام المهدي عليه السلام، فأخبر عنه و فصل هويته الشريفة قبل ولادته بعشرات السنين.

كما لا يمكن اغفال دور هذا المستوى من التوعية في حمل الأمانة و نقلها إلى الأجيال اللاحقة، خصوصا أجيال الغيبة الكبرى لإمام العصر و الزمان عليه السلام التي لم تشاهد الإمام و لم تره، و لكنها آمنت به و استيقنت أنفسهم وجوده، و لو لا تلك الأخبار و غيرها لشكت حتى في أخبار ولادته عليه السلام، نظرا لما أحاطها من سرية و تكتّم كانا مقصودين من أبيه الإمام العسكري عليه السلام مباشرة إلّا للخاصة فالخاصة كوكلاء الإمام، و أعمدة التشيع يوم ذاك من الثقات الأجلّاء المعروفين، و من لا بدّ من اطلاعه كالخدم و الجوارى و نحوهم.

المستوى الثاني: [مستوى من عاش حدث الولادة المباركة للإمام المهدي عليه السلام]

مستوى من عاش حدث الولادة المباركة للإمام المهدي عليه السلام ورآه في زمان أبيه أو في زمان غيبته الصغرى أو سمع بذلك ممن علم بالحدث أو شاهد الإمام مباشرة، و هم جلّ الشيعة في ذلك الوقت.

و بإمكان هذه الطبقة أن تلاحظ قوّة انطباق تلك الأخبار على الواقع التاريخي بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام و حينئذ تزداد يقينا على يقين و لن

ص: ٨٨

تضعف من بصيرتها كثرة المهرجين و المشعوذين.

و يدلّ على هذا الأسلوب الشريف:

١- عن أبي بصير قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ في صاحب هذا الأمر سننا من الأنبياء عليهم السلام: سنّة من موسى بن عمران، و سنّة من عيسى، و سنّة من يوسف، و سنّة من محمد صلوات الله عليهم. فأما سنة من موسى بن عمران، فخائف

يترقّب، و أمّا سنّة من عيسى، فيقال فيه ما قيل في عيسى، و أمّا سنّة من يوسف، فالسّتر، يجعل الله بينه و بين الخلق حجاباً، يرونه و لا يعرفونه، و أمّا سنّة من محمّد صلى الله عليه و آله، فيهدى بهداه، و يسير بسيرته»^{١٩٥}.

٢- و عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السّلام، قال: «فى القائم عليه السّلام سنّة من موسى بن عمران عليه السّلام، فقلت: و ما سنّته من موسى بن عمران؟

قال عليه السّلام: خفاء مولده، و غيبته عن قومه ...»^{١٩٦}.

٣- و فى حديث آخر عنه عليه السّلام، إنّ فى المهدي الغائب عليه السّلام: «سنّة من أربعة أنبياء: سنّة من موسى خائف يترقّب، و سنّة من يوسف يعرفهم و هم له منكرون، و سنّة من عيسى و ما قتلوه و ما صلبوه، و سنّة من محمّد صلى الله عليه و آله يقوم بالسيف»^{١٩٧}.

٤- و فى حديث آخر عنه عليه السّلام، إنّ فيه: «سنّة من نوح و هو طول

ص: ٨٩

عمره، و ظهور دولته، و بسط يده فى هلاك أعدائه، يخرج بالسيف كما خرج رسول الله صلى الله عليه و آله، و سنّة من داود و هو حكمه بالإلهام»^{١٩٨}.

٥- و عن زيد الشحام، عن الإمام الصادق عليه السّلام فى حديث طويل جاء فيه: «إنّ صالحاً عليه السّلام غاب عن قومه زماناً - إلى أن قال عليه السّلام - و إنّما مثل القائم عليه السّلام مثل صالح»^{١٩٩}.

٦- و فى الصحيح عن سدير الصيرفى قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: إنّ فى صاحب هذا الأمر شبيهاً من يوسف عليه السّلام قال: فقلت له: كأنك تذكر حياته أو غيبته؟ قال: فقال لى عليه السّلام: و ما ينكر من ذلك هذه الأمة أشباه الخنازير؟ إنّ إخوة يوسف عليه السّلام كانوا أسباطاً أولاد الأنبياء، تاجروا بيوسف و بايعوه و خاطبوه، و هم إخوته و هو أخوهم، فلم يعرفوه حتى قال: أنا يوسف و هذا أخى. فما تنكر هذه الأمة الملعونة أن يفعل الله عزّ و جلّ بحجّته فى وقت من الأوقات كما فعل بيوسف؟ إنّ يوسف عليه السّلام كان إليه ملك مصر، و كان بينه و بين والده مسيرة ثمانية عشر يوماً، فلو أراد أن يعلمه لقدر على ذلك، لقد سار يعقوب عليه السّلام و ولده - عند البشارة - تسعة أيّام من بدوهم إلى مصر. فما تنكر هذه الأمة أن يفعل الله

^{١٩٥} (١) إكمال الدين ٢: ٣٥٠ - ٣٥١ / ٤٦ باب ٣٣.

^{١٩٦} (٢) إكمال الدين ١: ١٥٢ / ١٤ باب ٦.

^{١٩٧} (٣) دلائل الإمامة: ٢٥١.

^{١٩٨} (١) الخرائج و الجرائع ٢: ٩٣٦ باب ١٧.

^{١٩٩} (٢) إكمال الدين ١: ١٣٦ - ١٣٧ / ٦ باب ٣.

جلّ و عزّ بحجّته كما فعل يوسف، أن يمشى فى أسواقهم و يطأ بسطهم حتى يأذن الله فى ذلك له كما أذن ليوسف؟ قال: «أنتك لأنت يوسف؟ قال: أنا يوسف»^{٢٠٠}.

ص: ٩٠

و فيه إشارة واضحة إلى غيبة الإمام عليه السّلام، و ما فعله جعفر الكذاب - و هو عمّ الإمام المهدي عليه السّلام - شبيه بما فعله أولاد يعقوب عليه السّلام بأخيه يوسف!

و فى حديث سدير هذا ما يدلّ على شيوع مفهوم غيبة الإمام المهدي بين أصحاب الإمام الصادق عليه السّلام بفضل ما وصل إليهم من أحاديث آبائه الأطهار عليهم السّلام، فضلا عمّا قام به الإمام الصادق عليه السّلام من إيضاح كلّ ما يحيط بالإمام المهدي عليه السّلام تفصيلا، و خير ما يدلّ على سبق مفهوم الغيبة إلى علم الأصحاب، هو استفسار سدير الصيرفى - فى هذا الحديث - من الإمام الصادق عليه السّلام بقوله: كأنك تذكر حياته أو غيبته!

و يدلّ عليه أيضا ما رواه المفضل بن عمر، قال: كنت عند أبى عبد الله عليه السّلام و عنده فى البيت أناس، فظننت أنّه إنّما أراد بذلك غيرى، فقال:

«أما و الله! ليغيبنّ عنكم صاحب هذا الأمر ... الحديث»^{٢٠١}.

فقول المفضّل: (ظننت أنّه إنّما أراد بذلك غيرى) يدلّ بوضوح على علم المفضّل بالغيبة، لسماعه أخبارها قبل زمان صدور هذا الحديث.

٧- و عن عبد الرحمن بن الحجاج عن الإمام الصادق، عن آبائه عليهم السّلام، عن الإمام الحسين عليه السّلام قال: «فى التاسع من ولى سنة من يوسف، و سنة من موسى بن عمران عليهما السّلام، و هو قائمنا أهل البيت، يصلح الله تبارك و تعالى أمره فى ليلة واحدة»^{٢٠٢}.

ص: ٩١

٨- و عن أبى بصير، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: إنّ سنن الأنبياء عليهم السّلام بما وقع بهم فى الغيبات حادثة فى القائم منّا أهل البيت حذو النعل بالنعل و القذة بالقذة».

قال أبو بصير، فقلت: يا ابن رسول الله! و من القائم منكم أهل البيت؟

^{٢٠٠} (٣) أصول الكافى ١: ٣٣٦ - ٣٣٧ / ٤ باب فى الغيبة، و إكمال الدين ٢: ٣٤١ / ٢١ باب ٣٣.

^{٢٠١} (١) أصول الكافى ١: ٣٣٨ / ١١، باب فى الغيبة.

^{٢٠٢} (٢) إكمال الدين ١: ٣١٦ - ٣١٧ / ١ باب ٣٠.

فقال: «يا أبا بصير هو الخامس من ولد ابني موسى، ذلك ابن سيّدة الإماء، يغيب غيبة يرتاب فيها المبطلون، ثمّ يظهره الله عزّ وجلّ، فيفتح الله على يده مشارق الأرض و مغاربها، و ينزل روح الله عيسى بن مريم عليه السّلام فيصلى خلفه، و تشرق الأرض بنور ربّها، و لا تبقى فى الأرض بقعة عبد فيها غير الله عزّ وجلّ إلّا عبد الله فيها، و يكون الدين كلّ لله و لو كره المشركون»^{٢٠٣}.

الأسلوب الثّانى - أسلوب التصريح فى بيان الهوية:

لقد مرّت شذرات متفرقة تشير إلى هذا الأسلوب أيضا، و المراد به:

التصريح بالهوية بحسب ما يقتضيه مقام السائل و عقلية المستمع يومذاك، و ما يحيط بالإمام من ظروف يترك تقديرها للإمام نفسه عليه السّلام، فضلا عمّا تقتضيه المصلحة التى ينظرها الإمام، أو يتوخّاها من خلال هذا الأسلوب.

و لهذه الاعترافات المتعدّدة لم يجرّ التصريح بهوية الإمام المهدي عليه السّلام على نسق واحد، إذ تارة يكون بتحديد الهوية من طرفها البعيد، و تارة أخرى يقربّ التحديد، و ثالثة يشتدّ قربا و التصاقا بالهوية الشخصية للإمام

ص: ٩٢

الموعد عليه السّلام.

و بعبارة أخرى إن هناك جملة وافرة من أحاديث الإمام الصادق عليه السّلام الواردة فى مقام التصريح بالهوية، و مع هذا فلم ينفك عن بعضها الإجمال، بل انحصرت فى دائرته؛ إذ لم تشخّص غائبا بالتحديد و إن صرّحت بشيء من هويته. و مع هذا فإنّ الإجمال المذكور لا يضرّ حتى مع فرض عدم وجود التفصيل، لأنّه إجمال منحصر بعصور الأئمة قبل اكتمال تسلسلهم التاريخي، أو بعبارة أخرى: إنّ الإجمال المذكور قد اختزن فى داخله نوعا من التفصيل، و لكنّه لم يتّضح إلّا بعد حين، حتى عاد الإجمال نفسه فى غنى عمّا يوضّحه من خارجه. خصوصا إذا ما لوحظ الأسلوب الأول من التشخيص، و ضمّ إلى هذا الإجمال.

فتشبيه ظرف الغائب بظرف يوسف عليه السّلام، كما مرّ فى الأسلوب الأول و إن لم يشخّص لنا من هو الغائب بالتحديد، إلّا أنّه بيّن لنا بعد حين مراد الإمام بهذا التشبيه؛ إذ كما فعل إخوة يوسف بأخيهم، فعل جعفر الكذاب بابن أخيه العسكرى عليه السّلام، خصوصا مع تأكيد الإمام الصادق عليه السّلام على أنّ سنن الأنبياء حاصلة فى الغائب المنتظر حذو القذة بالقذة، و فيها الكثير ممّا يعيّن لنا الغائب بدقّة.

و هكذا الحال فى المكوّنات الأخرى للوحدة الموضوعية للغيبة، كذكر الغيبتين و نحو ذلك ممّا سيأتى فى الباب الثّانى، و إذا ما حصل الربط بين أجزاء تلك المكوّنات، من قبيل كون الغائب هو الثّانى عشر، و أنّه التاسع من ولد الحسين عليه السّلام، تبدّد الإجمال المذكور كلّيا؛ لوجود المصداق الواقعى الذى انطبقت عليه جميع تلك الأخبار، و لم يتخلّف عنها خبر واحد.

و مع هذا فلم يكتف إمامنا الصادق عليه السلام بحدود هذه الأمور، و إنما ذهب إلى أبعد من ذلك بكثير في تشخيص هويّة الإمام المهدي الغائب عليه السلام، متدرّجاً في بيانه انطلاقاً من كون الغائب المنتظر هو من ولد الحسين عليه السلام، مع نفى المهدوية عن نفسه الشريفة، و عن ولده الكاظم عليهما السلام؛ لتلا يدع مدع بانطباقها على غير المراد، مروراً بكون من سيغيب هو الثاني عشر من أهل البيت عليهم السلام و آخرهم، و أنّه السادس من ولده، و من ذريّة الإمام الكاظم عليه السلام، و تحديداً: أنّه الخامس من ولد السابع، و أنّه خفي الولادة، مع تسمية أمّه عليه السلام، و هكذا إلى أن يصل إلى القمّة في البيان، بذكر اسمه، و اسم أبيه، و كامل نسبه الشريف، كما سنرى و على النحو الآتي:

١- عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه و آله في حديث قدسى شريف جاء فيه: «... و منكم القائم يصلى عيسى بن مريم خلفه إذا أهبطه الله تعالى إلى الأرض، من ذريّة علي و فاطمة، من ولد الحسين»^{٢٠٤}.

٢- عن عبيد الله بن العلاء، عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث طويل عن أمير المؤمنين عليه السلام جاء فيه قوله للإمام الحسين عليه السلام: «ثم يقوم القائم المأمول و الإمام المجهول، له الشرف و الفضل، و هو من ولدك يا حسين ... طوبى لمن أدرك زمانه، و لحق أوانه، و شهد أيامه»^{٢٠٥}.

٣- و قال أبو بصير للإمام الصادق عليه السلام و قد دخل عليه: «... إننى أريد أن أّمس صدرك، فقال: افعل، قال: فمست صدره و مناكبه، فقال: و لم يا أبا محمّد؟ فقلت: جعلت فداك إننى سمعت أباك و هو يقول: إنّ القائم واسع الصدر، مسترسل المنكبين، عريض ما بينهما. فقال: يا أبا محمّد! إنّ أبى لبس درع رسول الله صلى الله عليه و آله و كانت تستخب على الأرض، و إننى لبستها فكانت و كانت، و إنّها تكون من القائم كما كانت من رسول الله صلى الله عليه و آله مشمّرة، كأنّه ترفع نطاقها، و ليس صاحب هذا الأمر من جاز الأربعين»^{٢٠٦}. يعنى نفسه الشريفة.

و فى هذا الحديث نفى صريح للمهدوية عن نفسه الشريفة، حيث توهّمت شزيمة قليلة بأنّه عليه السلام هو المهدي، و هو قول ينسب إلى الناووسية.

^{٢٠٤} (١) روضة الكافي ٨: ٤٩ / ١٠، و انظر: أمالى الشيخ الطوسي: ٢٨٧ - ٢٨٩ / ٤ مجلس رقم / ٣٩.

^{٢٠٥} (٢) كتاب الغيبة / النعماني: ٢٧٤ - ٢٧٦ / ٥٥ باب ١١.

^{٢٠٦} (١) بصائر الدرجات / الصفّار: ١٨٨ - ١٨٩ / ٥٦، و الخرائج و الجرائح / القطب الراوندى ٢: ٦٩١ باب ١٤.

و يؤيده أيضا ما أورده المتقى الهندي فى البرهان، قائلا: «و أخرج المحاملى فى أماليه، عن جعفر بن محمد بن على بن حسين [عليهم السّلام] قال: «يزعمون أنّى أنا المهدي! و إنّى إلى أجلى أدنى منّى إلى ما يدعون»^{٢٠٧}.

و ما رواه خلّاد الصفار، قال: سئل أبو عبد الله عليه السّلام: هل ولد القائم عليه السّلام؟

فقال: «لا و لو أدركته لخدمته أيّام حياتى»^{٢٠٨}.

ص: ٩٥

و فى هذا الحديث نفى صريح لمهدوية محمد بن الحنفية رضى الله عنه، و مهدوية عمر بن عبد العزيز الأموى، و مهدوية محمد بن عبد الله بن الحسن الحسنى، و مهدوية محمد بن عبد الله العباسى الملقّب كذبا على الله و رسوله بالمهدى!

و فيه أيضا ما يكشف عن عظمة و مقام الإمام المهدي عليه السّلام، بحيث تمنى إمام الخلق فى زمانه، و حجة الله البالغة على عباده أن يقوم بخدمته لو أدركه عليهما السّلام.

٤- و عن أبى حمزة الثمالى قال: «دخلت على أبى عبد الله عليه السّلام فقلت له:

أنت صاحب هذا الأمر؟ فقال: لا، فقلت: فولدك؟ فقال: لا، فقلت: فولد ولدك هو؟ فقال: لا، فقلت: فولد ولد ولدك؟ قال: لا، فقلت: فمن هو؟ قال:

الذى يملأها عدلا كما ملئت ظلما و جورا على فترة من الأئمة، كما أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله بعث على فترة من الرسل»^{٢٠٩}. و لو استرسل أبو حمزة رضى الله عنه فى سؤاله لحدّد الإمام الصادق عليه السّلام من هو المهدي بالضبط؛ نظرا لما سيأتى فى تشخيص الإمام الصادق عليه السّلام لاسم المهدي و حسبته بدقّة.

٥- و عن أبى بصير، عن الصادق عليه السّلام، قال: «سمعتة عليه السّلام يقول: منّا اثنا عشر مهديّا مضى ستّة و بقى ستّة، يصنع الله بالسادس ما أحبّ»^{٢١٠}.

٦- و قال السيد الحميرى بعد توبته و رجوعه إلى الحقّ إلى الإمام

ص: ٩٦

^{٢٠٧} (٢) البرهان فى علامات مهدي آخر الزمان / المتقى الهندي: ١٧٤ / ١٢ باب ١٢.

^{٢٠٨} (٣) كتاب الغيبة / النعمانى: ٢٤٥ / ٤٦ باب ١٣.

^{٢٠٩} (١) أصول الكافى ١: ٣٤١ / ٢١ باب فى الغيبة، و كتاب الغيبة / النعمانى: ١٨٦ - ١٨٧ / ٣٨ باب ١٠، و عقد الدرر / المقدسى: ٢١٠ - ٢١١ باب ٧.

^{٢١٠} (٢) إكمال الدين ٢: ٣٣٨ / ١٣ باب ٣٣.

الصادق عليه السلام: «يا بن رسول الله! قد روى لنا أخبار عن آبائك عليهم السلام في الغيبة و صحة كونها، فاخبرني بمن تقع؟

فقال عليه السلام: إن الغيبة ستقع بالسادس من ولدي، وهو الثاني عشر من الأئمة الهداة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وآخرهم القائم بالحق بقية الله تعالى في الأرض و صاحب الزمان، و الله لو بقى في غيبته ما بقى نوح في قومه لم يخرج من الدنيا حتى يظهر، فيملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت جوراً و ظلماً»^{٢١١}.

و هذا الخبر يؤكد إسهام جميع أهل البيت عليهم السلام في تنبيه الشيعة إلى غيبة قائمهم المنتظر عليه السلام، و فيه تفسير للعدد المذكور في الحديث الخامس المتقدم، زيادة على ما فيه من تأكيد بقاء الإمام المهدي عليه السلام حياً في غيبته.

و يؤيده قول الامام الصادق عليه السلام في حديث آخر: «ما تنكرون أن يمد الله لصاحب هذا الأمر في العمر كما مد لنوح عليه السلام في العمر»^{٢١٢}.

٧- و في حديث طويل عن الصادق عليه السلام جاء فيه: «يظهر صاحبنا و هو من صلب هذا و أوماً بيده إلى موسى بن جعفر عليهما السلام، فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً و ظلماً، و تصفو له الدنيا»^{٢١٣}.

٨- و عن أبي بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «صاحب هذا الأمر

ص: ٩٧

تعمى ولادته على الخلق؛ لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج»^{٢١٤}.

و لا يعرف التاريخ أحداً من أهل البيت عليهم السلام قد خفيت ولادته على الخلق سوى إمامنا ابن العسكري عليهما السلام.

هذا، و في الصحيح عن ابن فضال، عن الإمام الرضا عليه السلام قال: «كأنني بالشيعة عند فقدهم الثالث من ولدي [أي: الإمام العسكري عليه السلام] كالنعم يطلبون المرعى فلا يجدونه، قلت له: و لم ذاك يا ابن رسول الله؟ قال: لأن إمامهم يغيب عنهم، فقلت: و لم؟ قال: لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا قام بالسيف»^{٢١٥}.

^{٢١١} (١) إكمال الدين ٢: ٣٤٢ / ٢٣ باب ٣٣.

^{٢١٢} (٢) كتاب الغيبة / الشيخ الطوسي: ٤٢١ / ٤٠٠.

^{٢١٣} (٣) كتاب الغيبة / الشيخ الطوسي: ٤٢ / ٢٣.

^{٢١٤} (١) إكمال الدين ٢: ٤٧٩ - ٤٨٠ / ١ باب ٤٤، و أخرجه الصدوق من طريق آخر عن أبي بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام في إكمال الدين ٢: ٤٨٠ / ٥ باب

٤٤، و قد ورد نحوه من طرق أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام، كرواية هشام بن سالم في أصول الكافي ١: ٣٤٢ / ٢٧ باب في الغيبة، و رواية إبراهيم بن عمر اليماني في كتاب الغيبة للنعماني: ١٩١ / ٤٥ باب ١٠، و رواية جميل بن صالح في إكمال الدين ٢: ٤٧٩ - ٤٨٠ / ٢ باب ٤٤.

^{٢١٥} (٢) إكمال الدين ٢: ٤٨٠ / ٤ باب ٤٤.

٩- و عن أبي بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث جاء فيه:

«... فقلت: يا ابن رسول الله و من القائم منكم أهل البيت؟ فقال: يا أبا بصير هو الخامس من ولد ابني موسى، ذلك ابن سيّدة الإمام، يغيب غيبة يرتاب منها المبطلون، ثم يظهره الله عزّ و جل، فيفتح الله على يده مشارق الأرض و مغاربها، و ينزل روح الله عيسى بن مريم عليه السلام فيصلى خلفه، و تشرق الأرض بنور ربها، و لا يبقى في الأرض بقعة عبد فيها غير

ص: ٩٨

الله عزّ و جلّ إلّا عبد الله فيها، و يكون الدين كلّ لله و لو كرّه المشركون»^{٢١٦}.

١٠- و عن المفضل بن عمر، عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث جاء فيه: «... و الأئمة من ولد الحسين آخرهم القائم الذي يقوم بعد غيبته، فيقتل الدجال، و يطهر الأرض من كلّ جور و ظلم»^{٢١٧}.

١١- و عن هارون بن موسى بن جعفر، عن أبيه عليه السلام قال: «قال سيدي جعفر بن محمد عليه السلام: الخلف الصالح من ولدي، و هو المهدي، اسمه محمد، و كنيته أبو القاسم، يخرج في آخر الزمان، يقال لأمه:

صقيّل»^{٢١٨}.

أقول: «صقيّل، و نرجس، و سوسن كلّها أسماء لمسمّى واحد و هو أمّ الإمام المهدي عليه السلام و قد ورد الأثر الصحيح في ذلك، و هذا الحديث نقله الإربلي من كتاب ابن الخشاب المسمّى تاريخ مواليد و وفيات أهل البيت عليهم السلام و ابن الخشاب من معاصري الإمام العسكري عليه السلام و يروى الكليني عنه بالواسطة، و هو من مشايخ علي بن إبراهيم بن هاشم القمي المتوفى في الغيبة الصغرى.

١٢- و عن صفوان بن مهران، و عبد الله بن أبي يعفور؛ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «من أقرّ بجميع الأنبياء و جحد المهدي كان كمن أقرّ بجميع الأنبياء و جحد محمد صلى الله عليه و آله نبوته، فقيّل له: يا ابن رسول الله: فمن

ص: ٩٩

المهدي من ولدك؟ قال: الخامس من ولد السابع، يغيب عنكم شخصه، و لا يحلّ لكم تسميته»^{٢١٩}.

^{٢١٦} (١) إكمال الدين ٢: ٣٤٥-٣٤٦ / ٣١ باب ٣١.

^{٢١٧} (٢) إكمال الدين ٢: ٣٣٥-٣٣٦ / ٧ باب ٣٣.

^{٢١٨} (٣) كشف الغمّة / الإربلي ٣: ٣٧٩ في ذكر الإمام الحجّة عليه السلام.

^{٢١٩} (١) إكمال الدين ٢: ٣٣٣ / ١ باب ٣٣ و أخرجه من طريق آخر عن عبد الله بن أبي يعفور ٢: ٣٣٨ / ١٢ من الباب السابق.

و النهى عن التسمية معلّ بالخوف من الطلب، فيكون مقيّدا بزمان مخصوص كما يعلم من أخبار آخر.

و فى هذا الحديث و غيره ممّا مرّ و يأتى إبطال لقول الواقفية بمهدوية الإمام الكاظم عليه السّلام، و قوله عليه السّلام: «الخامس من ولد السابع، يغيب عنكم شخصه...» تعريض بقول الواقفية بأن المهدي صاحب الغيبة هو الإمام السابع أى: الكاظم عليه السّلام! فى حين أنّه الخامس من ولد السابع عليهم السّلام.

١٣- و سمع الحسين بن علوان الكلبي - و هو من رواة العامة - حديثا من طرقهم فى خصوص علم النّبي موسى عليه السّلام بأوصياء النّبي صلّى الله عليه و آله الاثنى عشر من بعده، قال: فذكرت ذلك لجعفر بن محمد عليهما السّلام، فقال: «حق ذلك، هم اثنا عشر من آل محمد صلّى الله عليه و آله: على، و الحسن، و الحسين، و على بن الحسين، و محمد بن على، و من شاء الله.

قلت: جعلت فداك، إنّما أسألك لتفتينى بالحق.

فقال عليه السّلام: أنا، و ابني هذا - و أشار إلى ابنه موسى عليه السّلام - و الخامس من ولده يغيب شخصه، و لا يحلّ ذكره باسمه»^{٢٢٠}.

١٤- و عن المفضل بن عمر قال: «دخلت على سيدي جعفر بن

ص: ١٠٠

محمد عليهما السّلام فقلت: يا سيدي لو عهدت إلينا فى الخلف من بعدك؟ فقال لى:

يا مفضل! الإمام من بعدى ابنى موسى، و الخلف المأمول المنتظر محمد بن الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى»^{٢٢١}.

١٥- و فى الصحيح عن مسعدة بن صدقة قال: «كنت عند الصادق عليه السّلام، إذ أتاه شيخ كبير قد انحنى متكئا على عصاه، فسلم، فردّ أبو عبد الله عليه السّلام الجواب، ثم قال: يا ابن رسول الله ناولنى يدك أقبلها، فأعطاه يده فقبلها ثم بكى، فقال أبو عبد الله عليه السّلام: ما يبكيك يا شيخ؟ قال:

جعلت فداك أقمت على قائمكم منذ مائة سنة أقول هذا الشهر و هذه السنة، و قد كبرت سنّى و دقّ عظمى و اقترب أجلى و لا أرى ما أحب، أراكم مقتلين مشرّدين، و أرى عدوكم يطيطون بالأجنحة، فكيف لا أبكى! فدمعت عينا أبى عبد الله عليه السّلام، ثم قال:

^{٢٢٠} (٢) مقتضب الأثر: ٤١.

^{٢٢١} (١) إكمال الدين ٢: ٣٣٤ / ٤ باب ٣٣.

يا شيخ إن أباك الله حتى ترى قائمنا كنت معنا فى السنام الأعلى، وإن حلت بك المنية، جئت يوم القيامة مع ثقل محمد صلى الله عليه وآله، ونحن ثقله، فقال عليه السلام: انى مخلف فيكم الثقلين فتمسكوا بهما لن تضلوا: كتاب الله و عترتى أهل بيتى. فقال الشيخ: لا أبالى بعد ما سمعت هذا الخبر. قال:

يا شيخ! إن قائمنا يخرج من صلب الحسن، و الحسن يخرج من صلب عليّ، و عليّ يخرج من صلب محمد، و محمد يخرج من صلب عليّ، و عليّ يخرج من صلب ابنى هذا- و أشار إلى موسى عليه السلام- و هذا خرج من صلبى، نحن اثنا عشر كلنا معصومون مطهرون ... يا شيخ و الله لو لم يبق

ص: ١٠١

من الدنيا إلّا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج قائمنا أهل البيت، ألا و أن شيعتنا يقعون فى فتنة و حيرة فى غيبته، هناك يثبت الله على هداه المخلصين، اللهم أعنهم على ذلك»^{٢٢٢}.

١٦- و عن أبى الهيثم بن أبى حبة، عن أبى عبد الله عليه السلام، قال: «إذا اجتمعت ثلاثة أسماء متوالية: محمد، و عليّ، و الحسن، فالرابع القائم»^{٢٢٣}.

و قوله عليه السلام: «إذا اجتمعت ثلاثة أسماء...»، أى: من الأئمة بعده، الذين هم من ولده عليهم السلام.

و من الواضح أن هذه الأسماء الثلاثة الشريفة قد اجتمعت متوالية حقا، و شكّلت الحلقة الأخيرة من أسماء الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام قبل القائم المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، كالآتى:

١- (محمد): و هو اسم الإمام التاسع المعروف بالجواد عليه السلام.

٢- (عليّ): و هو اسم الإمام العاشر المعروف بالهادى عليه السلام.

ص: ١٠٢

٣- (الحسن): و هو اسم الإمام الحادى عشر المعروف بالعسكرى عليه السلام ابن الإمام على الهادى ابن الإمام محمد الجواد، و هو والد الإمام القائم عليه السلام.

^{٢٢٢} (١) كفاية الأثر / الخزاز: ٢٦٠، و أخرجه عماد الدين الطبرى فى بشارة المصطفى:

٢٧٥، عن معاوية بن وهب، قال: كنت جالسا عند جعفر بن محمد عليه السلام إذ جاء شيخ قد انحنى من الكبر، فقال: السلام عليك و رحمة الله و بركاته، فقال له أبو عبد الله: و عليك السلام و رحمة الله يا شيخ، ادن منى، فدنا منه و قبل يده و بكى ... الحديث.

^{٢٢٣} (٢) إكمال الدين ١: ٣٣٣ / ٢ باب ٣٣، و كتاب الغيبة / النعمانى: ١٧٩ - ١٨٠ / ٢٦ باب ١٠، و إنبات الوصية / المسعودى: ٢٢٧، و كفاية الأثر / الخزاز القمى:

ثانياً- بيان الإمام الصادق عليه السلام لكيفية الانتفاع بالحجة الغائب عليه السلام:

نظمت أحاديث أهل البيت عليهم السلام و بصورة متواترة بأن الله تعالى لا يخلو أرضه من حجة على عباده منذ أن خلق الله آدم و إلى قيام الساعة، و لا فرق في ذلك بين أن يكون الحجة ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مستوراً كما مرّ في القاعدة الرابعة من قواعد الفصل السابق.

و التسليم بهذه القاعدة يعنى الاعتقاد بوجود الإمام المهدي عليه السلام في أرض الله عزّ و جلّ و إن لم يره أحد، و هو بحد ذاته كاف لنمو الفضيلة، و خلق جوّ من التآلف و المودة بين المؤمنين الذين يعيشون في حالة انتظار دائم و ترقّب شديد لظهوره عليه السلام، الأمر الذي يؤدي إلى حفظ المجتمع المسلم من التشتت و الضياع، و منعه من الانحدار وراء الشهوات، و صونه من كلّ انحراف.

كما أنّ نفس وجود الإمام عليه السلام فيه منافع كثيرة ترتبط بحياة الناس جميعاً، من نزول بركات السماء، و عدم المؤاخذة بالعقاب العاجل و نحوها، و قد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة مبيناً أهمية الحجة و هى في زمن نزوله منحصرة برسول الله صلى الله عليه و آله، فقال تعالى: **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**^{٢٢٤}، و أما بعده صلى الله عليه و آله فلا شكّ في أنّها بآله الكرام عليهم السلام.

ص: ١٠٣

لقد حاول الإمام الصادق عليه السلام تقريب صورة الانتفاع بالإمام الحجة الغائب عليه السلام بمثال مادي محسوس، ليكون ذلك أدعى إلى الإذعان و التصديق.

فعن سليمان بن مهران الأعمش، عن الإمام الصادق، عن أبيه الإمام الباقر، عن أبيه الإمام على بن الحسين عليهم السلام، قال: «نحن أئمة المسلمين، و حجج الله على العالمين ... و لم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة الله و لا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة الله فيها، و لو لا ذلك لم يعبد الله. قال سليمان: فقلت للصادق عليه السلام: فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟ قال عليه السلام: كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب»^{٢٢٥}.

و كما أنّ السحاب لا يمنع من فوائد الشمس الكثيرة، و لولاها لانعدمت الحياة، فكذلك لا تمنع الغيبة من الفوائد العظيمة المترتبة على وجود الإمام عليه السلام، و هذا ما يفسّر لنا معنى قول الإمام الصادق عليه السلام: «لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت»^{٢٢٦}.

^{٢٢٤} (١) سورة الأنفال: ٨ / ٣٣.

^{٢٢٥} (١) إكمال الدين ١: ٢٠٧ / ٢٢ باب ٢١، و أما لى الصدوق: ١٥٦ - ١٥٧ / ١٥ مجلس / ٣٤، و فرائد المسطين / الجوينى الشافعى ١: ٤٥ - ٤٦ / ١١.

^{٢٢٦} (٢) أصول الكافى ١: ١٧٩ / ١٠، باب أنّ الأرض لا تخلو من حجة، و كتاب الغيبة / النعماني: ١٣٨ / ٨ باب ٨.

جدير بالذكر أن حديث الإمام الصادق عليه السلام المتقدم برواية الأعمش هو جزء من حديث عظيم لرسول الله صلى الله عليه وآله، برواية جابر بن عبد الله الأنصاري، قال رضى الله عنه: «لَمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ

ص: ١٠٤

مِنْكُمْ^{٢٢٧} قلت: يا رسول الله عرفنا الله ورسوله، فمن أولو الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال عليه السلام: «هم خلفائي يا جابر، وأئمة المسلمين (من) بعدى أولهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن والحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر، وستدركه يا جابر، فإذا لقيته فأقرئه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سمى وكنى حجة الله في أرضه، وبقية في عباد ابن الحسن بن علي، ذاك يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلّا من امتحن الله قلبه للإيمان»، قال جابر: فقلت له: يا رسول الله فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته؟

فقال صلى الله عليه وآله: «إي و الذي بعثني بالنبوة إنهم يستضيئون بنوره و ينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس و إن تجلّلها سحاب، يا جابر هذا من مكنون سرّ الله، و مخزون علمه، فاكتمه إلّا عن أهله»^{٢٢٨}.

و تشبيه فائدة الإمام المهدي عليه السلام في غيبته بفوائد الشمس المجلّلة بالسحاب يوحى إلى أمور، قد تعرّض لها العلّامة المجلسي في ذيل هذا الخبر، و لا بأس بنقلها كما هي لفائدتها.

قال رحمه الله: «بيان - التشبيه بالشمس المجلّلة بالسحاب يوحى إلى أمور:

ص: ١٠٥

الأول: إن نور الوجود و العلم و الهداية، يصل إلى الخلق بتوسطه عليه السلام؛ إذ ثبت بالأخبار المستفيضة أنهم العلل الغائية لايجاد الخلق، فلولاهم لم يصل نور الوجود إلى غيرهم، و ببركتهم و الاستشفاع بهم، و التوسل إليهم يظهر العلوم و المعارف على الخلق، و يكشف البلايا عنهم، فلولاهم لاستحقّ الخلق بقبائح أعمالهم أنواع العذاب، كما قال تعالى: **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ**^{٢٢٩} و لقد جربنا مرارا لا نحصيها أن عند انغلاق الأمور و إعضال المسائل، و البعد عن جناب الحق تعالى، و انسداد أبواب الفيض، لمّا استشفعنا بهم، و توسلنا بأنوارهم، فبقدر ما يحصل الارتباط المعنوي بهم في ذلك الوقت، تتكشف تلك الأمور الصعبة، و هذا معان لمن أكحل الله عين قلبه بنور الإيمان.

^{٢٢٧} (١) سورة النساء: ٥٩ / ٤.

^{٢٢٨} (٢) إكمال الدين ١: ٢٥٣ / ٣ باب ٢٣.

^{٢٢٩} (١) سورة الأنفال: ٣٣ / ٨.

الثاني: كما أن الشمس المحجوبة بالسحاب مع انتفاع الناس بها- ينتظرون في كل آن انكشاف السحاب عنها و ظهورها، ليكون انتفاعهم بها أكثر، فكذا في أيام غيبته عليه السّلام، ينتظر المخلصون من شيعته خروجه و ظهوره، في كل وقت و زمان، و لا ييأسون عنه.

الثالث: إن منكر وجوده عليه السّلام مع وفور ظهور آثاره كمنكر وجود الشمس إذا غيبتها السحاب عن الأبصار.

الرابع: إن الشمس قد تكون غيبتها في السحاب أصلح للعباد، من ظهورها لهم بغير حجاب، فكذا غيبته عليه السّلام أصلح لهم في تلك الأزمان؛ فلذا غاب عنهم.

الخامس: إن الناظر إلى الشمس لا يمكنه النظر إليها بارزة عن

ص: ١٠٦

السحاب، و ربّما عمى بالنظر إليها لضعف الباصرة عن الإحاطة بها، فكذاك شمس ذاته المقدّسة ربّما يكون ظهوره أضرّ لبصائرهم، و يكون سببا لعماهم عن الحق، و تحتمل بصائرهم الإيمان به في غيبته، كما ينظر الإنسان إلى الشمس تحت السحاب و لا يتضرر بذلك.

السادس: إن الشمس قد تخرج من السحاب و ينظر إليها واحد دون واحد، فكذاك يمكن أن يظهر عليه السّلام في أيام غيبته لبعض الخلق دون بعض.

السابع: إنهم عليهم السّلام كالشمس في عموم النفع، و إنما لا ينتفع بهم من كان أعمى كما فسّر به في الأخبار قوله تعالى: **وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا**^{٢٣٠}.

الثامن: إن الشمس كما أن شعاعها يدخل البيوت، بقدر ما فيها من الروازن و الشبايبك، و بقدر ما يرتفع عنها من الموانع، فكذاك الخلق إنما ينتفعون بأنوار هدايتهم بقدر ما يرفعون الموانع عن حواسهم و مشاعرهم التي هي روازن قلوبهم من الشهوات النفسانية، و العلائق الجسمانية، و بقدر ما يدفعون عن قلوبهم من الغواشي الكثيفة الهيولانية إلى أن ينتهي الأمر إلى حيث يكون بمنزلة من هو تحت السماء يحيط به شعاع الشمس من جميع جوانبه بغير حجاب»^{٢٣١}.

ص: ١٠٧

الباب الثاني غيبة الإمام الثاني عشر عليه السّلام قبل حدوثها

^{٢٣٠} (١) سورة الإسراء: ٧٢ / ١٧.

^{٢٣١} (٢) بحار الأنوار / العلّامة المجلسي ٥٢: ٩٣-٩٤ ذيل الحديث الثامن، باب علّة الغيبة و كيفية انتفاع الناس به عليه السّلام.

الفصل الأول:

عناية الإمام الصادق عليه السلام بالغيبة، و بيان معطياتها

الفصل الثاني:

تأكيد الإمام الصادق عليه السلام على غيبة الإمام المهدي عليه السلام، و طولها

الفصل الثالث:

فى بيان الإمام الصادق عليه السلام ما مطلوب فى زمان الغيبة

الفصل الرابع:

فى بيان الإمام الصادق عليه السلام علل الغيبة

ص: ١٠٩

الفصل الأول فى العناية بالغيبة و بيان معطياتها

أولاً- أسرار العناية بالغيبة فى الحديث الشريف:

شغلت غيبة الإمام المهدي عليه السلام قبل و بعد حلولها سنة / ٢٦٠ هـ مكانا واسعا فى الفكر الشيعى، و أخذت حيزا كبيرا فى تراثهم الروائى و الكلامى، و امتدّت آثارها بعد وفاة آخر السفراء الأربعة محمد بن على السمرى (ت / ٣٢٩) (رض)، لتشمل الفقه السياسى الروائى و المستنبط معا، و لعلّ فى ما صنّفه محدّثوهم و أعلامهم قبل عصر الغيبة الصغرى و فى أثنائها أو بعدها، خير دليل على مدى العناية الفائقة التى أولاها سائر أهل البيت عليهم السلام بهذا الموضوع الخطير؛ لأنّهم عليهم السلام أدركوا أنّ معنى غياب القائد هو تشتّت القاعدة ما لم يتمّ التمهيد لغيبته عليه السلام بشكل مكثّف حتى يتمّ استقبالها من قبل القاعدة و هضمهم لها بشكل تدريجى، و كأنّها حدث طبيعى، بحيث لا ينتج عنها شرخ فى المذهب قد يؤدّى إلى اهتزاز عقيدة أتباعه فى ما لو سكت عن هذا الأمر و واجهه الشيعة فجأة، و من هنا تمّ ترويض الشيعة على قبول غيبة القائد كحقيقة آتية و لا بدّ، و كان لكلّ إمام

ص: ١١٠

دوره الخاصّ فى التمهيد لتلك الحقيقة الكبرى فى تاريخ التشيع لا سيّما الإمام الصادق عليه السلام الذى كان دوره مميّزا فى ذلك؛ تبعا لما ذكرناه فى ديباجة البحث من الفرصة التى سنحت له أكثر من غيره للتحليق عاليا فى سماء الفكر و العقيدة حتى اصطبغ مذهب الإمامية الواسع باسمه الشريف.

و قد انعكست أحاديث أهل البيت عليهم السلام في غيبة الإمام المهدي عليه السلام على الفكر الشيعي بصورة واضحة جلية، و ذلك من جهة عناية هذا الفكر بتلك الأحاديث عناية فائقة، فأفردوا لها مؤلفات عديدة و رسائل كثيرة كونت بمجموعها رؤية واضحة لطائع التشيع حول غيبة الإمام المهدي عليه السلام قبل ولادته بعشرات السنين. و ما مزاعم الفرق الشيعية - التي نشأت في إطار التشيع فجأة و اندرست بعيد نشأتها بسرعة - بغيبة من ادعت له الإمامة زورا، كقول الكيسانية بغيبة محمد بن الحنفية في جبل رضوى، و قول الواقفية بغيبة الإمام الكاظم عليه السلام، إلّا صورة معبرة عن انتشار مفهوم الغيبة في الوسط الشيعي انتشارا واسعا، لدرجة توفرت معها للوجود الشيعي الإمامي الاثنى عشرى حصانة رائعة ضدّ كلّ الدعاوى المنحرفة التي برزت في إطاره، حتى استطاع بفضل فلسفة الإخبار بالغيبة و تشخيص صاحبها قبل ولادته بعشرات السنين، أن يشقّ طريقه بأمان رغم كلّ العواصف التي اعترضت سبيله.

ثانيا- الغيبة في مؤلفات الشيعة:

إنّ كتب الغيبة، شاهدة على عناية الفكر الشيعي بها منذ أقدم العصور و إلى يومنا هذا، من أمثال كتاب الغيبة لإبراهيم بن صالح الأنماطي

ص: ١١١

الكوفي^{٢٣٢}، و كتاب ترتيب الأدلّة فيما يلزم خصوم الإماميّة دفعه عن الغيبة و الغائب لأحمد بن الحسين الآبي^{٢٣٣}، و كتاب الشفاء و الجلاء في الغيبة لأحمد ابن علي الرازي^{٢٣٤}، و كتاب الغيبة لأحمد بن محمد بن عمران المعروف بابن الجندی أحد مشايخ النجاشي^{٢٣٥}، و كتاب الغيبة للسيد الحسن بن حمزة المعروف بالطبري المرعشي (ت/ ٣٥٨ هـ)^{٢٣٦}، و كتاب الغيبة و ذكر القائم عليه السلام للحسن بن محمد بن يحيى العلوي (ت/ ٣٥٨)^{٢٣٧}، و كتاب الغيبة و الحيرة لعبد الله بن جعفر الحميري من أصحاب الإمامين الهادي و العسكري عليهما السلام^{٢٣٨}، و كتاب الغيبة و كشف الحيرة لأبي الحسن سلامة بن محمد بن إسماعيل (ت/ ٣٣٩ هـ)^{٢٣٩}، و كتاب الغيبة لأبي الفضل العباس بن هشام الناشري الأسدي أحد أصحاب الإمام الرضا عليه السلام و مات في إمامة الإمام الجواد عليه السلام سنة ٢٢٠ هـ أو قبلها بسنة واحدة^{٢٤٠}، و كتاب الإمامة و التبصرة من الحيرة للصدوق الأول أحد معاصري الغيبة الصغرى كلها

^{٢٣٢} (١) رجال النجاشي: ١٣/١٥، و فهرست الشيخ الطوسي: ٩/٣٩، و معالم العلماء لابن شهر آشوب: ٥/٥.

^{٢٣٣} (٢) معالم العلماء: ١١٣/٢٤.

^{٢٣٤} (٣) رجال النجاشي: ٩٧/٢٤٠، و فهرست الشيخ: ٩١/٧٦، و معالم العلماء: ١٨/٨٢.

^{٢٣٥} (٤) رجال النجاشي: ٨٥/٢٠٦.

^{٢٣٦} (٥) رجال النجاشي: ٦٤/١٥٠.

^{٢٣٧} (٦) رجال النجاشي: ٦٤/١٤٩.

^{٢٣٨} (٧) رجال النجاشي: ٢١٩/٥٧٣، و فهرست الشيخ: ١٦٧/٤٣٩.

^{٢٣٩} (٨) رجال النجاشي: ١٩٢/٥١٤.

^{٢٤٠} (٩) رجال النجاشي: ٢٨٠/٧٤١.

(ت / ٣٢٩ هـ) وهو «مطبوع»، وكتاب الغيبة لأبي محمد عبد الوهاب البادراني^{٢٤١}، وكتاب أخبار القائم عليه السلام للشيخ علي بن محمد بن إبراهيم المعروف بعلان الكليني الرازي^{٢٤٢} من معاصري الإمام الحسن العسكري عليه السلام وهو خال ثقة الإسلام الكليني الذي روى عن كتابه هذا معظم أحاديث باب مولد الحجة عليه السلام في أصول الكافي، وكتاب الغيبة للشيخ النعماني تلميذ الكليني وهو «مطبوع»، وكتاب الغيبة لعلی بن محمد ابن علی أبي الحسن القلاء^{٢٤٣}، وكتاب إزالة الران عن قلوب الاخوان في الغيبة للفتية أبي علي محمد بن أحمد المشهور بابن الجنيد^{٢٤٤}، وكتاب الغيبة وكشف الحيرة لمحمد ابن أحمد الصفواني البغدادي من مشاهير تلامذة الكليني^{٢٤٥}، وكتاب الغيبة لأبي النظر محمد بن مسعود العياشي المفسر المشهور (ت / ٣٢٠ هـ)^{٢٤٦}، وكتاب الغيبة لإبراهيم بن إسحاق النهاوندي^{٢٤٧}، وكتاب أخبار المهدي عليه السلام لعباد بن يعقوب الرواجني^{٢٤٨}

مات رحمه الله سنة ٢٥٠ هـ^{٢٤٩}، أي: قبل حلول ولادة الإمام المهدي عليه السلام بخمس سنين، و مصنفات الشيخ المفيد في الغيبة ككتاب الغيبة، وكتاب جوابات الفارقيين في الغيبة، والرسائل العشر في الغيبة وهو «مطبوع»، والنقض على الطلحي في الغيبة، ومختصر في الغيبة كما صرح بذلك النجاشي^{٢٥٠}، وكتاب إكمال الدين وإتمام النعمة للشيخ الصدوق (ت / ٣٨١ هـ) وهو «مطبوع»، وفيه من أحاديث الغيبة الكثير جدا، وله ثلاث رسائل في الغيبة^{٢٥١}، وكتاب المقنع في الغيبة للسيد المرتضى علم الهدى (ت / ٤٣٦ هـ) وهو «مطبوع»، وكتاب الغيبة للشيخ الطوسي (ت / ٤٦٠ هـ) وهو «مطبوع»، وكتاب الاستطراف في ذكر ما ورد في الغيبة في الإنصاف للكرجكي (ت / ٤٤٩ هـ)^{٢٥٢}، وكتاب الغيبة لأبي الفرج المظفر بن علي بن الحسين الحمداني^{٢٥٣}، و

^{٢٤١} (١) رجال النجاشي: ٢٤٧ / ٦٥٢.

^{٢٤٢} (٢) رجال النجاشي: ٢٦٠ / ٦٨٢.

^{٢٤٣} (٣) رجال النجاشي: ٢٥٩ / ٦٧٩.

^{٢٤٤} (٤) رجال النجاشي: ٣٩٣ / ١٠٥٠.

^{٢٤٥} (٥) معالم العلماء: ٩٧ / ٦٦٥.

^{٢٤٦} (٦) رجال النجاشي: ٣٥٠ / ٩٤٤، وفهرست الشيخ: ٢١٢ / ٦٠٤، ومعالم العلماء:

٦٦٨ / ٩٩.

^{٢٤٧} (٧) رجال النجاشي: ١٩ / ٢١، وفهرست الشيخ: ٣٩ / ٩.

^{٢٤٨} (٨) معالم العلماء: ٨٨ / ٦١٢.

^{٢٤٩} (١) وصفه أهل السنة بالرفض، وأدعى بعض الشيعة عاميته!! وهو ثقة إمامي كما حققنا ذلك في محله.

^{٢٥٠} (٢) رجال النجاشي: ٣٩٩ - ٤٠٢ / ١٠٦٧.

^{٢٥١} (٣) رجال النجاشي: ٣٨٩ / ١٠٤٩.

^{٢٥٢} (٤) الذريعة / آغا بزرك الطهراني ٣: ٩٢ / ٢٩٢.

^{٢٥٣} (٥) الذريعة ١٦: ٨٢ / ٤٠٦.

كتاب الغيبة لمحمد بن زيد بن علي الفارسي^{٢٥٤}، وكتاب الغيبة و ما جاء فيها عن النبي صلى الله عليه وآله و الأئمة عليهم السلام لتاج العلى العلوى (ت/ ١٠٦٥هـ)^{٢٥٥}، وكتاب الغيبة لأبى بكر محمد بن القاسم البغدادى^{٢٥٦}،

ص: ١١٤

و غيرها مما لا وسع فى تتبعها.

و هذه الكتب و إن ضاع أكثرها - لا سيما المؤلف منها قبل ولادة الإمام المهدي عليه السلام - إلا أن فيما وصل منها كفاية فى الكشف عن الحقيقة التامة لمن أرادها.

ثالثا - علم الشيعة بالغيبة قبل حدوثها:

اتضح مما تقدم أن غيبة الإمام المهدي بن الإمام العسكري عليهما السلام كانت معلومة فى الوسط الشيعى قبل حدوثها بعشرات السنين، و ذلك من خلال ما سمعوه من أهل البيت عليهم السلام مباشرة، و لهذا ألفوا فيما سمعوه بهذا الخصوص كتباً عديدة، و قد شهد غير واحد من أعلام الإمامية و أجلائهم المشهورين على هذه الحقيقة.

قال الشيخ الصدوق: «إن الأئمة عليهم السلام قد أخبروا بغيبته عليه السلام، و وصفوا كونها لشيعتهم فيما نقل عنهم، و استحفظ فى الصحف، و دون فى الكتب المؤلفة من قبل أن تقع الغيبة بمائتى سنة أو أقل أو أكثر، فليس أحد من أتباع الأئمة عليهم السلام إلا و قد ذكر ذلك فى كثير من كتبه و رواياته و دونه فى مصنفاته، و هى الكتب التى تعرف بالأصول، مدونة مستحفظة عند شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله من قبل الغيبة بما ذكرنا من السنين ..»^{٢٥٧}.

و إلى هذا أشار الشيخ الطوسى فى كتابه الغيبة، فقال بعد استدلاله بجملة من الأخبار الموجودة فى الكتب المؤلفة قبل زمان الإمام المهدي عليه السلام ما هذا لفظه: «موضع الاستدلال من هذه الأخبار ما تضمن الخبر بالشىء

ص: ١١٥

قبل كونه فكان كما تضمنه»^{٢٥٨}.

^{٢٥٤} (٦) الذريعة ١٦: ٧٩ / ٤٠٠.

^{٢٥٥} (٧) الذريعة ١٦: ٧٥ / ٣٧٥.

^{٢٥٦} (٨) الذريعة ١٦: ٨٠ / ٤٠٣.

^{٢٥٧} (١) إكمال الدين ١: ١٩، من المقدمة.

^{٢٥٨} (١) كتاب الغيبة / الشيخ الطوسى: ١٧٣.

كما شهد بهذا أيضا ابن قبة الرازي وهو من فحول متكلمي الإمامية في عصره، فقد نقل الشيخ الصدوق عنه قوله في هذا الخصوص: «و هذه كتبهم فمن شاء أن ينظر فيها فليُنظر»^{٢٥٩}.

كما شهد الإربلي في كشف الغمّة، والطبري الإمامي في دلائل الإمامة بعد نقل حديث عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام صريح بغيبة الإمام المهدي عليه السلام، بأنّهما نقلاه من كتاب المشيخة للحسن بن محبوب الزرّاد^{٢٦٠} والحسن بن محبوب مات رحمه الله سنة ٢٢٤هـ، أي قبل زمان ولادة الإمام المهدي عليه السلام بإحدى و ثلاثين سنة، وغير ذلك من الأحاديث الأخرى التي صرّحت بغيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام قبل حدوثها على أرض الواقع بعشرات السنين، و ستأتى الإشارة إلى بعضها في مكان آخر.

على أن الاتساع الأفقى الحاصل في كلّ طبقة من طبقات الرواة في بعض أحاديث الغيبة حتى ينتهى الأمر هكذا إلى أحد المتقدمين من أصحاب الأئمة عليهم السلام أو إلى من مات قبل زمان الغيبة بآماد كثيرة، قرينة شاهدة على سماع أحاديث غيبة الإمام الثاني عشر من رواة ماتوا قبل حلولها بأزمان كثيرة، وإلا فماذا يفهم من هذا الاتساع الأفقى في كلّ طبقة غير صحة ما شهد به الصدوق وغيره من وجود تلك الأخبار في الكتب

ص: ١١٦

المؤلفة قبل زمان الغيبة بكثير؟

و سوف يأتي ما يدل على وجود مثل هذه القرينة في أحاديث الغيبيتين وغيرهما، و من ثم فإنّ ما في موضوع كتابنا هذا أقوى من كلّ شهادة على علم الشيعة بالغيبة قبل حدوثها.

رابعا- إخبار الإمام الصادق عليه السلام بالشىء قبل وقوعه، و علم الغيب:

إنّ ظاهرة الإخبار بالشىء قبل وقوعه كانت ظاهرة معروفة في حياة الأئمة عليهم السلام، و قد أذعن لها الشيعة برمتهم، و اعترف بهذا غيرهم أيضا.

قال ابن خلدون (ت/ ٨٠٨ هـ) في تاريخه في الفصل الثالث و الخمسين عن الإمام الصادق عليه السلام ما هذا لفظه: «و قد صحّ عنه أنّه كان يحذّر بعض قرابته بوقائع تكون لهم فتصحّ كما يقول، و قد حذرّ يحيى ابن عمّه زيد من مصرعه و عصاه، فخرج و قتل بالجوزجان كما هو معروف، و إذا كانت الكرامة تقع لغيرهم فما ظنّك بهم علما و ديناً و آثاراً من النبوة، و عناية من الله بالأصل الكريم تشهد لفروعه الطيبة»^{٢٦١}.

^{٢٥٩} (٢) إكمال الدين: ١٠٧، من المقدّمة.

^{٢٦٠} (٣) كشف الغمّة / الإربلي ٣: ٤٥٣-٤٥٤، و دلائل الإمامة / الطبري: ٥٣٥ / ٥٢٠.

^{٢٦١} (١) تاريخ ابن خلدون ١: ٥٨٩ الفصل / ٥٣.

و قال أيضا: «و وقع لجعفر و أمثاله من أهل البيت كثير من ذلك، مستندهم فيه - و الله أعلم - الكشف بما كانوا عليه من الولاية، و إذا كان مثله لا ينكر من غيرهم من الأولياء في ذويهم و أعقابهم، و قد قال صلى الله عليه [و آله] و سلم: (إن فيكم محدثين)، فهم أولى الناس بهذه الرتب الشريفة، و الكرامات الموهوبة»^{٢٦٢}.

ص: ١١٧

و قال على بن محمد الجرجاني (ت / ٨١٦ هـ) في شرح المواقف لعبد الدين الايجي (ت / ٧٥٦ هـ) في المقصد الثاني، مبحث العلم الواحد الحادث هل يجوز تعلّقه بمعلومين؟ ما هذا نصّه: «و في كتاب قبول العهد الذي كتبه على بن موسى رضى الله عنهما إلى المأمون: إنك قد عرفت من حقوقنا ما لم يعرفه آباؤك، فقبلت منك عهدك، إلّا أن الجفر و الجامعة يدلّان على أنه لا يتم»^{٢٦٣}.

و قد نقل هذا الكلام بعينه الكاتب الحلبي المعروف بحاجي خليفه (ت / ١٠٦٧ هـ)، و أضاف عليه قوله: «و كان كما قال؛ لأنّ المأمون استشر فتنه من بني هاشم، فسمّه، كذا في مفتاح السعادة»^{٢٦٤}.

و قد زعم بعض خصوم الشيعة بأنّ أخبار أهل البيت عليهم السّلام عن الإمام المهدي عليه السّلام التي يدّعي الشيعة وجودها في الكتب المؤلّفة في عصر الإمام الصادق عليه السّلام أخبار مكذوبة نظرا لما تضمّنته من علم الغيب و هو منفي عن غير الله عزّ و جل!

و هذا جهل فضيع، لأنّ العلم المنفي عن غيره تعالى هو ما كان للشخص لذاته بلا واسطة في ثبوته له؛ لمكان الإمكان فيه ذاتا و صفة، و كلّ ممكن لا يثبت له شيء من هذا العلم بلا واسطة، و ما وقع لأهل البيت عليهم السّلام فهو ليس من العلم المنفي في شيء؛ لأنّه متلقّى عن

ص: ١١٨

رسول الله صلى الله عليه و آله، عن الوحي، عن الله عزّ و جل، و لا مانع أيضا من أن يفيضه الله تعالى عليهم؛ لأنّهم عليهم السّلام «محدثون» كما مرّ في كلام ابن خلدون ما يشير إلى هذا، و في الصحيح عن الإمام الصادق عليه السّلام قال: «نحن إثنا عشر محدثا»^{٢٦٥}.

^{٢٦٢} (٢) تاريخ ابن خلدون ١: ٥٩٤ - ٥٩٥ الفصل / ٥٣.

^{٢٦٣} (١) شرح المواقف ٦: ٢٢.

^{٢٦٤} (٢) كشف الظنون / حاجي خليفة ١: ٥٩١ - ٥٩٢ تحت عنوان: علم الجفر و الجامعة. و مفتاح السعادة كتاب ألفه طاشكيري زاده (ت / ٩٦٨ هـ).

^{٢٦٥} (١) أصول الكافي ١: ٥٣٤ - ٥٣٥ / ٢٠، و بصائر الدرجات: ٣١٩ / ٢ باب ٥، و إكمال الدين ٢: ٣٣٥ / ٦ باب ٣٣، و عيون أخبار الرضا عليه السّلام ٢: ٥٩ - ٦٠ /

٢٣ باب ٦.

و لا مانع أيضا من القول بقول الآلوسى (ت/ ١٢٧٠ هـ)، بشأن علم الخواص، قال: «إنَّهم أظهروا أو أطلعوا- بالبناء للمفعول- على الغيب، أو نحو ذلك ممَّا يفهم الواسطة في ثبوت العلم لهم»^{٢٦٦}.

و من هنا يظهر بوضوح وجه المغالطة في نسبة إخبار أولياء الله بالشىء قبل حدوثه إلى علم الغيب المنفى عن غير الله عزَّ و جل، هذا فضلا عمَّا في تلك المغالطة من إنكار لشيء مادى ملموس!! أعنى المصنَّفات الكثيرة المؤلَّفة فى غيبة الإمام المهدي عليه السَّلام قبل ولادته، و فيها من الأخبار الكثيرة المتواترة ما يكشف عن غائب بالتحديد و شخص معيَّن لا مجال للاشتباه فيه أو التردد، و هو ما شهد به غير واحد ممَّن ذكرناه.

خامسا- مكونات الوحدة الموضوعية للغيبة عند الإمام الصادق عليه السَّلام:

نعنى بمكونات الوحدة الموضوعية للغيبة عند الإمام الصادق عليه السَّلام:

ص: ١١٩

المفردات التى اشتملت عليها أحاديث الإمام الصادق عليه السَّلام فى موضوع الغيبة فى معزل عمَّا تقدَّم من أحاديثه عليهم السَّلام فى تشخيص هوية الإمام الغائب، لنرى هل كونت فيما بينها نسيجاً موحداً؟ أو كانت مجرد أحاديث متفرقة لا يمكن صياغة عقد منها بعد ترتيبها فى نظام واحد؟

ثم لو أمكن لها ذلك، فهل استطاعت تلك الأحاديث أن تتَّسم بالعمق و الشمول و السعة؟ أم انها انتظمت فى سلكها لا غير.

و بعبارة اخرى: هل استطاعت أحاديث الإمام الصادق عليه السَّلام- كما ندعيه نحن فى هذه الدراسة- من تكوين وحدة موضوعية متجانسة كافية فى مقام معرفة من هو الإمام الغائب على وجه التحديد، و بلا أدنى حاجة إلى التماس أحاديث اخرى عن أهل البيت عليهم السَّلام للكشف عن هوية الإمام الغائب، أو أنها وقفت فى سياقها التاريخى و لم تستوعب الإجابة على ما يحيط بغيبة الإمام الغائب من تساؤلات؟

و نود قبل بيان مكونات تلك الوحدة التوفر على مسألة مهمة تتصل اتصالا مباشرا بعلم الحديث الشريف فنقول:

اتسم أكثر الحديث الصحيح الوارد عن رسول الله صلى الله عليه و آله و أهل البيت عليهم السَّلام بمعارف غنية كثيرة، و ذات دلالات متنوعة على الرغم من مركزية الدلالة الأم فى تلك الأحاديث و ظهورها بشكل واضح.

و من هنا نجد فى أغلب كتب الحديث اضطراب المحدث إلى إعادة

ص: ١٢٠

^{٢٦٦} (٢) تفسير روح المعانى / الآلوسى ٢٠: ١١ مبحث فى: أ\ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ E سورة النمل: ٢٧ / ٦٥.

الحديث الواحد فى أبواب متعددة من كتابه، و ما ذاك إلّا علامة على ذلك الغنى المطّرد فى دلالة الحديث الواحد على أكثر من موضوع.

و لم تخرج أحاديث الإمام الصادق عليه السّلام فى موضوع الغيبة عن هذه القاعدة، إذ عادة ما نجد فيها ما يشير إلى أمور أخرى مهمة ذات صلة وثيقة بالغيبة أو بالكشف عن صاحبها الموعود عليه السّلام، و من هنا جرى تصنيفها على أساس مركزية الدلالة لا على أساس ما تضمنته من عناوين أخرى هى صالحة بالتأكيد للانطباق على عناوين أخرى من هذا البحث.

و بهذا نعود إلى مكونات الوحدة الموضوعية للغيبة عند إمامنا الصادق عليه السّلام لنبحثها فى الفصول الثلاثة المتبقية من هذا الباب، كالآتى.

ص: ١٢١

الفصل الثانى تأكيد الإمام الصادق عليه السّلام على غيبة الإمام المهدي عليه السّلام، و طولها

كان الإمام الصادق عليه السّلام مدركا تماما ما للغيبة من معنى، إنه اختفاء القائد فجأة، الأمر الذى يحتاج معه إلى ترويض العقل الشيعى لقبول هذا الغياب المفاجيء الذى لم تشهد مثله الشيعة فى تاريخها من قبل، إنها غيبة طويلة، لابدّ من التركيز عليها و بيان إرهاباتها التاريخية، و ما سيرافقها من أحداث، و ما يتزامن معها من فتن، و هو ما وضحه الإمام الصادق عليه السّلام بكلّ دقّة و تفصيل.

أولا- تأكيد الإمام الصادق عليه السّلام على غيبة الإمام المهدي عليه السّلام:

و يدلّ على ذلك أحاديث كثيرة نذكر منها:

١- عن زرارة، عن الإمام الصادق عليه السّلام: «إن للقائم غيبة قبل أن يقوم، قلت: ولم؟ قال: إنه يخاف، و أوما بيده إلى بطنه، يعنى:

ص: ١٢٢

القتل»^{٢٦٧}.

تضمن هذا الحديث الصحيح الإشارة إلى بعض علل الغيبة، أعنى:

^{٢٦٧} (١) أصول الكافى ١: ٣٣٨ / ٩، و ١: ٣٤٠ / ١٨ باب فى الغيبة.

الخوف من القتل، و هي العلة الظاهرة على مسرح الأحداث التاريخية التي أعقبت وفاة الإمام الحسن العسكري والد الإمام المهدي عليهما السلام، و إلّا فهناك علل أخرى وردت عن الإمام الصادق عليه السلام أيضا، من قبيل أن لا يكون في عنق الإمام المهدي عليه السلام نوع التزام للحاكم قبيل الظهور من عهد أو بيعة، و جريان السنن السابقة في غيبات الأنبياء عليهم السلام، في غيبة الإمام المهدي عليه السلام و نحو ذلك من العلل غير المنظورة في ابتداء زمن الغيبة، كما سيأتى في بيان علل الغيبة.

و في الحديث أيضا إخبار بشيئين قبل أو ان حدوثهما:

أحدهما: غيبة الإمام المهدي عليه السلام، و قد وردت في الحديث نصا، و لم تتحقق إلّا في شخص الإمام الثاني عشر عليه السلام، لثبوت بطلان من ادّعت غيبته، بوفاة، و تغسيله، و كفنه، و الصلاة على جنازته، و دفنه كما هو حال دعوى الكيسانية بغيبة محمد بن الحنفية رضى الله عنه، و دعوى الواقفية بغيبة الإمام الكاظم عليه السلام. و نحو ذلك من الدعاوى الأخرى الباطلة.

الآخر: و هو لا يقل أهمية عن الإخبار الأول، و قد تحقّق على طبق ما أخبر به عليه السلام، و هو الإشارة إلى أن الأمة سوف لن تنصف آل محمد صلى الله عليه و آله، و أنّها ستبقى على حالها ببخس حقهم من السلطة، و إبعادهم عما جعله

ص: ١٢٣

الله تعالى لهم من الخلافة، و أن القائمين على السلطة سيتمادون بغيبهم، و يضاعفون تعسفهم على أهل بيت نبيهم صلى الله عليه و آله لدرجة يضطرّ معها الإمام المهدي عليه السلام إلى الاختفاء عنهم.

و قد تحقّق هذا في سنة (٢٦٠ هـ) بغيبة إمامنا الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

٢- و عن المفضل بن عمر، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «أما و الله ليغيبن إمامكم سنيانا من دهركم، و لتمحصن حتى يقال: مات أو هلك بأى وادى سلك، و لتدمعنّ عليه عيون المؤمنين، و لتكفأنّ كما تكفأ السفن في أمواج البحر، و لا ينجو إلّا من أخذ الله ميثاقه، و كتب في قلبه الإيمان، و أيدّه بروح منه، و لترفعنّ اثنتا عشرة راية مشتبهة لا يدري أىّ من أىّ، قال: فبكيت، فقال لى: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ فقلت: و كيف لا أبكى و أنت تقول: اثنتا عشرة راية مشتبهة لا يدري أىّ من أىّ!! فكيف نصنع؟ قال: فنظر إلى شمس داخلّة في الصفة، فقال: يا أبا عبد الله ترى هذه الشمس؟ قلت: نعم، قال: و الله لأمرنا أبين من هذه الشمس»^{٢٦٨}.

و في حديث المفضل هذا تأكيد لما سيكون في زمان الغيبة من تمحيص و اختبار، حتى يقال ما يقال حينئذ، و يفهم من الحديث أن

^{٢٦٨} (١) إكمال الدين ٢: ٣٤٧ / ٣٥ باب ٣٣، و اصول الكافي ١: ٣٣٨ - ٣٣٩ / ١١ باب في الغيبة، و ١: ٣٣٦ / ٣ من الباب السابق، و كتاب الغيبة / النعماني: ١٥١ -

١٥٣ / ٩ و ١٠، و دلائل الإمامة: ٥٣٢ - ٥٣٣ / ٥١٢، و كتاب الغيبة / الشيخ الطوسي: ٣٣٧ - ٣٣٨ / ٢٨٥، و التنوين في (سنيين) على لغة بنى عامر، فلاحظ.

القائل بهذا هم من الشيعة أنفسهم، نتيجة الدعاية الواسعة التي يشنّها الطرف الآخر، المتمثل بالسلطة و أعوانها، و بعض عملائها كجعفر الكذاب عمّ الإمام المهدي عليه السّلام، زيادة على شدة البلية، و طول المحنة، و كثرة الفتن، كل ذلك عوامل مباشرة في حصول الاضطراب عند ذوى النفوس الضعيفة من الشيعة، و تزلزل عقيدتهم، كالذى حصل لدى شريحة منهم في تأييد بعض المقولات الفاسدة التي ظهرت بعد وفاة الإمام العسكري عليه السّلام، من قبيل مدعيات جعفر الكذاب و نظرائه. و في مقابل هذا تجد في صفوفهم المصدق الواقعي لقوله تعالى: **لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ**^{٢٦٩}.

و قوله عليه السّلام: «و لترفعنّ اثنتا عشرة راية مشتهية ..» إشارة إلى تشتت الآراء، و اختلاف النوازع، و تعدّد الأهواء، و كثرة أتباع الدنيا، و دعواتهم الباطلة، و غير ذلك من صور الظلم و مستلزماته، و قد كان هذا و ما زال موجودا بين الناس على المستوى المذهبي الإسلامي، و على المستوى السياسى و الاقتصادي، و غير ذلك من حقول الحياة المختلفة؛ لأنّ الحقّ و الباطل فى صراع دائم، و إذا ما غلب الباطل انحرف المجتمع و انقسم على ذاته، و تناحر فى داخله على طول خط انحرافه. و أمّا عن دعاة السوء و الأئمة المضلّين، فما أكثرهم فى التاريخ، فقد كانوا و لا زالوا يتمثلون بالعلماء المزيفين الضالعين مع الأجهزة الحاكمة المتعسفة الظالمة

عبر التاريخ.

و هذا هو ما أشار إليه الإمام الصادق عليه السّلام بعبارة: «و لا ينجو إلّا من أخذ الله ميثاقه، و كتب فى قلبه الإيمان، و أيّد بروح منه».

و لما كانت علامات الحقّ واضحة لائحة، و إنّها أبين من ضوء الشمس الداخل من الكوة الصغيرة، فضلا عما يحيط بالمهدي عليه السّلام من التأييد الإلهي، و ما يتلطف عليه الله عزّ و جلّ بالآيات الباهرة و المعجزات الظاهرة، مع علومه و أخلاقه و كمالاته عليه السّلام، فلا خوف إذن على المؤمنين من رايات الضلال التي سترفع بوجوههم على أمل صرفهم عن المنقذ العظيم، لأنّهم أبعد ما يكون عن الاشتباه بها، و إنّما الذى سيقع فى حضيضها هو ليس إلّا من لا يطلب الحقّ و يريد الشبهة فى الدين ابتغاء الفتنة.

و هكذا حاول الإمام الصادق عليه السّلام بهذا الحديث و أمثاله أن يكشف للأمة المعالم الصحيحة لمعرفة الحقّ و الحقيقة.

و إذا كان المفضّل قد أرسل دمعة حرى لسماعه نبأ الغيبة و حيرة الناس يومئذ، فقد كان الإمام الصادق عليه السّلام غزير الدمعة على ولده المهدي، بالغ التوجّع، شديد الحسرة، و كم رأى عليه السّلام مهموما مغموما و هو يخبر الشيعة بغيبة المؤمل المنتظر، و

كأنه عليه السلام كان يعيش حالة الآمة، و هي واقفة مكتوفة الأيدي على ما يصنعه العباسيون، و قضاتهم، و شرطتهم بيت النبوة و مهبط الوحي و التنزيل، بالبحث و التنقيب عن خاتم الأنمة،

ص: ١٢٤

و مصادرة ميراثه من أبيه عليهما السلام، و تمزق قلوب أتباعه، و لكنه التمحيص و البلاء الذي لا بد منه. و يدل على ذلك ما في الحديث المؤلم الآتي:

٣- عن سدير الصيرفي، و المفضل بن عمر، و أبي بصير، و أبان بن تغلب؛ كلهم عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث طويل جاء فيه قوله عليه السلام:

«... سيدى! غيبتك نفت رقادى، و ضيقت على مهادى، و ابتزّت منى راحة فؤادى، سيدى! غيبتك أوصلت مصابى بفجائع الأبد...» و حين سأله عليه السلام عن سر توجعه، قال عليه السلام: «نظرت فى كتاب الجفر صبيحة هذا اليوم ... و تأولت فيه مولد قائمنا، و غيبتة، و ابطاءه، و طول عمره، و بلوى المؤمنين فى ذلك الزمان، و تولد الشكوك فى قلوبهم من طول غيبتة ...»^{٢٧٠}.

هذا و قد مرّ الكلام عن الجفر و اعتراف ابن خلدون، و الجرجاني، و صاحب كشف الظنون بصحة كتاب الجفر، و أكدوا صراحة على إخبار الصادق و الرضا عليهما السلام من هذا الكتاب بحوادث مستقبلية وقعت على طبق ما أخبرا به.

و هذا الحديث قد تضمّن من الآيات الدالة على الإمام الثانى عشر عليه السلام الكثير الذى لا ينطبق إلّا عليه عليه السلام.

ص: ١٢٧

و من خلال معرفتنا بوفيات رواة الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام مباشرة يتضح لنا انهم أدركوا الإمام الكاظم عليه السلام و بعضهم عاصره، و عليه لا بدّ و أن يكون الحديث هذا بعد ولادة الإمام الكاظم عليه السلام بسنين كثيرة الأمر الذى يدل قوله عليه السلام: «و تأولت فيه مولد قائمنا» أنه لا مجال للتصديق بدعوى مهدوية الإمام الكاظم عليه السلام التى تزعمتها رؤوس الواقفية طمعا فى أمواله عليه السلام بعد وفاته لأنه كان عليه السلام مولودا فى ذلك الحين.

و يزيد هذا الأمر وضوحا أن الإمام الصادق عليه السلام لم يكتف بالتصريح بطول الغيبة و تولد الشكوك فى القلوب من طولها، لئلا يكون هذا إغراء بمقولة الواقفية الذين قالوا بأن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام قد غاب فى حبس هارون لعنه الله، و إنما صرح الإمام الصادق عليه السلام بطول العمر، الأمر الذى زيف قولهم و أبطله قبل انطلاقه، و مما زاده زيفا و دحضته الأيام و كذبه التاريخ هو عمر الإمام الكاظم عليه السلام حيث استشهد و هو فى سن الخامسة و الخمسين، فأين طول العمر إذن؟

^{٢٧٠} (١) إكمال الدين ٢: ٣٥٢ - ٣٥٧ / ٥٠ باب ٣٣، و ينابيع المودة/ القندوزى الحنفى ٣: ٣١٠ - ٣١١ / ٢ باب ٨٠.

و قد جاءت هذه الفوائد فى غمرة التأكيد على حصول الغيبة بالإمام الثانى عشر عليه السلام، و إلا فسيأتى ما يدلّ على طولها صراحة فى العنوان الآتى.

ثانيا- تصريح الإمام الصادق عليه السلام بطول غيبة الإمام المهدي عليه السلام:

١- عن محمد بن حمران، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «القائم منا منصور بالرعب، مؤيد بالنصر، تطوى له الأرض، و تظهر له الكنوز

ص: ١٢٨

كلها، و يظهر الله تعالى به دينه على الدين كله و لو كره المشركون، و يبلغ سلطانه المشرق و المغرب، و لا يبقى فى الأرض خراب إلا عمر، و ينزل روح الله عيسى بن مريم عليه السلام فيصلى خلفه. ثم قال ابن حمران: قيل له:

يا ابن رسول الله! متى يخرج قائمكم؟ قال عليه السلام: إذا تشبه الرجال بالنساء، و النساء بالرجال - ثم ذكر عليه السلام جملة من علامات الظهور إلى أن قال:- و ذلك بعد غيبة طويلة»^{٢٧١}.

٢- و عن سدير الصيرفى، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إنّ للقائم منا غيبة يطول أمدّها. قال: فقلت له: يا ابن رسول الله! و لم ذلك؟ قال: لأنّ الله عز و جل أبى إلا أن تجرى فيه سنن الأنبياء عليهم السلام فى غيبتهم، و أنّه لا بدّ له يا سدير من استيفاء مدد غيبتهم، قال الله تعالى: **لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ**^{٢٧٢} أى: سنن من كان قبلكم»^{٢٧٣}.

٣- و عن حماد بن عبد الكريم الجلاب، قال: «ذكر القائم عند أبى عبد الله عليه السلام فقال: أما أنّه لو قد قام، لقال الناس: أنى يكون هذا، و قد بليت عظامه منذ كذا و كذا»^{٢٧٤}.

ص: ١٢٩

٤- و عن سليمان بن خالد، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه و آله: كيف إذا استيأستم من المهدي؟ فيطلع عليكم صاحبكم مثل قرن الشمس، يفرح به أهل السماء و الأرض. فقيل: يا رسول الله! و أنى يكون ذلك؟ قال صلى الله عليه و آله: إذا غاب عنهم المهدي و أيسوا منه»^{٢٧٥}. كناية عن طول غيبته عليه السلام.

^{٢٧١} (١) مختصر اثبات الرجعة / الفضل بن شاذان: ٢١٦ - ٢١٧ / ١٨.

^{٢٧٢} (٢) سورة الانشقاق: ٨٤ / ١٩.

^{٢٧٣} (٣) علل الشرائع / الشيخ الصدوق ١: ٢٤٥ / ٧ باب ١٧٩، و إكمال الدين ٢: ٤٨٠ - ٤٨١ / ٦ باب ٤٤.

^{٢٧٤} (٤) كتاب الغيبة / النعماني: ١٥٥ / ١٤ باب ١٠، و أخرجه قبل هذا عن زائدة بن قدامة، عن بعض رجاله عن الإمام الصادق عليه السلام فى الحديث رقم ١٣ من الباب المذكور.

^{٢٧٥} (١) دلائل الإمامة: ٤٦٨ / ٤٥٥ (٥٩).

ثالثاً- تصريح الإمام الصادق عليه السلام بأن للمهدي عليه السلام غيبتين (صغرى وكبرى):

روى حديث الغيبتين، عن الإمام الصادق عليه السلام كل من: أبى بصير، و زرارة، و إسحاق بن عمار، و حازم بن حبيب، و عبيد بن زرارة، و المفضل ابن عمر، كما ورد حديث الغيبتين على لسان إمامنا الباقر عليه السلام فى ما رواه عنه إبراهيم بن عمر اليماني، و محمد بن مسلم الثقفى و كذلك ورد حديث الغيبتين على لسان الإمام زين العابدين عليه السلام، كما سيأتى مفصلاً بعد قليل.

و المراد بالغيبتين: الغيبة الصغرى التى حصلت بعد وفاة الإمام العسكرى عليه السلام مباشرة، و تمتد هذه الغيبة من زمان وفاة الإمام العسكرى عليه السلام فى الثانى و العشرين من شهر ربيع الأول (سنة / ٢٦٠ هـ) إلى وقت وفاة رابع السفراء أبى الحسن على بن محمد السمرى رضى الله عنه، و ذلك فى النصف من شعبان (سنة / ٣٢٩ هـ)، فتكون مدة الغيبة الصغرى ثمان و ستين سنة، و أربعة أشهر، و ثلاثة و عشرين يوماً.

و قد كان للإمام المهدي عليه السلام فى تلك الغيبة أكثر من عشرين وكيلًا

ص: ١٣٠

موزعين على شتى المدن و الأمصار الإسلامية، لكنّ الثقل الأعظم فى إيصال تعاليم الإمام إلى قواعده الشعبية كان على كاهل السفراء الأربعة قدس الله أرواحهم الزكية، و هم:

أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري الأسدي و بقى فى السفارة بحدود خمس سنين، ثم جاء من بعد وفاته رضى الله عنه (سنة / ٢٦٥ هـ تقريباً) ابنه أبو جعفر محمد بن عثمان، فقام مقام أبيه، و توفى رضى الله عنه (سنة / ٣٠٤ هـ)، و قيل: (سنة / ٣٠٥ هـ)، و بقى فى السفارة زهاء أربعين سنة، ثم جاء بعد وفاته السفير الثالث أبو القاسم الحسين بن روح طاب ثراه، و بقى فى السفارة إلى حين وفاته رضى الله عنه فى شهر شعبان (سنة / ٣٢٦ هـ)، ثم تلاه على ذلك السفير الرابع أبو الحسن على بن محمد السمرى، و بموت السمرى رضى الله عنه فى النصف من شهر شعبان (سنة / ٣٢٩ هـ)، انتهت مدة الغيبة الصغرى، ثم حلت بعدها الغيبة الكبرى لإمام العصر و الزمان أرواحنا فداء، و لا يعلم أحد بأمدها و مدتها إلّا الله عزّ و جلّ، و فيها انقطعت السفارة ليتولى مراجع الدين من الشيعة دور النيابة عن الإمام عليه السلام وفقاً للقواعد الشرعية التى وردت على لسان أهل البيت عليهم السلام بما فى ذلك إمامنا المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

و هكذا عرف الشيعة الإمامية، دسائس الكذابين و المهرجين، الذين حاولوا صرف أخبار الغيبتين إلى مدعيات الواقفية و قولهم بغيبة الإمام الكاظم عليه السلام، متناسين التاريخ الذى نطق بشهادة الإمام الكاظم عليه السلام، كما نطق بصاحب الغيبتين عليه السلام إجمالاً و تفصيلاً.

ص: ١٣١

١- عن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «كان أبو جعفر عليه السلام يقول: للقائم من آل محمد عليه و عليهم السلام غيبتان: واحدة طويلة، و الأخرى قصيرة. قال: فقال لي: نعم يا أبا بصير، إحداهما أطول من الأخرى...»^{٢٧٦}.

و هذا الحديث أخرجه النعماني عن الحسن بن محبوب، و نقله الطبري الإمامي في دلائل الإمامة، و الإربلي في كشف الغمّة؛ كلاهما من كتاب المشيخة للحسن بن محبوب مع التصريح بهذا، و رواه الفضل بن شاذان المتوفى في حياة الإمام العسكري عليه السلام و لم يشهد أيّا من الغيبتين عن شيخه الحسن بن محبوب مباشرة، و الحسن بن محبوب مات سنة ٢٢٤ هـ.

جدير بالذكر أنه قد ثبت عن الإمام الباقر عليه السلام ما قاله أبو بصير في هذا الحديث. ففي الصحيح عن إبراهيم بن عمر اليماني قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إنّ لصاحب هذا الأمر غيبتين»^{٢٧٧}.

كما سمعه محمد بن مسلم التقفي يقول عليه السلام: «إنّ للقائم غيبتين، يقال له في إحداهما: هلك، و لا يدري في أيّ واد سلك».

و في حديث ثابت الثمالي، عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام، قال: «... و إنّ للقائم منا غيبتين إحداهما أطول من

ص: ١٣٢

الأخرى»^{٢٧٨}.

و قد صحّ حديث الغيبتين عن الإمام الصادق عليه السلام من طرق شتى.

٢- ففي الصحيح عن زرارة، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «للقائم غيبتان أحداهما أطول من الأخرى»^{٢٧٩}.

٣- و عنه أيضا، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ للقائم غيبتين، يرجع في أحداهما، و في الأخرى لا يدري أين هو، يشهد المواسم، يرى الناس و لا يرونه»^{٢٨٠}.

^{٢٧٦} (١) كتاب الغيبة/ النعماني: ١٧٢-١٧٣/ باب ١٠، و دلائل الإمامة: ٥٣٥/ ٥٢٠، و كشف الغمّة: ٤٥٣-٤٥٤، و إثبات الرجعة للفضل بن شاذان كما في مختصره

للشيخ الحرّ العاملي: ١٩٥، و إعلام الوري/ الطبرسي ٢: ٢٥٨-٢٥٩.

^{٢٧٧} (٢) كتاب الغيبة/ النعماني: ١٧١/ ٣ باب ١٠.

^{٢٧٨} (١) إكمال الدين: ٣٢٣/ ٨ باب ١٨.

^{٢٧٩} (٢) دلائل الإمامة: ٥٣٠/ ٥٠٦.

^{٢٨٠} (٣) كتاب الغيبة/ النعماني: ١٧٥/ ١٥ باب ١٠.

٤- و عن عبيد بن زرارة، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «للقائم غيبتان يشهد في إحداهما المواسم يرى الناس و لا يرونه»^{٢٨١}.

٥- و في الصحيح عن إسحاق بن عمار، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«للقائم غيبتان إحداهما قصيرة، و الأخرى طويلة، الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه فيها إلّا خاصّة شيعة، و الأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلّا خاصّة

ص: ١٣٣

مواليه»^{٢٨٢}.

٦- و في الصحيح عن حازم بن حبيب، قال: «قال لى أبو عبد الله عليه السلام:

يا حازم إنّ لصاحب هذا الأمر غيبتين يظهر في الثانية، فمن جاءك يقول إنّهُ نفّض يده من تراب قبره فلا تصدّقه».

و هذا الحديث سمعه أبو محمّد على بن أحمد العلوى من عبد الله بن جبلة، و قد نقله الشيخ الطوسى من كتاب العلوى هذا مباشرة^{٢٨٣}، كما نقله الفضل بن شاذان (ت / ٢٦٠ هـ) عن عبد الله بن جبلة أيضا^{٢٨٤}، و سمعه عبيس بن هشام (ت / ٢٢٠ هـ أو قبلها بسنة) من عبد الله بن جبلة^{٢٨٥}، و عبد الله بن جبلة هذا مات سنة ٢١٩ هـ بلا خلاف، و مع هذا، فلم ينحصر الطريق إلى حازم بن حبيب به، إذ أخرج النعمانى حديث حازم ابن حبيب بطريق ثان ليس فيه ابن جبلة^{٢٨٦}، الأمر الذى يؤكّد صحّة ما سبق ذكره من شهادات أعلام الطائفة بوجود هذه الأحاديث فى الكتب المؤلّفة قبل الغيبة بعشرات السنين. و بنفس هذه الطريقة يمكن الاستدلال

ص: ١٣٤

على إثبات وجود معظم الأحاديث السابقة كذلك بغضّ النظر عن الشهادات المتقدّمة، و لو لا خشية الإطالة لبينا ذلك مفصّلاً.

^{٢٨١} (٤) أصول الكافى ١: ٣٣٩ / ١٢ باب فى الغيبة، و نحوه فى ١: ٣٣٧ - ٣٣٨ / ٦ من الباب السابق، و كتاب الغيبة / النعمانى: ١٧٥ - ١٧٦ / ١٦ باب ١٠، و دلائل الإمامة: ٥٣١ / ٥٠٩، و: ٤٨٢ / ٤٧٧ و نحوه فى أصول الكافى ١: ٣٣٧ - ٣٣٨ / ٦ باب فى الغيبة، و إكمال الدين ٢: ٣٤٦ / ٣٣ باب ٣٣، و ٢: ٣٥١ / ٤٩ باب ٣٣، و ٢: ٤٤٠ / ٧ باب ٤٣ و كتاب الغيبة / النعمانى: ١٧٥ / ١٣ و ١٤ باب ١٠، و كتاب الغيبة / الشيخ الطوسى: ١١٩ / ١٦١.

^{٢٨٢} (١) أصول الكافى ١: ٣٤٠ / ١٩، و كتاب الغيبة / النعمانى: ١٧٠ / ١ و ٢ باب ١٠ من طريقين.

^{٢٨٣} (٢) كتاب الغيبة / الشيخ الطوسى ٥٤ / ٤٦، و فيه: «قال: و حدّثنى عبد الله بن جبلة .. الخ»، و القائل هو العلوى المذكور؛ إذ صرح الشيخ - قبل ذلك - بالنقل من كتابه. راجع كتاب الغيبة ص: ٤٣.

^{٢٨٤} (٣) كتاب الغيبة / الشيخ الطوسى: ٤٢٣ - ٤٢٤ / ٤٠٧.

^{٢٨٥} (٤) كتاب الغيبة / النعمانى: ١٧٢ / ٦ باب ١٠.

^{٢٨٦} (٥) كتاب الغيبة / النعمانى ١٧٢ / ذيل الحديث السادس باب ١٠.

٧- و عن المفضل بن عمر، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لصاحب هذا الأمر غيبتان: إحداهما يرجع منها إلى أهله، والأخرى يقال: هلك، في أي واد سلك...»^{٢٨٧}.

٨- و عن المفضل بن عمر أيضا، عن الصادق عليه السلام قال: «إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبتين: إحداهما تطول حتى يقول بعضهم: مات، وبعضهم يقول: قتل، وبعضهم يقول: ذهب ... الحديث»^{٢٨٨}.

و الذى ينبغى التنبيه عليه فى هذه الأحاديث الشريفة، توضيح ما جاء فيها من أن الإمام المهدي فى غيبته عليه السلام يرى الناس و لا يرونه، بمعنى أنه يختفى جسمه الشريف عن الأنظار فى الوقت الذى يكون فيه موجودا فى مكان ما مع الناس - فى الموسم أو غيره- و لكن الناس لا ترى فى ذلك المكان شيئا.

و هناك أحاديث كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام بهذا المعنى المعبر عن الأسلوب الوقائى الذى يستخدمه الإمام المهدي عليه السلام فى كيفية احتجابه عن الناس، و نجاته من برائن الظلم؛ لأنه فى اختفائه بهذا الأسلوب يكون فى

ص: ١٣٥

مأمن قطعى حقيقى من أية مطاردة، أو تنكيل، أو خوف حيثما كان على وجه الأرض.

و ربّما قد يستكثر بعضهم تزويد الإمام المهدي عليه السلام بمثل هذه القدرة على الاختفاء! و هو استكثار فى غير محله؛ لأنّ توقّف وجود و سلامة الأهداف الإلهية الكبرى على المعجزة- و طول عمر الإمام المهدي عليه السلام و اختفاؤه منها- يعنى حتمية التدخّل الإلهي فى إيجاد تلك المعجزة من أجل تحقيق الهدف المطلوب.

فالقدرة على الاختفاء مع طول العمر، أمران لا بدّ منهما فى حفظ الإمام المهدي عليه السلام، و إلّا كيف يتسنّى له القيام بالمسؤولية الإسلامية الكبرى فى آخر الزمان لو كان ظاهرا للعيان، غير مكترث بالمخاطر التى تحفّه من كلّ مكان؟

إنّ أهمية ذلك اليوم الموعود الذى سيعمّ فيه الإسلام أقطار الأرض، و ينتشر العدل فى ربوع المعمورة كلّها، أهمية عظيمة عند الله تعالى، و عند رسوله الكريم صلى الله عليه و آله؛ إذ ستتحقّق من خلاله الأغراض الأساسية من خلق البشرية، كما ستتحقّق به آمال الأنبياء و المرسلين عليهم السلام، و تتكلّل جهودهم بوجود ذلك المجتمع العادل، و ظهور دولة الحقّ.

^{٢٨٧} (١) أصول الكافي ١: ٣٤٠ / ٢٠ باب فى الغيبة.

^{٢٨٨} (٢) كتاب الغيبة / النعماني: ١٧١-١٧٢ / ٥ باب ١٠، و كتاب الغيبة / الشيخ الطوسي: ٦١ / ٦٠، و: ١٦٢ / ١٢٠، و عقد الدرر / المقدسى الشافعي: ١٧٨-١٧٩ باب

٥، و البرهان / المتقى الهندي: ١٧١-١٧٢ / ٤.

و من ثمَّ فإنَّ ولادة الإمام المهدي ابن الإمام العسكري عليهما السَّلام التي ثبتت ثبوتاً قطعياً لا ريب فيه، تقرَّب من حقيقة تلك الأحاديث و تحكم على صحتِّها؛ لأنَّها عبَّرت و بكلِّ وضوح عن تعلُّق الغرض الإلهي بحفظ المهدي عليه السَّلام و صيانتته عن الأعداء بالاختفاء، و عن بقاء وجوده الشريف

ص: ١٣٦

بطول العمر و ذلك عن طريق الاعجاز الإلهي وفاء بالغرض الكبير.

هذا، و يعلم من أحاديث كثيرة أخرى أنَّ أسلوب الاختفاء المذكور ليس هو الأسلوب الوحيد الذي يكتنف حياة الإمام المهدي عليه السَّلام، و إنَّما له عليه السَّلام أن يخرج عن هذا النمط من الاختفاء إلى الظهور المؤقَّت في زمان الغيبة كلَّما اقتضت المصلحة ذلك، و لكن بصورة لا يستشعر من خلالها كلُّ من يراه بأنَّه المهدي الموعود عليه السَّلام.

ص: ١٣٧

الفصل الثالث في بيان ما مطلوب في زمان الغيبة

بعد تأكيد الإمام الصادق عليه السَّلام على ثبوت أصل العقيدة المهدوية عن رسول الله صَلَّى الله عليه و آله، و تنبيه الأمة على حكم من أنكرها، و إخباره - كما مرَّ - عليه السَّلام بهوية الإمام المهدي عليه السَّلام و غيبته و ما سيجري عليه بعد ولادته، فلا بدَّ من اتخاذ الاحتياطات اللازمة لاتخاذ الأمة و ارشادها إلى ما يعصمها من الضلالة، و هو ما قام به عليه السَّلام خير قيام، حيث اضطلع عليه السَّلام بمهمة التوعية و التنقيف الإسلامي بما هو مطلوب في مرحلة غياب الإمام المهدي عليه السَّلام، كما سيتضح من العناوين الآتية:

أولاً- الوصية بعدم إنكار الغيبة، و النهي عن الانحراف، و لزوم التصديق:

إنَّ معنى إنكار الغيبة، هو إنكار وجود الإمام المهدي عليه السَّلام، و بالتالي هو عين الانحراف و عدم التصديق، و قد مرَّ ما يغنى عن إعادته في خصوص من أنكر وجود الإمام، و من ردَّ على آل البيت عليهم السَّلام، كمن ركب رأسه، و اتبع هواه.

ص: ١٣٨

و من هنا حاول الإمام الصادق عليه السَّلام التركيز على هذه المفاصل الأساسية، لتتخذ الأمة حذرهما، و تكون في يقظة دائمة ممَّا يحاول أعداء الحق إثارتته من خرافات و شبهات حول خاتم الأئمة الإمام المهدي أرواحنا فداء.

و يدلُّ على ذلك أحاديث لا حصر لها، نذكر منها:

١- عن هشام بن سالم، عن الإمام الصادق، عن آبائه عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «القائم من ولدى اسمه اسمي، وكنيته كنييتي، وشمائله شمائلتي، و سنته سنتي، يقيم الناس على ملتى و شريعتي، و يدعوهم إلى كتاب ربي عزّ و جلّ، من أطاعه فقد أطاعني، و من عصاه فقد عصاني، و من أنكره في غيبته فقد أنكرني، و من كذبه فقد كذبنى، و من صدقه فقد صدقني، إلى الله أشكو المكذبين لى في أمره، و الجاحدين لقولى فى شأنه، و المضلين لأمتى عن طريقته و سيعلم الذين ظلموا أئى مُنقلبٍ ينقلبون» ٢٨٩» ٢٩٠.

٢- و عن محمد بن مسلم، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «إن بلغكم عن صاحب هذا الأمر غيبة فلا تنكروها» ٢٩١.

ص: ١٣٩

و يستفاد من هذين الحديثين لا سيّما الأوّل جملة من الأمور لا بأس بالاشارة السريعة إليها، و هى:

١- وجوب معرفة الإمام المهدي عليه السلام باسمه و كنيته و أصله الشريف.

٢- إنّه متّبع لسنة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله.

٣- وجوب طاعته مطلقا، كما وجبت طاعة الرسول صلى الله عليه وآله مطلقا.

و من جملة طاعة المهدي عليه السلام ما أوصى به عليه السلام- فى تواقع مشهورة عنه عليه السلام- من الورع و التقوى و وجوب الانتظار، و الرجوع فى أخذ معالم الدين الحنيف من الفقيه الصائن لنفسه، المتبع آل محمد صلى الله عليه وآله فى أخلاقهم و هديهم و حلالهم و حرامهم عليهم السلام.

٤- إنّ له عليه السلام غيبة لا بدّ منها، مع التحذير و الوعيد الشديد لمن أنكرها.

٥- ضرورة الابتعاد التام عن المعاندين فى أمر الإمام المهدي عليه السلام لما ورد فيهم من أوصاف أقلها إضلال الأمة عن الحق و أهله، و الواجب بغضهم و عدم مجالستهم أو التقرب أو التودّد إليهم، أو سماع كلامهم، اللهم إلّا من قبيل العمل لهدايتهم، و إلّا فلا، لأنهم اتّبعوا شهواتهم فضلوا و أضلوا.

و من ضمّ هذين الحديثين إلى ما تقدّم، تتّضح سخافة القول بنجاة من يعتقد بمهدى مجهول يخلقه الله تعالى من سلالة الإمام الحسن السبط عليه السلام فى آخر الزمان! لما فى تلك الأحاديث الشريفة من دلالة واضحة على ولادة

٢٨٩ (١) سورة الشعراء: ٢٦ / ٢٢٧.

٢٩٠ (٢) إكمال الدين ٢: ٤١١ / ٦ باب ٣٩، و إعلام الورى / الطبرسى ٢: ٢٢٧ الفصل الثانى.

٢٩١ (٣) اصول الكافى ١: ٣٣٨ / ١٠ و ١: ٣٤٠ / ١٥ باب الغيبة، و كتاب الغيبة / النعمانى: ١٨٨ / ٤٢ باب ١٠، و كتاب الغيبة / الشيخ الطوسى: ١٦٠ - ١٦١ / ١١٨.

الإمام المهدي عليه السّلام و هويته، و إلّا كيف يأتي الأمر بتصديقه، و طاعته، و هو لم يعرف بعد؟! بل كيف يتواتر النهي عن آل محمد صلّى الله عليه و آله كلّهم في عدم إنكار غيبته، و هو لم يولد بعد؟!

ثانياً- وجوب الثّبات على الولاية في زمن الغيبة:

قام أهل البيت عليهم السّلام بتأسيس القواعد المتينة في علاج ما يعترض الامة من عقبات تقف حيال المبادئ الإسلامية التي آمنوا بها و ضحوّا من أجلها.

و قد كان إمامنا الصادق عليه السّلام حريصا على مستقبل التشييع بإزاء ما يراه من تلبد الافق الإسلامي بالرياح الصفراء التي تحاول العبث بكلّ شيء لتغطيه بغبارها الكثيف، ذلك المستقبل الذي يمثّل إرادة السماء، و طموح الرسالة، في بقاء ثلّة على الحقّ لا يضرّها من ناوأها حتّى يأتي الله بأمره، ثلّة خيرة تكمل مسيرة طلائع التشييع الذين لم تنتهم عن الحقّ أعتى العواصف و أقسى همجية الجاهلية الاولى، من أمثال: سلمان، و عمّار، و أبي ذرّ، و أضرابهم رضى الله تعالى عنهم.

مستقبل لا حياة فيه بغير التمسك بعري آل محمد صلّى الله عليه و آله، و الاستماتة من أجل بقاء نهجهم محفورا في قلوب الأتباع، خالدا في ضمير الزمن.

و في هذه الفقرة ما يشير إلى الخطوات التي أمر الإمام الصادق عليه السّلام باتخاذها كضمانات أكيدة في ديمومة مستقبل التشييع بعده، خصوصا في صورة اختفاء الإمام عليه السّلام، سواء كان ذلك بحبس من السلطات الغاشمة كما

حصل مع ولده الإمام الكاظم عليه السّلام، أو بغير ذلك من وسائل الضغط و التعسف كما حصل لبقية الأئمة عليهم السّلام، أو بغيبة كما هو الحال مع الإمام المهدي عليه السّلام.

فالأحاديث الآتية إذن هي أعمّ من اختصاصها بإمام معيّن، و إنّما هي قاعدة عامّة يمكن للقواعد الشيعية تطبيقها على مواردّها كلما ضاق الخناق في زمانهم على واحد من الأئمة الستة من ولد الإمام الصادق عليه السّلام، و إن كان بعضها صريحا في خصوص الإمام السادس من ولد الإمام الصادق عليه السّلام ثاني عشر الأئمة الهداة الميامين: المهدي أرواحنا فداه.

و من تلك الأحاديث الشريفة:

١- عن عبد الله بن سنان، قال: «دخلت أنا و أبي على أبي عبد الله عليه السلام فقال: فكيف أنتم إذا صرتم في حال لا ترون فيها إمام هدى و لا علما يرى، لا ينجو منها إلّا من دعا دعاء الغريق، فقال له أبي: إذا وقع هذا ليلا فكيف نصنع؟ فقال: أمّا أنت فلا تدركه، فإذا كان ذلك فتمسكوا بما في أيديكم حتى يتضح لكم الأمر»^{٢٩٢}.

٢- و عن منصور الصيقل قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا أصبحت و أمسيت يوما لا ترى فيه إماما من آل محمد صلّى الله عليه و آله، فاحبب من كنت تحب، و ابغض من كنت تبغض، و وال من كنت توالى، و انتظر الفرج

ص: ١٤٢

صباحا و مساء»^{٢٩٣}.

٣- و عن أبان بن تغلب قال: «قال لى أبو عبد الله عليه السلام: يأتي على الناس زمان يصيبهم فيه سبطة، يأرز العلم فيها بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها .. فبينما هم كذلك، إذ أطلع الله عزّ و جلّ لهم نجمهم، قال: قلت: و ما السبطة؟ قال: الفترة و الغيبة لإمامكم! قال: قلت: فكيف نصنع فيما بين ذلك؟ فقال: كونوا على ما أنتم عليه حتى يطلع الله لكم نجمكم»^{٢٩٤}.

٤- و عن زرارة قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: يأتي على الناس زمان يغيب عنهم إمامهم. فقلت له: ما يصنع الناس في ذلك الزمان؟ قال:

يتمسكون بالأمر الذي هم عليه حتى يتبين لهم»^{٢٩٥}.

٥- و عن أبي بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «طوبى لمن تمسك بأمرنا في غيبة قائمنا فلم يزغ قلبه بعد الهداية»^{٢٩٦}.

٦- و عن يمان التمار قال: «كنا عند أبي عبد الله عليه السلام جلوسا فقال لنا: إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة، المتمسك فيها بدينه كالخارط للقتاد- ثم قال هكذا بيده- فأيكم يمسك شوك القتاد بيده؟ ثم أطرق مليا، ثم قال: إنّ

ص: ١٤٣

لصاحب هذا الأمر غيبة، فليتنق الله عبد و ليمسك بدينه»^{٢٩٧}.

^{٢٩٢} (١) إكمال الدين ٢: ٣٤٨ / ٣٤٩ / ٤٠ باب ٣٣، و كتاب الغيبة / النعماني: ١٥٩ / ٤ باب ١٠.

^{٢٩٣} (١) كتاب الغيبة / النعماني: ١٥٨ / ٣ باب ١٠، و اصول الكافي ١: ٣٤٢ / ٢٨ باب الغيبة.

^{٢٩٤} (٢) إكمال الدين: ٣٤٩ / ٤١ باب ٣١، و كتاب الغيبة / النعماني: ١٥٩ / ٦ باب ١٠.

^{٢٩٥} (٣) إكمال الدين ٢: ٣٥٠ / ٤٤ باب ٣٣.

^{٢٩٦} (٤) إكمال الدين ٢: ٣٥٨ / ٥٥ باب ٣٣، و معاني الأخبار / الشيخ الصدوق: ١١٢ / ١ باب معنى طوبى.

^{٢٩٧} (١) اصول الكافي ١: ٣٣٥ - ٣٣٦ / ١ باب في الغيبة، و كتاب الغيبة / النعماني:

ثالثاً- التأكيد على انتظار الإمام الغائب عليه السلام في غيبته:

يعدّ الانتظار في مدرسة أهل البيت عليهم السلام من الوظائف الأساسية في عصر الغيبة، وقد نبّه الإمام الصادق عليه السلام على هذه الوظيفة الكفيلة ببناء الفرد بناء إسلامياً صحيحاً، فضلاً عن كونها عبادة.

فقد أخرج الترمذی و الطبرانی عن عبد الله، عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«سلوا الله من فضله، فإن الله عزّ وجل يحبّ أن يسأل، و أفضل العبادة انتظار الفرج»^{٢٩٨}.

و هناك أحاديث كثيرة بهذا المعنى، عن أمير المؤمنين الإمام على بن أبى طالب عليه السلام^{٢٩٩}، و زين العابدين عليه السلام^{٣٠٠}، و كذلك عن ابن مسعود^{٣٠١}،

ص: ١٤٤

و أنس^{٣٠٢}، و ابن عباس^{٣٠٣}، و ابن عمر^{٣٠٤}.

و من هنا قام الإمام الصادق عليه السلام ببيان صفات و واجبات المنتظر للإمام المهدي عليه السلام، مسلطاً الضوء على آثار الانتظار و فوائده، محثاً عليه، مبشراً المنتظرين لظهوره عليه السلام بأنهم من الأولياء الصالحين، و القدوة الربانيين. و نحو هذا من الأمور الأخرى التي يمكن عرضها- من خلال أحاديثه عليه السلام- بالصورة الآتية:

١- توقف قبول العمل على الانتظار:

١٦٩ / ١١ باب ١٠، و إكمال الدين ٢: ٣٤٣ / ٢٥ باب ٣٣، و اثبات الوصية / المسعودي: ٢٦٧، و كتاب الغيبة / الشيخ الطوسي: ٤٥٥ / ٤٦٥، و القتاد: شجر صلب، شوكه كالإبر. و خرط القتاد: مثل يضرب عند ارتكاب صعائب الامور.

^{٢٩٨} (٢) سنن الترمذی ٥: ٥٦٥ / ٣٥٧١ باب ١١٦، و المعجم الكبير / الطبرانی ١٠:

١٢٤ - ١٢٥ / ١٠٠٨٨.

^{٢٩٩} (٣) إكمال الدين ٢: ٢٨٧ / ٦ باب ٢٥، و الجامع الصغير / السيوطي: ٤١٧ / ٢٧١٩ عن ابن عساكر و ابن أبى الدنيا.

^{٣٠٠} (٤) أمالي الشيخ الطوسي: ٤٠٥ / ٩٠٧ مجلس رقم / ١٤.

^{٣٠١} (٥) مجمع البيان / الطبرسي ٣: ٤٠.

^{٣٠٢} (١) تاريخ بغداد / الخطيب البغدادي ٢: ١٥٤ - ١٥٥.

^{٣٠٣} (٢) تلخيص المتشابه بالرسم / الخطيب البغدادي ١: ٢٨٨، و مسند الشهاب ١: ٦٢ / ٤٦.

^{٣٠٤} (٣) أما إلى الشجرى ١: ٢٢٨، و مسند الشهاب ١: ٦٣ / ٤٧.

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «ألا أخبركم بما لا يقبل الله عزّ وجلّ من العباد عملاً إلّا به؟، فقلت: بلى، فقال عليه السلام: شهادة أن لا إله إلّا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، والاقرار بما أمر الله، والولاية لنا، والبراءة من أعدائنا، والورع والاجتهاد، والانتظار للقائم عليه السلام...»^{٣٠٥}.

و يمكن التماس الدليل على صحة توقف العمل على انتظار الفرج من القرآن الكريم في عدّه اليأس من روح الله صفة للكافرين، كما في قوله تعالى: **وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**^{٣٠٦}، وقال بشأن الكافرين: **وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ**

ص: ١٤٥

فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا^{٣٠٧}.

٢- وصف المنتظرين بأنهم من الأولياء:

عن أبي بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: **يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا**^{٣٠٨} قال عليه السلام: «يعنى: خروج القائم المنتظر منا، ثم قال:

يا أبا بصير طوبى لشيعته قائمنا، المنتظرين لظهوره في غيبته، والمطعين له في ظهوره، أولئك أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»^{٣٠٩}.

٣- منزلة المنتظر لإمام الزمان عليه السلام:

عن العلاء بن سيابة، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «من مات منكم على هذا الأمر منتظرا، كان كمن هو في الفسطاط الذي للقائم عليه السلام»^{٣١٠}.

^{٣٠٥} (٤) كتاب الغيبة / النعماني: ٢٠٠ / ١٦ باب ١١.

^{٣٠٦} (٥) سورة يوسف: ٨٧ / ١٢.

^{٣٠٧} (١) سورة الفرقان: ٢٥ / ٢٣.

^{٣٠٨} (٢) سورة الأنعام: ١٥٨ / ٦.

^{٣٠٩} (٣) إكمال الدين ٢: ٣٥٧ / ٥٤ باب ٣٣، و ينابيع المودة / القندوزي الحنفى ٣: ٢٣٨ / ١٠ باب ٢٧١.

^{٣١٠} (٤) كتاب الغيبة / النعماني: ٢٠٠ / ١٥ باب ١١.

و عن الفيض بن المختار، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من مات منكم و هو منتظر لهذا الأمر كان كمن هو مع القائم في فسطاطه، قال: ثم مكث هنيهة، ثم قال: بل كمن قارع معه بسيفه، ثم قال: لا والله إلا كمن استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله»^{٣١١}.

ص: ١٤٦

و عن إبراهيم الكوفي، عن الصادق عليه السلام: «.. المنتظر للثاني عشر كالشاهر سيفه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله و آله يذب عنه»^{٣١٢}.

٤- ما يجب أن يتحلّى به المنتظر و بيان أجر انتظاره:

عن أبي بصير، عن الإمام الصادق، قال عليه السلام: «... من سرّه أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر، و ليعمل بالورع، و محاسن الأخلاق و هو منتظر، فإن مات، و قام القائم بعده، كان له من الأجر مثل أجر من أدركه، فجدوا و انتظروا...»^{٣١٣}.

و من الصفات الأخرى التي ينبغي على المنتظر التحلي بها، صفة التدبّر، و الابتعاد عن المعاصي و الآثام بحيث يراعى تقوى الله تعالى دائماً، و يرشدنا إلى هذا، حديث الإمام الصادق عليه السلام: «.. إن لصاحب هذا الأمر غيبة، فليثق الله عبد و ليتمسك بدينه»^{٣١٤}.

٥- توجّع المنتظر و حزنه و بكاءه على المهدي عليه السلام في غيبته:

عن سدير الصيرفي، قال: «دخلت أنا، و المفضل بن عمر، و أبو بصير، و أبان بن تغلب على مولانا أبي عبد الله الصادق عليه السلام، فرأيناه جالسا على التراب و عليه مسح خيبرى مطوق بلا جيب، مقصّر الكمين،

ص: ١٤٧

و هو يبكي بكاء الواله التكلّي ذات الكبد الحرّى، قد نال الحزن من و جنتيه، و شاع التغيير في عارضيه و أبلى الدموع محجريه، و هو يقول:

^{٣١١} (٥) المحاسن / البرقي: ١٥٠ / ١٥١ باب ٣٨.

^{٣١٢} (١) إكمال الدين ٢: ٦٤٧ / ٨ باب ٥٥.

^{٣١٣} (٢) كتاب الغيبة / النعماني ٢٠٠ / ١٦ باب ١١.

^{٣١٤} (٣) أصول الكافي ١: ٣٣٥ - ٣٣٦ / ١ باب في الغيبة، و كتاب الغيبة / النعماني:

١٦٩ / ١١ باب ١٠، و إكمال الدين ٢: ٣٤٣ / ٢٥ باب ٣٣، و إثبات الوصية / المسعودي: ٢٦٧، و كتاب الغيبة / الشيخ الطوسي: ٤٥٥ / ٤٦٥.

سیدی! غیبتک نفت رقادی، و ضیقت علی مهادی، و ابتزت منی راحة فؤادی، سیدی! غیبتک أوصلت مصابی بفجایع الأبد ..»^{۳۱۵}.

۶- النهی عن قسوة القلوب فی فترة الانتظار:

أخرج الصدوق عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «نزلت هذه الآية في القائم عليه السلام: وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ»^{۳۱۶} ۳۱۷.

و يوضح المعنى المذكور، ما أخرجه النعماني في كتاب الغيبة، عن أحمد ابن الحسن الميثمي، عن رجل من أصحاب أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام، قال: «سمعته يقول: نزلت هذه الآية التي في سورة الحديد:

وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ في أهل زمان الغيبة، ثم قال عزّ وجلّ:

اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ»^{۳۱۸} و قال: إنّما الأمد أمد الغيبة»^{۳۱۹}.

ص: ۱۴۸

ثم قال الشيخ النعماني معلقاً على هذا الحديث:- «فإنه أراد عزّ وجلّ:

يا أمة محمد صلى الله عليه وآله، أو يا معشر الشيعة، لا تكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد. فتأويل هذه الآية جاء في أهل زمان الغيبة و أيامها دون غيرهم من أهل الأزمنة»^{۳۲۰}.

۷- تهیئة وسائل القوة فی فترة الانتظار:

و المطلوب من المنتظر أن يعيش حالة التأهب التامّ و الاستعداد الكامل لنصرة الإمام المهدي عليه السلام، و ما يتطلب ذلك من الاعداد النفسی و المادی معا بحيث، يكون كالجندي الذي ينتظر قائده لخوض معركة حاسمة فاصلة.

^{۳۱۵} (۱) إكمال الدين ۲: ۳۵۲-۳۵۷ / ۵۰ باب ۳۳، و ينابيع المودة/ القندوزي الحنفي ۳: ۳۱۰-۳۱۱ / ۲ باب ۸۰.

^{۳۱۶} (۲) سورة الحديد: ۱۶ / ۵۷.

^{۳۱۷} (۳) إكمال الدين ۲: ۶۶۸ / ۱۲ باب ۵۸.

^{۳۱۸} (۴) سورة الحديد: ۱۷ / ۵۷.

^{۳۱۹} (۵) كتاب الغيبة / النعماني: ۲۴ / من مقدمة المؤلف، و تأويل الآيات / الاسترآبادي ۲: ۶۶۲ / ۱۴، عن الشيخ المفيد.

^{۳۲۰} (۱) كتاب الغيبة / النعماني: ۲۴ من المقدمة (في ذيل الحديث المذكور).

و إلى هذا المعنى يشير حديث الإمام الصادق عليه السلام: «ليعدنّ أحدكم لخروج القائم و لو سهما ..»^{٣٢١}.

٨- ضرورة اعطاء العهد و البيعة للإمام المهدي عليه السلام في غيبته:

و يدلّ عليه دعاء العهد المروى عن الإمام الصادق عليه السلام، و هو دعاء عظيم في بابه، و قد جاء فيه قوله عليه السلام: «اللهمّ إنى أجدد له - أى:

للمهدي عليه السلام - يومى هذا، و ما عشت من أيامى عهدا و عقدا و بيعة له فى عنقى، لا أحول عنها و لا أزول أبدا ..»^{٣٢٢}.

٩- طلب الرجعة فى الدعاء فى حال الموت قبل ظهوره عليه السلام:

كما فى دعاء العهد أيضا، من قوله عليه السلام: «اللهمّ إن حال بينى و بينه

ص: ١٤٩

الموت الذى جعلته على عبادك حتما مقضيا، فاخرجنى من قبرى مؤتزرا كفى، شاهرا سيفى، مجردا قناتى، ملبيا دعوة الداعى فى الحاضر و البادى ..».

١٠- الإكثار من الدعاء فى فترة الانتظار:

و الأدعية الواردة عن أهل البيت عليهم السلام فى هذا كثيرة جدا، و فيها تنوع رائع من الدعاء يطلّ الداعى من خلاله على عالم فسيح، و يفتح على حياة أخرى ملؤها التوحيد، و العبودية الخالصة لله، و الذوبان فى مناجاته سبحانه، و الاخلاص لدينه، و المحبة و الانقياد لرسله و أوليائه عليهم السلام.

و فى أدعية الإمام الصادق عليه السلام تجسيد حىّ لهذه المعانى كلّها؛ و فيما يأتى صورة مختصرة لما تضمنته بعض أدعيته الشريفة فى هذا الخصوص:

أ- الدعاء بالثبات على الدين فى زمان الغيبة:

عن عبد الله بن سنان، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «ستصيبكم شبهة، فتبتقون بلا علم يرى، و لا إمام هدى، و لا ينجو منها إلّا من دعا بدعاء الغريق، قال: يقول يا مقلب القلوب ثبتّ قلبى على دينك ..»^{٣٢٣}.

^{٣٢١} (٢) كتاب الغيبة / النعماني: ٣٢٠ / ١٠ باب ٢١.

^{٣٢٢} (٣) زاد المعاد / المجلسي: ٢٢٣.

^{٣٢٣} (١) إكمال الدين ٢: ٣٥١ - ٣٥٢ / ٤٩ باب ٣٣.

و من الواضح أنّ هذا الدعاء أعمّ من حصره بزمان حبس الإمام الكاظم عليه السّلام، و انقطاعه عن قواعده الشعبية، بل يشمل أهل زمان الغيبة أيضاً.

ب- الدعاء بطلب المعرفة المنجية من الضلال:

و يدلّ عليه حديث زرارة، عن الإمام الصادق عليه السّلام، و فيه: «.. فقلت

ص: ١٥٠

و ما تأمرنى لو أدركت ذلك الزمان؟ قال: ادع الله بهذا الدعاء: (اللهم عرّفنى نفسك، فإنّك إن لم تعرّفنى نفسك لم أعرفك، اللهم عرّفنى نبيّك، فإنّك إن لم تعرّفنى نبيّك لم أعرفه قطّ، اللهم عرّفنى حجّتك، فإنّك إن لم تعرّفنى حجّتك ضللت عن ديني)»^{٣٢٤}.

ج- الدعاء المعبر عن الشوق و المحبة للإمام المهدي عليه السّلام:

و من آداب دعاء المنتظر للفرج فى زمان الغيبة أن يجعل من الدعاء وسيلة معبرة عن حبه و شوقه للإمام المهدي عليه السّلام، و ذلك باهداء التحية و السلام العاطر له عليه السّلام، كما فى دعاء الإمام الصادق عليه السّلام:

«بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم بلغ مولانا صاحب الزمان أينما كان و حيثما كان، من مشارق الأرض و مغاربها، سهلها و جبلها، عنى و عن والدىّ و عن ولدى و أخوانى، التحية و السلام، عدد خلق الله و زنة عرش الله، و ما أحصاه كتابه، و أحاط علمه ..»^{٣٢٥}.

و هذا الدعاء هو مقطع من دعاء العهد المروى عن الإمام الصادق عليه السّلام^{٣٢٦}.

د- الدعاء للإمام المهدي عليه السّلام بتعجيل الفرّج:

و يدلّ عليه ما رواه عبّاد بن محمد المدائنى، عن الإمام الصادق عليه السّلام، فى دعاء

ص: ١٥١

جاء فيه: «.. و انجز لوليّك، و ابن نبيّك - الداعى إليك بإذنك، و أمينك فى خلقك، و عينك فى عبادك، و حجّتك على خلقك، عليه صلواتك و بركاتك - وعده. اللهم أيّده بنصرك، و عجل فرجه، و أمكنه من أعدائك و أعداء رسولك يا أرحم الراحمين.

^{٣٢٤} (١) أصول الكافى / الكلينى ١/ ٣٤٢ / ٢٩ باب فى الغيبة، و ١/ ٣٣٧ / ٥ من الباب السابق، و إكمال الدين ٢: ٢٤٢ / ٢٤.

^{٣٢٥} (٢) بحار الأنوار ٨٦: ٦١ / ٦٩ نقله من كتاب اختيار المصباح لابن باقى.

^{٣٢٦} (٣) راجع: زاد المعاد / المجلسى: ٢٢٣.

قال، قلت: أليس قد دعوت لنفسك جعلت فداك؟

قال عليه السّلام: قد دعوت لنور آل محمد صلّى الله عليه وآله، و سائقهم، و المنتقم بأمر الله من أعدائهم ..»^{٣٢٧}.

و منه أيضا ما رواه حمّاد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السّلام، و قد دخلت عليه الليلة الحادية و العشرون من شهر رمضان المبارك.

و قد روى لنا حمّاد ما فعله الإمام الصادق عليه السّلام من عبادات في تلك الليلة الشريفة، و منها دعاء الإمام عليه السّلام في سجوده: «لا إله إلّا أنت مقلّب القلوب و الأبصار- إلى أن قال عليه السّلام- و أسألك بجميع ما سألتك و ما لم أسألك من عظيم جلالك ما لو علمته لسألتك به، أن تصلى على محمد و أهل بيته، و أن تأذن لفرج من بفرجه فرج أوليائك و أصفياك من خلقك، و به تبيد الظالمين و تهلكهم، عجلّ ذلك يا ربّ العالمين.

قال: فلمّا رفع رأسه عليه السّلام، قلت: جعلت فداك، سمعتك و أنت تدعو بفرج من بفرجه فرج أصفياء الله و أوليائه، أولست أنت هو؟ قال عليه السّلام: لا، ذاك قائم آل محمد عليهم السّلام»^{٣٢٨}.

ص: ١٥٢

ه- الدعاء للمهدى بكلّ خير و تمنى رؤيته عليه السّلام:

كما في دعاء العهد، من قول الإمام الصادق عليه السّلام: «اللهم أرني الطلعة الرشيدة، و الغرة الحميدة، و أكحل ناظريّ بنظرة منى إليه، و عجلّ فرجه و سهّل مخرجه، و اوسع منهجه، و اسلك بى محبّته، و انفذ أمره، و اشدّد أزره، و قوّ ظهره، و عمّر اللهم به بلادك، و أحبب به عبادك، فإنّك قلت و قولك الحقّ ظهّر الفساد في البرّ و البحر بما كسبت أيدي الناس»^{٣٢٩}.

فاظهر اللهم لنا وليك، و ابن وليك، و ابن بنت نبيك المسمى باسم رسولك صلواتك عليه و آله في الدنيا و الآخرة، حتى لا يظفر بشيء من الباطل إلّا مزقه، و يحقّ الحقّ و يحقّقه، و اجعله اللهم مفزعا لمظلوم عبادك، و ناصرا لمن لا يجد له ناصرا غيرك، و مجدّدا لما عطّل من أحكام كتابك، و مشيّدا لما ورد من أعلام دينك و سنن نبيك صلّى الله عليه و آله. و اجعله اللهم ممن حصّنته من بأس المعتدين.

اللهم و سرّ نبيك محمد صلّى الله عليه و آله برؤيته، و من تبعه على دعوته، و ارحم استكانتنا بعده.

^{٣٢٧} (١) فلاح السائل / السيد ابن طاوس: ٢٠٩ / ٣٠٩.

^{٣٢٨} (٢) اقبال الأعمال / السيد ابن طاوس: ٤٩٠ - ٤٩٢ في أدعية اليوم الحادى و العشرين من شهر رمضان.

^{٣٢٩} (١) سورة الروم: ٤١ / ٣٠.

اللهم اكشف هذه الغمة عن هذه الأمة بحضوره، و عجل لنا ظهوره إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا، وَ نَرَاهُ قَرِيبًا^{٣٣٠} برحمتك يا أرحم الراحمين»^{٣٣١}.

ص: ١٥٣

و- الدعاء لنيل شرف خدمة الإمام المهدي عليه السلام و نصرته:

كما في دعاء العهد الشريف المروي عن الصادق عليه السلام: «.. اللهم اجعلني من أنصاره، و أعوانه، و الذابين عنه، و المسارعين في قضاء حوائجه، و التابعين إلى إرادته، و المستشهدين بين يديه ..»^{٣٣٢}.

و من الواضح أنّ ما يعنيه التأكيد و الحثّ على انتظار الغائب، هو بقاء الإمام الغائب حيّاً في غيبته كسائر الأحياء، و في هذا ما يتضمّن الردّ- على من قال كما مرّ في فصول البحث-: مات، أو هلك، في أيّ واد سلك!

رابعاً- الكشف عن حال الناس في زمان الغيبة لأخذ العظة و العبرة:

حاول الإمام الصادق عليه السلام إزاحة الستار عن الغيب؛ لينبئ عمّا سيكون بعد أكثر من مائة عام، و حينئذ لا بدّ و أن يذكر عليه السلام شيئاً يتصل بهوية الإمام المهدي عليه السلام؛ لارتباط الأحداث المقبلة بولادته و غيبته عليه السلام نظير ضلال أكثر الخلق بغيبته، و ارتياب المبطلين فيها، و تمييز أهل الضلالة في ذلك الحين لتجنّبهم، و ما سيقوم الجهلاء حينئذ لكي لا يصغى إليهم، و تأكيد شك المغرضين و أمثالهم بولادته و غيبته، لئلا تتأثر الأمة بمدعياتهم، مع بيان الوسيلة المثلى التي ينبغي مراعاتها بغية الخلاص مما سيقع فيه الكثيرون، و هي الدعاء الذي ما عبد الله بمثله.

١- عن أبي بصير، عن الإمام الصادق، عن آبائه عليهم السلام، عن

ص: ١٥٤

رسول الله صلى الله عليه و آله: قال: «المهدي من ولدي، اسمه اسمي و كنيته كنيتي، أشبه الناس بى خلقاً و خلقاً، تكون له غيبة و حيرة حتى تضلّ الخلق عن أديانهم، فعند ذلك يقبل كالشهاب الثاقب، فيملأها قسطاً و عدلاً كما ملئت ظلماً و جوراً»^{٣٣٣}.

^{٣٣٠} (٢) سورة المعارج: ٧٠ / ٦ - ٧.

^{٣٣١} (٣) زاد المعاد / المجلسي: ٢٢٣.

^{٣٣٢} (١) زاد المعاد / المجلسي: ٢٢٣.

^{٣٣٣} (١) إكمال الدين ١: ٢٨٧ / ٤ باب ٢٥، و إعلام الوري / الطبرسي ٢: ٢٢٦ الفصل الثاني، و ينابيع المودة ٣: ٣٩٦ - ٣٩٧ / ٤٩ باب ٩٤.

٢- و عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: «سمعت الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام يقول: إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبة لا بد منها، يرتاب فيها كل مبطل...»^{٣٣٤}.

٣- و عن فرات بن الأحنف، عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام جاء فيه: «... و ليبعثنَّ الله رجلا من ولدي في آخر الزمان يطالب بدمائنا، و ليغيبنَّ عنهم تمييزا لأهل الضلالة، حتى يقول الجاهل: ما لله في آل محمد صلى الله عليه و آله من حاجة»^{٣٣٥}.

٤- و عن زرارة، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لابد للغلام من غيبة، قلت: و لم؟ قال: يخاف- و أوما بيده إلى بطنه- و هو المنتظر، و هو الذي

ص: ١٥٥

يشكَّ النَّاسُ في ولادته، فمنهم من يقول: حمل، و منهم من يقول: مات أبوه و لم يخلف، و منهم من يقول: ولد قبل موت أبيه بسنتين، قال زرارة:

فقلت: و ما تأمرني لو أدركت ذلك الزمان؟ قال: ادع الله بهذا الدعاء:

(اللهم عرفني نفسك، فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرفك، اللهم عرفني نبيك، فإنك إن لم تعرفني نبيك لم أعرفه قطَّ، اللهم عرفني حجَّتكَ، فإنك إن لم تعرفني حجَّتكَ ضللت عن ديني)».

و قد سمع هذا الحديث قبل حلول الغيبة الصغرى بنحو خمسين عاما، و قد جاء التصريح بهذا في ذيل الحديث من الكافي^{٣٣٦}.

و قد تحقَّق هذا الحديث بعد وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، إذ جاء في الخبر الصحيح الثابت من طرق عديدة ما فعله الحاكم العباسي، و ما تنطَّع به جلاوزته و أعوانه.

و في الحديث تكذيب صريح لجميع تلك الأقوال، حيث لم يكن المهدي عليه السلام في ذلك الوقت (حملا)، بل كان ابن خمس سنين، كما هو الثابت من تاريخ ولادته المشرفة.

و في هذا الحديث أيضا ردٌّ لمن قال بأنَّه ولد قبل موت أبيه بسنتين.

^{٣٣٤} (٢) علل الشرائع / الشيخ الصدوق ١: ٢٤٥-٢٤٦ / ٨ باب ١٧٩، و إكمال الدين ٢: ٤٨١-٤٨٢ / ١١ باب ٤٤، و الخرائج و الجرائح / القطب الراوندي ٢: ٣٠٣، و

الاحتجاج / الطبرسي ٢: ٩٥٥-٩٥٦، و الصراط المستقيم / البياضي ٢: ٢٣٧.

^{٣٣٥} (٣) كتاب الغيبة / النعماني: ١٤٠-١٤١ / ١ باب ١٠.

^{٣٣٦} (١) أصول الكافي / الكليني ١: ٣٤٢ / ٢٩ باب في الغيبة.

و جواب شاف على مزاعم المتخرصين الذين أنكروا ولادته و غيبته و إمامته عليه السّلام.

ص: ١٥٦

و تعريف بالمبطلين الذين ارتابوا، فاتّبعوا الشبهات الواهية، و لم يتمسكوا بعري الدين الوثيقة.

ص: ١٥٧

الفصل الرابع فى بيان الإمام الصادق عليه السّلام علل الغيبة و ما يرافقها من تمحيص و اختبار

أولاً- علل الغيبة:

تضمّنت الأحاديث الواردة عن الإمام الصادق فى ولده الإمام المهدي عليهما السّلام سؤال بعض الأصحاب عن أسباب الغيبة و عللها، و من خلال الإجابة على أسئلتهم يتضح أن للغيبة عللاً ظاهرة و أخرى لم ينكشف وجهها، و بالرجوع إلى ما وقفنا عليه من تلك الأحاديث سواء التى سئل فيها الإمام عن علة الغيبة، أو التى جاءت على لسانه الشريف من غير سؤال، وجدنا العلل الآتية:

العلة الاولى - الخوف من القتل:

و هذه هى العلة الظاهرة التى أيّدها الأحداث التاريخية بكل قوة؛ إذ تواترت الأخبار على معنى واحد، خلاصته معرفة السلطة العباسية بأن الإمام الثانى عشر عليه السّلام يمثل الخطر الأكيد على وجودهم، و من هنا كانوا يترقبون انتظار ولادته على حذر شديد، الأمر الذى يفسر لنا محاولة

ص: ١٥٨

الإمام العسكرى عليه السّلام اخفاء ولادة ولده المهدي الموعود عليهما السّلام عن عامة الناس إلّا الأقرب فالأقرب.

و قد صحّ الخبر - و من طرق شتى - بما فعله الحاكم العباسى بعد وفاة الإمام العسكرى عليه السّلام و رواه الشيعة كلهم، و يكفى أنه و كلّ القوابل على نساء الإمام العسكرى عليه السّلام و إمامه بعد وفاته ليفتشن، كل ذلك لأجل الفتك بالإمام الثانى عشر عليه السّلام و إن كان حملاً!!

فالخوف من القتل كسبب من أسباب الغيبة لا نقاش فيه أصلاً من الناحية التاريخية، و مع هذا فقد جاء الخبر عن إمامنا الصادق عليه السّلام بذلك قبل حدوثه.

١- عن إبان بن عثمان وغيره، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا بد للغلام من غيبة، فقبل له: و لم يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وآله:

يخاف القتل»^{٣٣٧}.

٢- وعن زرارة، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن للقائم غيبة قبل أن يقوم، قلت: و لم؟ قال: إنه يخاف، و أوماً بيده إلى بطنه، يعنى:

القتل»^{٣٣٨}.

و سيأتى عن الإمام الصادق عليه السلام ما يبين هذه العلة في الغيبة، و ذلك من خلال تأكيده على أن فى الإمام المهدي عليه السلام سنة من الأنبياء السابقين. و من جملتها: سنة من موسى خائفاً يترقب و الذى حكاها القرآن الكريم على

ص: ١٥٩

لسان موسى عليه السلام أنه حين ما فرّ من قومه و غاب عنهم زماناً، ثم عاد- بعد حين- إليهم، خاطبهم قائلاً: **فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ**^{٣٣٩}.

فكذلك حال إمامنا المهدي- أرواحنا فداءه- فيما سيخاطب به الناس بعد انتهاء أمد غيبته موضحاً لهم علتها؛ و قد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام ما هو صريح بورود هذه العلة على لسان الإمام المهدي عليه السلام فى ما سيتلوه من كتاب الله تعالى عند ظهوره الشريف.

عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إذا قام القائم عليه السلام تلا هذه الآية: **فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ**»^{٣٤٠}.

العلة الثانية- لكى لا تكون فى عنق المهدي عليه السلام بيعة لأحد:

و هى ما رواه أبو بصير عن الإمام الصادق عليه السلام و غيره، قال:

«صاحب هذا الأمر تعمى ولادته على الخلق؛ لثلاث يكون فى عنقه بيعة إذا خرج»^{٣٤١}.

^{٣٣٧} (١) علل الشرائع ١: ٢٤٣ / ١ باب ١٧٩.

^{٣٣٨} (٢) اصول الكافي ١: ٣٣٨ / ٩ و ١: ٣٤٠ / ١٨، و ١: ٣٤٢ / ٢٩، باب فى الغيبة.

^{٣٣٩} (١) سورة الشعراء: ٢٦ / ٢١.

^{٣٤٠} (٢) كتاب الغيبة / النعماني: ١٧٤ / ١١ باب / ١٠.

^{٣٤١} (٣) إكمال الدين ٢: ٤٧٩ - ٤٨٠ / ١ و ٥ باب ٤٤.

ففى هذا الحديث الصريح بخفاء الولادة إشارة إلى أن المهدي عليه السلام سوف لن يكون متعبدا بالتقية، وإنما الفرض عليه إقامة دولة الحق بالسيف، فى حين أن فرض الجهاد، و منابذة الأعداء، و الخروج بالسيف على الظالم، و القيام بالحرب لم يكن فرض أكثر الأئمة الأطهار من آباء المهدي عليه السلام،

ص: ١٦٠

و لهذا ورد بسند صحيح عن الإمام الحجة عليه السلام قوله - جوابا على ما سأله أحمد بن إسحاق -: «.. و أما علّة ما وقع من الغيبة، فإن الله عزّ و جلّ يقول:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِن تُبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ^{٣٤٢}. إنه لم يكن أحد من آبائى إلّا وقعت فى عنقه بيعة لطاغية زمانه، و إنى أخرج حين أخرج و لا بيعة لأحد من الطواغيت فى عنقى»^{٣٤٣}.

و هذا يعنى انتفاء أى التزام بعهد أو ميثاق أو بيعة للإمام المهدي عليه السلام مع الحاكم المستبد، و إلّا رجع الأمر إلى مواجهة الطغاة، و العودة إلى علة الخوف من القتل، حيث لم يكن فرض الإمام المنقذ هو التقية.

و يؤيده ما رواه سورة بن كليب، عن الإمام الصادق عليه السلام فى حديث جاء فيه: «.. فإذا قام قائمنا سقطت التقية، و جردّ السيف، و لم يأخذ من الناس و لم يعطهم إلّا السيف»^{٣٤٤}.

العلّة الثالثة - السنن التاريخية:

و يراد بتلك السنن أن ما جرى على الامم السابقة لا بد و أن يجرى على هذه الامّة أيضا، و قد حفلت كتب الصحاح الستّة عند العامة و غيرها

ص: ١٦١

بأحاديث كثيرة فى هذا المعنى لا حاجة لنا بها، و أما فى خصوص الإمام المهدي عليه السلام فقد مرّ أن فيه سننا من الأنبياء عليهم السلام فى غيبتهم، و هى لا بد و أن تتحقق فيه عليه السلام.

^{٣٤٢} (١) سورة المائدة: ١٠١ / ٥.

^{٣٤٣} (٢) إكمال الدين ٢: ٤٨٣ / ٤ باب ٤٥، و كتاب الغيبة / الشيخ الطوسى: ٢٩٢ / ٢٤٧، و الخرائج و الجرائح ٣: ١١١٣، و الاحتجاج ٢: ٤٦٩، و إعلام الورى:

٤٥٢ فصل ٣: كلّهم فى ذكر التوقيعات الواردة من جهته عليه السلام.

^{٣٤٤} (٣) تأويل الآيات / الاسترآبادى ٢: ٥٣٩ - ٥٤٠ / ١٣ فى تأويل الآية ٣٤ من سورة فصلت الشريفة.

و يدل على ما قلناه، ما رواه سدير الصيرفي عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «إنَّ للقائم منا غيبة يطول أمدها، قال: فقلت له: يا ابن رسول الله! و لم ذلك؟ قال: لأنَّ الله عز و جل أبى إلّا أن تجرى فيه سنن الأنبياء: في غيبتهم، و أنّه لا بدّ له يا سدير من استيفاء مدد غيبتهم، قال الله تعالى:

لَتَرْكُوبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ^{٣٤٥} أي: سنن من كان قبلكم»^{٣٤٦}. و أمّا عن سبب جريان تلك السنن في الإمام المهدي عليه السلام فعلمه عند الله عز و جلّ.

العلّة الرابعة - و هي علّة خافية لم يؤذن بكشفها:

و يؤيد ذلك ما رواه عبد الله بن الفضل الهاشمي، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبة لا بد منها، يرتاب فيها كلّ مبطل، فقلت: و لم جعلت فداك؟ قال: لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم؟

قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ قال: وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبت من تقدمه من حجج الله تعالى ذكره، إنَّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلّا بعد ظهوره، كما لم ينكشف وجه الحكمة فيما أتاه الخضر عليه السلام من خرق السفينة، و قتل الغلام، و إقامة الجدار لموسى عليه السلام

ص: ١٤٢

إلى وقت افتراقهما. يا ابن الفضل! إنَّ هذا الأمر أمر من (أمر) الله تعالى، و سرّ من سرّ الله، و غيب من غيب الله، و متى علمنا أنّه عزّ و جلّ حكيم صدّقنا بأنّ أفعاله كلّها حكمة، و إن كان وجهها غير منكشف»^{٣٤٧}.

لقد فرّق هذا الحديث بين علّة الغيبة، و وجه الحكمة في غيبة الإمام عليه السلام أمّا العلّة، فقد علّمها الله تعالى لأوليائه، غير أنّه عزّ و جلّ لم يؤذن لهم في كشفها، و بهذا يتبيّن اشتباه بعضهم في جعل تلك العلّة الخافية علينا من أسرار الله عزّ و جلّ التي لم يطلع عليها أحدًا من أوليائه عليهم السلام! و الصحيح أنّه سبحانه استأثر بوجه الحكمة في غيبة الإمام، و لم يستأثر بالعلّة نفسها كما هو صريح هذا الحديث الشريف.

ثانياً- أحاديث التمحيص و الاختبار و بيان فلسفتها: أحاديث التمحيص و الاختبار:

تعدّ مسألة تمحيص الناس و اختبارهم في زمان الإمام المهدي عليه السلام مسألة متواترة عن الإمام الصادق عليه السلام فحسب، فقد رواها عنه أبان ابن تغلب، و أبو بصير، و الربيع بن محمد المسلي، و زرارة، و سدير الصيرفي، و عبد الله بن الفضل الهاشمي،

^{٣٤٥} (١) سورة الانشقاق: ١٩ / ٨٤.

^{٣٤٦} (٢) علل الشرائع / الشيخ الصدوق ١: ٢٤٥ / ٧ باب ١٧٩ باب علّة الغيبة، و إكمال الدين ٢: ٤٨٠ - ٤٨١ / ٦ باب ٤٤.

^{٣٤٧} (١) إكمال الدين ٢: ٤٨١ - ٤٨٢ / ١١ باب ٤٤، و علل الشرائع ١: ٢٤٥ - ٢٤٦ / ٨ باب ١٧٩ باب علّة الغيبة.

و عبد الله بن يعفور، و عبد الرحمن بن سيابة، و فرات بن الأحنف، و المفضل بن عمر، و مهزم بن أبي بردة الأسدي، و أخرجها محدثو الشيعة، عن هؤلاء، عن الإمام عليه السلام من طرق شتى فيما

ص: ١٦٣

تتبعناه. و سنكتفى ببعض منها، كالآتي:

١- عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «مع القائم عليه السلام من العرب شيء يسير، فقليل له: إن من يصف هذا الأمر منهم لكثير! قال:

لابد للناس من أن يمحّصوا، و يميّزوا، و يغربلوا، و سيخرج من الغربال خلق كثير»^{٣٤٨}.

و الذي قال للإمام عليه السلام ذلك هو عبد الله بن يعفور كما هو صريح روايات أخرى^{٣٤٩}.

٢- و عن عبد الرحمن بن سيابة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «كيف أنتم إذا بقيتم بلا إمام هدى و لا علم (يرى) يتبرأ بعضكم من بعض، فعند ذلك تميّزون و تمحّصون و تغربلون ..»^{٣٥٠}.

٣- و عن مهزم بن أبي بردة الأسلمي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

«و الله لتكسرنّ تكسرّ الزجاج و إنّ الزجاج ليعود فيعاد، و الله لتكسرنّ تكسرّ الفخار فإنّ الفخار ليتكسرّ فلا يعود كما كان، و الله لتغربلنّ، و الله لتميّزنّ، و الله لتمحّصنّ، حتى لا يبقى منكم إلّا الأقل، و صعرّ كفه»^{٣٥١}.

و أخرج الشيخ الطوسي عن الربيع بن محمد المسلّي، عن الإمام

ص: ١٦٤

الصادق عليه السلام؛ نحوه^{٣٥٢}.

^{٣٤٨} (١) كتاب الغيبة / النعماني: ٢٠٤ / ٦ باب ١٢.

^{٣٤٩} (٢) كتاب الغيبة / النعماني ٢٠٤ - ٢٠٥ / ٧ من الباب السابق.

^{٣٥٠} (٣) إكمال الدين ٢: ٣٤٧ - ٣٤٨ / ٣٦ باب ٣٣.

^{٣٥١} (٤) كتاب الغيبة / النعماني: ٢٠٧ / ١٣ باب ١٢.

^{٣٥٢} (١) كتاب الغيبة / الشيخ الطوسي: ٣٤٠ / ٢٨٩.

٤- و عن المفضل بن عمر، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «أما والله ليغيبنَّ إمامكم سنين من دهركم، و لتمحصن حتى يقال: مات أو هلك، باى واد سلك ...»^{٣٥٣}.

فلسفة التمحيص و الاختبار:

تكشف الأحاديث الأربعة المتقدمة و غيرها من الأحاديث الأخرى الواردة فى موضوعها عن التخطيط الإلهى المقتضى لامتحان المسلمين و اختبارهم فى غيبة إمام الزمان عليه السلام، لأن الغيبة لا سيما إذا كانت طويلة و زائدة على عمر الإنسان الطبيعى بعشرات المرآت، ستورث الشكَّ فى النفوس الضعيفة فى بقاء صاحب الغيبة حيا طوال تلك الفترة، و قد يؤول هذا الشكَّ إلى الطعن باستمرار وجوده الشريف!

و المراد بالتمحيص: التنقية بأخذ الشئ الجيد و ابعاد الشئ الردىء.

و بالتمييز: التفرقة بين شيئين بموجب خصائص معينة، و المراد هنا معرفة الناس على حقيقتها بالاختبار.

و بالغريلة: نخل الشئ بالغريال.

و فى حديث الإمام الباقر عليه السلام: «و الله لتميذنَّ، و الله لتمحصنَّ، و الله

ص: ١٤٥

لتغربلنَّ كما يغربل الزوان من القمح»^{٣٥٤}.

و الزوان: حبوب صغيرة تختلط بالحنطة و تكون على شكلها و لكنها ليست منها، فانظر إلى دقة التمثيل و روعته، فكما تخرج الزوان عن القمح بالغريال فكذلك يخرج ضعفاء الإيمان بقانون التمحيص، و غربالهم ليس إلّا الظروف الصعبة التى يمر بها الإنسان فى حياته، و ما تحيط بتلك الحياة من مصالح ضيقة و شهوات و مغريات.

و قول الإمام الصادق عليه السلام: «و سيخرج من الغريال خلق كثير» ليس اعتباطا إذن، و إنما هو يحكى عن حقيقة ثابتة نطق بها القرآن الكريم بزم الكثرة و مدح القلة فى كثير من الآيات البينات: **وَكثيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ**^{٣٥٥} **وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ**^{٣٥٦}.

^{٣٥٣} (٢) كتاب الغيبة / النعمانى ٢٠٤ / ٦ من الباب السابق.

^{٣٥٤} (١) كتاب الغيبة / النعمانى: ٢٠٥ / ٨ من الباب السابق.

^{٣٥٥} (٢) سورة الحديد: ١٦ / ٥٧.

^{٣٥٦} (٣) سورة هود: ١١ / ٤٠.

وكل هذا يشير إلى أن أكثر البشر يتبعون الباطل، و ينحرفون مع الشهوات، و يندفعون تجاه مصالحهم، حتى ليكونوا عوناً للظالمين، و يدا لهم، و فى مقابل هذا تبقى فى نتيجة الامتحان و التمييز و التمحيص الطويل ثلة لا يضرها من ناوأها حتى يقاتل آخرها الدجال؛ لأنهم يمثلون الحق صرفاً الذى لا باطل معه أصلاً.

و نظرة واحدة إلى القرآن الكريم تكشف أن قانون التمحيص الإلهى لم

ص: ١٦٦

يختص بفئة أو أمة من الناس، بل هو قانون عام للبشرية فى جميع مراحل تاريخها، و يدلنا على ذلك:

قوله تعالى: مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۚ ^{٣٥٧}

و قوله تعالى: لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَ يَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ^{٣٥٨}.

و قوله تعالى: وَ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَمْحَقَ الْكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَ يَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ^{٣٥٩}.

و من غير شك أن قانون التمحيص لا بد و أن يكون أشد و أكد إذا ما اقترن أمره بأعداد النخبة الصالحة التى ينبغى أن تعيش الاستعداد الكامل لنصرة الحق و أهله من خلال انتظارها لدولة الحق المرتقبة على يد المنقذ العظيم الإمام المهدي عليه السلام.

لقد أراد الله عزّ و جلّ أن يكون التمحيص فى الغيبة الكبرى لإمام العصر و الزمان عظيماً؛ ليتضح من خلاله ما إذا كانت تصرفات الانسان و أقواله منسجمة مع الدين أو لا. و لا شك أن من يعبر الاختبار الصعب

ص: ١٦٧

سوف لن يهمل وظيفته الاجتماعية الكبرى: الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، باعتبارهما من أبرز وظائف عصر الانتظار المتقوم بالإيمان، و التضحية، و الصمود.

و لا يخفى بأن الغرض من أحاديث التمحيص و الاختبار كلّها إنّما هو يصبّ فى خدمة أجيال الغيبة؛ لكى ينتبهوا من غفلتهم و يلحظوا ما ينبغى ملاحظته من أمور:

^{٣٥٧} (١) سورة آل عمران: ٣ / ١٧٩.

^{٣٥٨} (٢) سورة الأنفال: ٨ / ٣٧.

^{٣٥٩} (٣) سورة آل عمران: ٣ / ١٤١ - ١٤٢.

كعدم الاغترار بلمع السراب من كلام المشعوذين الكاذبين.

و معرفة مكائد السفهاء و أعداء الحق، من الذين فى قلوبهم مرض و المفتونين.

و التعوذ من زخارف إبليس و أشياعه فى كل زمان و مكان.

و التمسك بالتقلين: كتاب الله و العترة الطاهرة عليهم السلام.

و عدم استطالة المدى فى غيبة المولى عليه السلام؛ لأنّ الظهور الشريف آت لا محالة و مثله مثل الساعة: لا يُجَلِّيهَا لَوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ
تَقُلَّتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً^{٣٦٠}.

و التدرّج بالصبر على انتظار الحبيب صاحب الطلعة الرشيدة و الغرة الحميدة.

و ارتقابه ببصيرة لا حيرة فيها، و يقينا لا شكّ معه.

ص: ١٦٨

و الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى سيصلح له أمره فى ليلة واحدة و حينئذ سيقبل كالشهاب الثاقب.

ص: ١٦٩

الباب الثالث دور الإمام الصادق عليه السلام فى ردّ الشبهات المثارة حول الغيبة و الغائب

الفصل الأول:

شبهة الكيسانية بمهدوية محمد بن الحنفية رضى الله عنه

الفصل الثانى:

شبهة مهدوية عمر بن عبد العزيز الأموى المروانى

الفصل الثالث:

شبهة مهدوية محمد بن عبد الله الحسنى

الفصل الرابع:

دعوى مهدوية المهدي العباسى

الفصل الخامس:

موقف الإمام الصادق عليه السلام من المهدويات الأخرى

الفصل السادس:

دور الإمام الصادق عليه السلام فى ردّ الشبهات الأخرى

ص: ١٧١

تمهيد:

على الرغم من كثرة الكتب المؤلفة فى غيبة الإمام المهدي عليه السلام قبل حصولها، و كثرة الأحاديث الواردة فى بيان هوية الإمام المهدي، و غيبته، و طول عمره الشريف قبل ولادته بعشرات السنين، و انتشار العقيدة المهدوية فى الوسط الإسلامى - فى القرون الثلاثة الأولى - انتشارا واسعا ..

على الرغم من كل ذلك بقى علم الكلام الإسلامى فى عصر الإمام الصادق عليه السلام بكل اتجاهاته خاليا تماما من أية إثارة بخصوص الإمام المهدي عليه السلام، هذا فى الوقت الذى تناول فيه شتى المباحث الكلامية فى التوحيد، و العدل، و النبوة، و الإمامة، و المعاد، و غيرها.

و السرّ فى ذلك .. أنه لم تكن هناك ثمّة شبهات كبيرة تذكر فى زمان الإمام الصادق عليه السلام بشأن الغيبة و الغائب، خصوصا و إن الإمام المهدي عليه السلام لم يكن مولودا فى ذلك الحين، و لم تبطل الأمة بغيبته الطويلة التى صارت فيما بعد منارا للجدل. هذا إذا ما استثنينا بعض المحاولات المنحرفة التى كانت تستهدف استغلال عقيدة الأمة بمهديها فادّعت المهدوية زورا و بطلانا، و تصدّى لها الإمام الصادق عليه السلام بكل قوّة حتى قبرت و هى فى مهدها.

ص: ١٧٢

و يبدو أن متكلمى المعتزلة و الزيدية و غيرهم من خصوم الإمامية الذين ماتوا قبل ولادة الإمام المهدي عليه السلام كانوا فى حرج شديد إزاء أخبار الإمام الصادق عليه السلام و أهل البيت عليهم السلام كافة بخصوص ولدهم المهدي عليه السلام، إذ شكلت بمجموعها تحدّيا صارخا لهم، و لم يجدوا وسيلة فى ردّ أخبار أهل البيت عليهم السلام تلك حتى و إن لم يعتقدوا

بإمامتهم، إذ تكفيهم بذلك سائر موجبات قبول الخبر من الوثاقة و الضبط و الصدق و الحفظ و الحريجة في الدين، سيما و إن تلك الأخبار أنبأت عن مستقبل قد يكون بعيدا على أولئك المتكلمين، و بالتالي هم ليسوا من أهله^{٣٦١}، و لهذا نراهم قد خففوا من غلوائهم تجاه هذه المسألة، و أهملوها تماما، و لم يتصدَّ أحد منهم قط إلى تكذيب أخبارها على الرغم من كونها بين أيديهم، و كأنهم - بهذا - قد تحفظوا على أنفسهم فلم يرموا بها شططا في كل اتجاه.

و ما إن انقضى عصر أولئك المتكلمين إلّا و قد اصطدم خلفهم بالواقع، خصوصا و قد شاهدوا رجوع القواعد الشيعية برمّتها - في كل صغيرة

ص: ١٧٣

و كبيرة - إلى سفراء الإمام المهدي عليه السّلام و وكلائه المنبئين في طول بلاد الإسلام و عرضها.

و من هنا لم يشأ بعضهم ترك الحبل على غاربه، فحاول عبثا إثارة بعض الشبهات و الاشكالات، حتى اضطرَّ أخيرا إلى تكذيب تلك الأخبار التي كانت مدوّنة في عهد أسلافهم الذين عجزوا من تكذيبها.

و ما إن دخلت العقيدة المهدوية في علم الكلام و أخذت حيزها الواسع فيه، و ذلك بعد تحقّقها على أرض الواقع بولادة الإمام المهدي عليه السّلام و غيبته سنة / ٢٦٠ هـ، إلّا و قد تصدّى طلائع المتكلمين من الإمامية في عصر الغيبة الصغرى كابن قبة الرازي و النويختيين و غيرهم إلى بيان زيف تلك الشبهات و أذاقوها ألوانا من مرارة التفنيد، كما نجده في كثير من نقولات الشيخ الصدوق عن أولئك المتكلمين في ردّ شبهات الزيدية و المعتزلة و غيرهم في هذا الخصوص^{٣٦٢}.

و الطريف في تلك الشبهات أنها كانت تعتمد على أشياء قد سبق و إن تعرّض لها الإمام الصادق عليه السّلام، نظير تمسّكهم بدعوى المهدوية، و طول عمر الإمام المهدي عليه السّلام، و الفائدة من غيبته، و نحو هذا من الأمور التي لم تزل تنار إلى وقتنا هذا .. بما يمكن معه القول بأن سائر الإشكالات التي يثيرها بعض الكتّاب لم تكن جديدة أصلا؛ إذ مضى عليها أكثر من ألف عام، بل حتى أجوبتها ليست جديدة هي الأخرى و عمر معظمها أطول

ص: ١٧٤

من عمر الإمام المهدي عليه السّلام، كما سنرى بعد قليل.

^{٣٦١} (١) بحث المتكلمون في مسائل كثيرة لم يكونوا من أهلها في ذلك الحين، و كانت تمسّ مستقبل الإنسان و مصيره في الصميم، كما هو الحال في بحثهم مسألة البرزخ، و الصراط، و الميزان ... و نحوها كثير.

و الأمر هنا مختلف تماما، إذ لا يقبل جدلا و لا تأويلا، فالإخبار عن شخص بذكر اسمه و نسبه و حسيبه و كنيته و لقبه و سيرته و حليته و أخلاقه و أوصافه بأنه هو المهدي الموعود به في آخر الزمان، لا يدع مجالا للمتكلمين في تأويل ذلك أو صرفه عن مدلوله، اللهم إلّا أن يضطرّهم اعتقادهم الفاسد إلى تكذيب مثل هذا الإخبار، و هو ما لم يحصل من المتكلمين في زمان الإمام الصادق عليه السّلام.

^{٣٦٢} (١) راجع: ما كتبه الشيخ الصدوق في مقدمة كتابه إكمال الدين و إتمام النعمة، ستجد فيها ردّا واسعا على شبهات الزيدية و المعتزلة و غيرهم في العقيدة المهدوية.

و من هنا يتبين لنا و بكل وضوح أن دور الإمام الصادق عليه السّلام فى صيانة الفكر المهدوى الأصيل كان دورا سابقا لزمانه بقرون عديدة، إلّا ما كان بصدد ردّ بعض دعاوى المهدوية المعاصرة له عليه السّلام، إذ كان عليه السّلام يتعمّد إلى إثارة ما يمكن أن يقال عاجلاً أو آجلاً ثم يتعرّض - بذات الوقت - إلى الإجابة الشافية المختصرة.

و كثيراً ما يكون فى حديثه عليه السّلام جواب لشبهة مقدرة من دون إثارة صريحة لها، و ربّما قد يكون الجواب - أحياناً - ردّاً على سؤال فى هوية الإمام المنتظر، أو ولادته، أو غيبته، و نحو ذلك من أمور أخرى، صارت إجاباتها ردوداً لما أثّر بعد ذلك من شبهات.

و فى ما يلى دراسة لأهم الشبهات المثارة حول العقيدة المهدوية، و موقف الإمام الصادق عليه السّلام منها و ذلك فى فصول.

ص: ١٧٥

الفصل الأول شبهة الكيسانية بمهدوية محمد بن الحنفية رضى الله عنه

أولاً- أسباب ظاهرة ادّعاء المهدوية فى التاريخ:

تمثّل ظاهرة ادّعاء المهدوية فى التاريخ الإسلامى عنصر الفساد و الانحراف الذى يقف دائماً - و باسم الدين - فى الصفّ المناوئ للأهداف الكبرى فى الشريعة، و ذلك باستغلال إيمان الأمة بالإمام المهدي عليه السّلام الذى بشرّ به النبى صلى الله عليه و آله بشكل تخطى مضمونه سائر الحدود المطلوبة فى تحقّق التواتر و على جميع الأصول المحرّرة فى معرفته.

و قد يسأل بعضهم فيقول: كيف استطاعت إذن أن تشقّ تلك الظواهر طريقها فى المجتمع الإسلامى و بهذا الوقت المبكر من تاريخه؟

و الجواب منوط بمعرفة الأسباب المؤدّية إلى إستغلال الدين باسمه و على أكثر من صعيد، و يأتى فى طليعتها:

١- عدم تحصّن الأمة بالتقليين «كتاب الله و العترة الطاهرة عليهم السّلام» كما ينبغى.

٢- ضعف الوازع الدينى عند أدعياء المهدوية على مرّ التاريخ، مما

ص: ١٧٦

هوّن عليهم ذلك ارتكاب مثل هذا الأمر الخطير.

٣- تشرذم الأمة إلى فئات متناحرة و محاولة كل منها كسب الأنصار و المؤيدين بشتى الطرق الملتوية، من بذل المال، أو الالتفاف على الدين.

٤- قلة الثقافة المهدوية فى نفوس بعض القواعد الشعبية التى روجت لمهدوية هذا الشخص أو ذاك، كما نجده عند الكيسانية فى إشاعتهم مهدوية محمد بن الحنفية رضى الله عنه.

٥- الافتتان ببعض الشخصيات، و محاولة رفعها فوق قدرها و اعطائها من الألقاب و الصفات ما لا تستحق، كما هو الحال فى وصف عمر بن عبد العزيز الأموى المروانى ب (المهدى) مثلاً.

و مما زاد الطين بلة: ثقافة الاستبداد السياسى التى ورثتها الأمة و تربت عليها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و آله مباشرة، فهى فى الوقت الذى تجاهلت فيه مبدأ النصّ و التعيين، لم تراع حرية الاختيار و اختفت الشورى تماماً بحيث لم تتحقق و لو مرة واحدة- سهواً أو اشتباهاً- فى حياتها، ثم تطور الأمر سوءاً حتى ابيح للسلطان أن يتخذ الدين مطبّة لتحقيق مآربه و أهدافه السياسية، و لو بعبور الخطوط الحمراء فى الشريعة و استغلالها لصالحه كما هو الحال فى الدولتين الأموية و العباسية، و خير مثال على ما نحن فيه محاولة التفاف أبى جعفر الدواينقى عبد الله المنصور (الخليفة) العباسى (١٣٦- ١٥٨ هـ) على العقيدة المهدوية، و انتزاعها من محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى (المهدى الحسنى) الذى ادعاها بدوره! طمعاً بالسلطة، فأطاح المنصور العباسى بثورته و قتله و أخاه إبراهيم (سنة / ١٤٥ هـ)، ثم أقدم (سنة / ١٤٧ هـ) على تعيين ابنه محمد (١٥٩-
ص: ١٧٧

١٦٩ هـ) ولياً للعهد و لقبه بالمهدى!٣٦٣، و غيرها من الأسباب الأخرى التى أفضت بطبيعتها إلى ولادة خط الانحراف العقائدى و تمكين ظواهره السلبية فى المجتمع، فى حين صمد الخط الملتزم بمبادئه الإسلامية الثابتة، و تصدت قيادته الواعية إلى كل إنحراف؛ لتصون العقيدة المهدوية من العابثين و الطامعين، كما نجد ذلك واضحاً فى موقف الإمام الصادق عليه السلام من أولى تلك الدعاوى المزعومة و الشبهات الفاسدة التى ظهرت فى مقولة الكيسانية فنقول:

ثانياً- براءة ابن الحنفية رضى الله عنه من القول بمهدويته:

مات السيد محمد بن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام المعروف بمحمد بن الحنفية رضى الله عنه سنة (٧٣/ هـ) و قيل غيرها٣٦٤، و هو لا يعرف عن دعوى الكيسانية فى إمامته و مهدويته و غيبته شيئاً يذكر، حيث روجت الكيسانية له ذلك جهلاً- بعد وفاته-؛ تأثراً بسمو أخلاقه و نبلة و علمه، زيادة على كونه أخاً للسلطين و ابناً لأمير المؤمنين عليهم السلام، مع عناد بعضهم على القول بإمامته و مهدويته و غيبته حتى بعد وفاته و دفنه!

٣٦٣ (١) راجع: تاريخ الخلفاء / السيوطى: ٢١٠.

٣٦٤ (٢) اختلفت الروايات فى وفاة السيد محمد بن الحنفية رضى الله عنه ما بين سنة (٧٣ و ٨٠ و ٨١ و ٨٢ و ٩٢ و ٩٣ هـ) راجع: تهذيب الكمال / المزي ٢٦: ١٥٢/

وكان محمد بن الحنفية رضى الله عنه قد سمع بعضهم وهم يسلمون عليه بالمهدوية، ولكنه لم يحمل تحييتهم على معنى مهدى آخر الزمان عليه السلام بل على كونه من جملة العباد الصالحين الذين يهدون إلى الحق وبه يعملون، وقد

ص: ١٧٨

نّبهم على ذلك فى وقته.

و يدلّ عليه ما أخرجه ابن سعد فى طبقاته بسنده عن أبى حمزة قال:

«كانوا يسلمون على محمد بن على: سلام عليك يا مهدى. فقال: أجل، أنا مهدى أهدى إلى الرشد والخير، ولكن اسمى اسم نبي الله، وكنيتى كنية نبي الله، فإذا سلم أحدكم فليقل: سلام عليك يا محمد، أو السلام عليك يا أبا القاسم»^{٣٦٥}.

و لم أجد فى جميع المصادر أكثر صراحة من هذه الرواية فى الدلالة على وصفه بالمهدوية فى حياته. فى حين أنها لا تدلّ على إرادة المهدى الموعود به فى آخر الزمان، كما لا تدلّ على رضاه، و لا تبنيّه ذلك كما يظهر من كلامه المتقدم.

ثالثاً- اعتراف ابن الحنفية بإمامة السجاد عليه السلام، و نفى الإمامة عن نفسه:

كان السيد محمد بن الحنفية رضى الله عنه عالماً بإمام زمانه، و لم يدّع الإمامة و لا المهدوية لنفسه، كما لم يقبل بمقولة من ادعاهها له من أصحابه؛ و لهذا أمر بالسلام عليه - كما مرّ - إمّا باسمه، أو بكنيته.

و يدلّ على ما ذكرناه ما جاء عن أبى بصير قال: «سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: كان أبو خالد الكابلي يخدم محمد بن الحنفية دهرًا، و ما كان يشكّ فى أنّه إمام، حتى أتاه ذات يوم فقال له: جعلت فداك، إنّ لى حرمة

ص: ١٧٩

و مودّة و انقطاعاً فأسألك بحرمة رسول الله صلى الله عليه و آله و أمير المؤمنين عليه السلام إلّا أخبرتنى: أنت الإمام الذى فرض الله طاعته على خلقه؟ قال، فقال:

يا أبا خالد حلّفتنى بالعظيم. الإمام على بن الحسين عليه السلام علىّ و عليك و على كل مسلم، فأقبل أبو خالد لما أن سمع ما قاله محمد بن الحنفية، جاء إلى على بن الحسين عليهما السلام فلما استأذن عليه، فأخبر أن أبا خالد بالباب، فأذن له، فلما دخل عليه، دنا منه، قال: مرحبا بك يا كنكر! ما كنت لنا بزائر، ما بدا لك فينا؟ فخرّ أبو خالد ساجدا شكرا لله تعالى مما سمع من على بن الحسين عليهما السلام، فقال: الحمد لله الذى لم يمتنى حتى عرفت إمامى، فقال له على بن الحسين عليهما السلام: و كيف عرفت إمامك يا أبا خالد؟ قال: إنّك دعوتنى باسمى الذى سمتنى أمى التى ولدتنى، و قد كنت فى عمياء من أمرى و لقد، خدمت

^{٣٦٥} (١) الطبقات الكبرى / ابن سعد ٥: ٩٤ فى ترجمة محمد بن الحنفية، و تاريخ دمشق / ابن عساكر ٥٤: ٣٤٧ / ٦٧٩٧، و تاريخ الإسلام / الذهبى ٦: ١٨٨ / ١٣٨ فى وفيات سنة (٨١ - ١٠٠ هـ)، و سير أعلام النبلاء / الذهبى ٤: ١٢٣ / ٣٦ فى ترجمة محمد بن الحنفية.

محمد بن الحنفية دهرًا من عمرى و لا أشكّ إلّا و أنه إمام! حتى إذا كان قريبًا سألتُه بحرمة الله تعالى، و بحرمة رسوله صلى الله عليه و آله، و بحرمة أمير المؤمنين عليه السلام، فأرشدنى إليك، و قال:

هو الإمام علىّ، و عليك، و على خلق الله كلّهم ..»^{٣٦٦}.

فكيف يدعى الكيسانية إذن إمامته و مهدويته و غيبته، و هذه هى أقواله رضى الله عنه؟

رابعاً- من روجّ له المهدوية و الإمامة بعد وفاته:

ظهر القول بإمامة و مهدوية و غيبة ابن الحنفية رضى الله عنه بعد وفاته على يد الكيسانية التى زعمت باطلا بكل هذه الأقاويل التى ما أنزل الله بها من

ص: ١٨٠

سلطان.

و كان من رؤوسهم الذين تعصّبوا لمحمد بن الحنفية و قالوا بإمامته و مهدويته و غيبته و إنه حىّ لم يمت، حيان السراج كما سيأتى فى بيان موقف الإمام الصادق عليه السلام من هذه الدعوى.

و من مشاهيرهم الذين لعبوا دوراً إعلامياً كبيراً فى إشاعة هذه الدعوة، كثير عزّة الشاعر المعروف و قد ضمّ ديوانه جملة من القصائد الشعرية التى تعرب عن عقيدته تلك، يقول فى بعضها:

ألا إن الأئمة من قريش	ولاة الحق أربعة سواء
على و الثلاثة من بنيه	هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان و برّ	و سبط غيبته كربلاء
و سبط لا تراه العين حتى	يقود الخيل يقدمها لواء
تغيّب لا يرى عنهم زمانا	برضوى عنده غسل و ماء ^{٣٦٧}

^{٣٦٦} (١) رجال الكشي: ١٢٠ - ١٢١ / ١٩٢ فى ترجمة أبى خالد الكابلي.

^{٣٦٧} (١) ديوان كثير عزّة ٢: ١٨٦، و مروج الذهب ٣: ٨٨، و الأغاني / أبو الفرج الأصبهاني ٩: ١٢ فى ذكر أخبار كثير و نسبه، و عيون الأخبار / ابن قتيبة الدينوري ٢: ٥٢٣ من كتاب العلم و البيان.

و يقول فى أخرى:

هو المهدي خبرناه كعب

أخو الأحبار فى الحقب الخوالى^{٣٦٨}

و من جميل ما يروى، هو ما قاله مصعب بن عبد الله، قال: «قيل

ص: ١٨١

لكثير: لقيت كعب الأحبار؟ قال: لا، قيل: فلم قلت: خبرناه كعب ..؟ قال:

بالوهم»!^{٣٦٩}

و من جملتهم أيضا السيد الحميرى، و هو من مشاهير الكيسانية قبل لقائه بالإمام الصادق عليه السلام، و معرفة الحقيقة منه. و قد كانت له قصائد كثيرة يذكر فيها مهدوية ابن الحنفية، منها ما ذكره المسعودى:

يا شعب رضى ما لمن بك لا يرى

و بنا إليه من الصباية أولق

حتى متى؟ و إلى متى؟ و كم المدى؟

يا ابن الوصى و أنت حتى ترزق^{٣٧٠}

لقاء السيد الحميرى الكيسانى بالإمام الصادق عليه السلام:

شاءت الأقدار أن يلتقى السيد الحميرى بالإمام الصادق عليه السلام، مما كان لهذا اللقاء أثره الفعّال فى تغيير السيد الحميرى عقيدته الكيسانية و رجوعه من القول بإمامة و مهدوية محمد بن الحنفية رضى الله عنه، إلى الحق و اعتقاده مذهب الإمامية، و هو ما صرح به ابن المعتز فى طبقات الشعراء^{٣٧١}، و المرزبانى فى أخبار السيد^{٣٧٢}، و الشيخ الصدوق^{٣٧٣}، و الشيخ المفيد^{٣٧٤}، و الشيخ الطوسى^{٣٧٥}

^{٣٦٨} (٢) ديوان كثير ١: ٢٧٥، و مروج الذهب ٣: ٨٧، و الأغاني ٩: ١٣-١٤.

^{٣٦٩} (١) تهذيب الكمال ٢٦: ٥٤٨٤ / ١٥٠.

^{٣٧٠} (٢) مروج الذهب / المسعودى ٣: ٨٨.

^{٣٧١} (٣) طبقات الشعراء / ابن المعتز: ٢٢-٣٦.

^{٣٧٢} (٤) أخبار السيد / المرزبانى: ١٦٤.

^{٣٧٣} (٥) إكمال الدين ١: ٣٢-٣٥ من المقدمة.

^{٣٧٤} (٦) الفصول المختارة: ٢٤١، و الإرشاد ٢: ٢٠٦.

^{٣٧٥} (٧) أمالى الشيخ الطوسى: ١٢٩٣ / ٦٢٧، المجلس رقم / ٣٠.

و ابن شهر آشوب^{٣٧٦}، و الإرزبلى^{٣٧٧}، و غيرهم ممن ترجم للسيد الحميرى رضى الله عنه.

و هكذا أصبح السيد - بفضل هدايته على يد الإمام الصادق عليه السلام - من شعراء أهل البيت المجاهرين بولايتهم من الطبقة الأولى، حتى وصفه علماء الشيعة بالمعظم^{٣٧٨}، و لهذا قال ابن عبد ربّه الأندلسى الأموى: «و من الروافض، السيد الحميرى، و كان يلقي له وسائد فى مسجد الكوفة يجلس عليها، و كان يؤمن بالرجعة»^{٣٧٩}.

السيد الحميرى يودع كيسانيته و يتعرف على هوية الإمام المهدي عليه السلام:

لقد اعترف السيد الحميرى بدور الإمام الصادق عليه السلام و فضله فى إزاحة شبهة الكيسانية عنه، و هو ما حكاه لنا الشيخ الصدوق بقوله:

«فلم يزل السيد ضالاً فى أمر الغيبة يعتقدوها فى محمد بن الحنفية حتى لقي الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام، و رأى منه علامات الإمامة، و شاهد فيه دلالات الوصية، فسأله عن الغيبة، فذكر له أنها حق، و لكنها تقع فى الثانى عشر من الأئمة عليهم السلام، و أخبره بموت محمد بن الحنفية، و إن أباه

- يعنى: الإمام الباقر عليه السلام - شاهد دفنه، فرجع السيد عن مقالته و استغفر من اعتقاده، و رجع إلى الحق عند اتضاحه له، و دان بالإمامة.

ثم أخرج الصدوق - بعد كلامه هذا - بسنده عن السيد الحميرى قوله: كنت أقول بالغلوّ و أعتقد غيبة محمد بن على - ابن الحنفية - قد ضللت فى ذلك زمانا، فمن الله على بالصادق جعفر بن محمد عليهما السلام و أنقذنى به من النار، و هدانى إلى سواء الصراط، فسألته بعد ما صحّ عندى بالدلائل التى شاهدتها منه أنّه حجة الله علىّ و على جميع أهل زمانه و أنّه الإمام الذى فرض الله طاعته و أوجب الاقتداء به، فقلت له: يا ابن رسول الله قد روى لنا أخبار عن آبائك عليهم السلام فى الغيبة و صحة كونها فأخبرنى بمن تقع؟ فقال عليه السلام: إن الغيبة ستقع بالسادس من ولدى و هو الثانى عشر من الأئمة الهداة بعد رسول الله صلى الله عليه و آله أولهم أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام و آخرهم القائم بالحق بقيّة الله فى الأرض و صاحب الزمان،

^{٣٧٦} (١) المناقب / ابن شهر آشوب ٣: ٥٢٨.

^{٣٧٧} (٢) كشف الغمّة ٢: ٤٠.

^{٣٧٨} (٣) وصفه بهذا الوصف ابن داود الحلى فى رجاله: ٥٩ / ١٩٣، و قال العلّامة فى الخلاصة: ٥٧ / ٥٠: «إسماعيل بن محمد الحميرى، ثقة، جليل القدر، عظيم الشأن و المنزلة، رحمه الله».

^{٣٧٩} (٤) العقد الفريد / ابن عبد ربّه الأندلسى الأموى ٤: ١٢٢.

و الله لو بقى فى غيبته ما بقى نوح فى قومه لم يخرج من الدنيا حتّى يظهر فيملاً الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت جوراً و ظلماً.
قال السيّد: فلمّا سمعت ذلك من مولاى الصادق جعفر بن محمد عليهما السّلام تبت إلى الله تعالى ذكره على يديه».

مع قصيدة السيد الحميرى التى سجل فيها اعترافه بالحق:

قال السيد رحمه الله بعد كلامه السابق مباشرة و بلا فصل - و هو من تنمة رواية الشيخ الصدوق - ما لفظه: «و قلت قصيدتى التى
أولّها:

ص: ١٨٤

فلمّا رأيت النّاس فى الدّين قد غووا تجعفرت باسم الله فيمن تجعفروا

- إلى أن قال - إلى آخر القصيدة، و قلت بعد ذلك قصيدة اخرى:

- | | |
|---------------------------------|-----------------------------|
| أيا راكبا نحو المدينة جسة | عذافرة يطوى بها كلّ سبب |
| إذا ما هداك الله عاينت جعفرا | فقل لولى الله و ابن المهذب |
| ألا يا أمين الله و ابن أمينه | أتوب إلى الرحمن ثمّ تأوبى |
| إليك من الأمر الذى كنت مطنبا | أحارب فيه جاهدا كلّ معرب |
| و ما كان قولى فى ابن خولة مطنبا | معاندة منى لنسل المطيّب |
| و لكن روينا عن وصىّ محمد | و ما كان فيما قال بالمتكذب |
| بأنّ ولىّ الأمر يفقد لا يرى | ستيرا كفعل الخائف المترقب |
| فتقسم أموال الفقيد كأنّما | تغيّبه بين الصفيح المنصب |
| فيمكث حينا ثمّ يشرق شخصه | مضيئا بنور العدل اشراق كوكب |
| يسير بنصر الله من بيت ربّه | على سؤدد منه و أمر مسبب |
| يسير إلى أعدائه بلوائه | فيقتلهم قتلا كحرّان مغضب |
| فلمّا روى أنّ ابن خولة غائب | صرفنا إليه قولنا لم نكذب |

١٣ وقلنا هو المهديّ و القائم الذي
١٤ فإن قلت لا فالحقّ قولك و الذي
١٥ و أشهد ربّي أنّ قولك حجة
يعيش به من عدله كلّ مجذب
أمرت فحتم غير ما متعصّب
على الناس طراً من مطيع و مذب

ص: ١٨٥

١٦ بأنّ وليّ الأمر و القائم الذي
١٧ له غيبة لا بدّ من أن يغيبها
١٨ فيمكث حيناً ثمّ يظهر حينه
١٩ بذاك أدين الله سرّاً و جهرة
تطلّع نفسى نحوه بتطربّ
فصلّى عليه الله من متغيّب
فمهلك من فى شرقها و المغرب
و لست و إن عوتبت فيه بمعتب^{٣٨٠}»

الكشف عمّا فى قصيدة السيد الحميرى من دلالات:

لا بأس بمتابعة قصيدته و الكشف - باختصار - عمّا فى أبياتها من دلالة كالآتى:
البيت الثانى و الثالث: فيهما تصريح باعتقاد السيد الحميرى بأن الإمام الصادق عليه السّلام هو ولى الله فى زمانه و أمين الله على وحيه و ابن أمنيته.

الرابع و الخامس: فيهما تصريح بالتوبة من الاعتقاد القديم بمهدوية ابن الحنفية.

السادس: فى بيان سبب اعتقاده القديم الفاسد و هو تطبيق الروايات الواردة فى المهديّ و غيبته عن الوصى و يعنى به أمير المؤمنين عليه السّلام على غير موردها الحقيقى و مصداقها الواقعى.

السابع: يدلّ على أن المروى عن الوصى عليه السّلام بشأن المهديّ هو غيبته (يفقد لا يرى) و أن سببها الخوف (ستيراً كفعل الخائف المترقّب) و هذا هو المؤيّد بروايات كثيرة عن الإمام الصادق عليه السّلام كما مرّ مفصلاً فى هذا

ص: ١٨٦

البحث.

الثامن: يشير إلى أن المروى عن الوصى عليه السلام صريح بتقسيم أموال الإمام المهدي عليه السلام و هو حى «فتقسم أموال الفقيه» أى الغائب الحى الموجود، و هو ما حصل فعلا لإمامنا المهدي من أزلام السلطة العباسية و أذناها فى حديث طويل رواه الشيعة برمتهم و صحّ لديهم من عدة طرق.

التاسع و العاشر و الحادى عشر: فى خصوص كون المروى عن الوصى فى المهدي عليه السلام، هو أنّه لا بدّ و أن يغيب حيناً من الدهر، ثم يكون ظهوره فى مكّة المكرمة، و أن الله تعالى سيمكّنه من أعدائه جميعاً، و هذا هو ما نقوله و نعتقه طبقاً للمتواتر من الأخبار.

الثانى عشر إلى الخامس عشر: فى الكشف عن عقيدته السابقة بمهدوية ابن الحنفية رضى الله عنه، و إعلان رجوعه عنها، و اعتقاده الحقّ بفضل الإمام الصادق عليه السلام، و يتضمّن الأخير اعتقاده بأن إمامة الإمام الصادق عليه السلام من الله تعالى و رسوله صلى الله عليه و آله، و أنه معصوم من الخطأ و الزلل، و إلّا فما معنى ان يشهد الله تعالى على أن الصادق عليه السلام حجة الله على سائر الخلق؟ و كيف يختار الله تعالى حجته على عباده و لا يكون معصوماً؟

و ما يقال بأن الشعر عامّة ليس حجة، فهو كذلك، و لكن الأمر مختلف هاهنا، فالأبيات تتلى على مسامع الإمام عليه السلام و لو كان فيها أدنى زلل لنبه عليه الإمام الصادق عليه السلام.

السادس عشر إلى التاسع عشر: صريحة بلا بديّة غيبة ولى الأمر الإمام

ص: ١٨٧

القائم المهدي عليه السلام، و أنه لا بدّ من ظهوره عليه السلام بعد انتهاء أمد غيبته، و حينئذ سيتحقّق حلم الأنبياء عليهم السلام جميعاً بإقامة دولة الحقّ العظمى فى جميع الأرض على يده الشريفة، و فى الأخير إعلان بتمسك السيد الحميرى بهذا الدين الحقّ، و أنّه لا يخشى فيه لومة لائم.

كما أن أجواء القصيدة و أبياتها تكشف عن أن أحاديث غيبة الإمام المهدي عليه السلام الواصلة إلينا لم تكن قط من صنع أية حركة أو طائفة، و لا هى من صنع متكلمى الشيعة فى القرنين الثالث و الرابع الهجريين كما يفترى بذلك بعض المهرجين، و إنما هى - فى حدود أجواء القصيدة فقط - من أخبار أهل البيت عليهم السلام منذ عهد أمير المؤمنين الإمام على عليه السلام وصولاً إلى الإمام الصادق عليه السلام، فضلاً عمّا فى غيرها و هو كثير.

كما تكشف أجواء القصيدة أيضاً عن دور الإمام الصادق عليه السلام فى التصدّى الحازم لمزاعم المهدوية الكيسانية، و بثّه الوعى اللازم تجاه العقيدة المهدوية الصحيحة، مع استغلال كل فرصة سانحة لغرس مبادئ الدين النقية التى تقوم عليها نظرية الحكم فى الإسلام كما يفهم من تقرير الإمام عليه السلام لمفردات تلك القصيدة الرائعة التى جاءت زاخرة بفكر الإمامة و مفعمة بعقيدة النص و التعيين.

و أما عن خلو الأبيات الشعرية من التصريح بهوية الإمام المهدي عليه السلام فلا يدلّ على عدم تحديد الهوية للسيد الحميري من قبل الإمام الصادق عليه السلام خصوصا و قد مرّ في كلامه المثنون ما هو صريح بهذا التحديد. و ربّما قد يكون التحديد المذكورا في رأيته المتقدمة حيث اقتصر على بعض

ص: ١٨٨

أبياتها، و لو وصلت إلينا كاملة فربّما وجدنا بها أسماء أهل البيت عليهم السلام جميعا.

و المهم هو أن رجوع مثل السيد الحميري عن عقيدة الكيسانية و اعتناق المذهب الإمامي الإثنى عشرى يعبر عن دور الإمام الصادق عليه السلام في معالجة دعاوى المهدوية في زمانه مما كان له أكبر الأثر في هدم تلك الدعاوى الباطلة و تلاشيها واحدة بعد أخرى.

خامسا- ملاحقة الإمام الصادق عليه السلام لحجج الكيسانية و نسفها:

لم يتوقف الإمام الصادق عليه السلام في إبطال دعوى الكيسانية على صعيد هذا اللقاء بالسيد الحميري، و إنما راح أبعد من ذلك بكثير يوم بين بعض رؤوس الكيسانية زيف عقيدتهم، و لكنهم ركبوا رؤوسهم عنادا و صلفا **وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا**^{٣٨١}. و من أولئك: حيان السراج.

عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: أتاني ابن عم لي يسألني أن آذن لحيان السراج، فأذنت له، فقال لي: يا أبا عبد الله إني أريد أن أسألك عن شيء أنا به عالم إلا أني أحب أن أسألك عنه، أخبرني عن عمك محمد بن علي مات؟ قال، فقلت: أخبرني أبي أنه كان في ضيعة له فأتي، فقيل له: أدرك عمك!. قال: فأتيته - و قد كانت أصابته غشية - فأفاق فقال لي: أرجع إلي ضيعتك. قال: فأبيت، فقال لترجعن، قال:

فانصرفت، فما بلغت الضيعة حتى أتوني، فقالوا: أدركه! فأتيته،

ص: ١٨٩

فوجدته قد اعتقل لسانه، فدعا بطست، و جعل يكتب وصيته، فما برحت حتى غمضته، و غسلته، و كفنته، و صليت عليه، و دفنته. فإن كان هذا موتا فقد و الله مات. قال: فقال لي رحمك الله شبه على أبيك. قال، قلت: يا سبحان الله! أنت تصدف على قلبك. قال فقال لي:

^{٣٨١} (١) سورة النساء: ٤ / ١٤٣.

و ما الصدف على القلب؟ قال، قلت: الكذب»^{٣٨٢}.

و عن يزيد العجلي قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: لو كنت سبقت قليلا أدركت حيان السراج. قال: و أشار إلى موضع في البيت، فقال عليه السلام: كان ههنا جالسا فذكر محمد بن الحنفية و ذكر حياته و جعل يطريه و يقرظه فقلت له: يا حيان أليس تزعم و يزعمون و تروى و يروون لم يكن في بني إسرائيل شيء إلا و هو في هذه الأمة مثله؟ قال: بلى. قال:

فقلت: هل رأينا و رأيتم أو سمعنا و سمعتم بعالم مات على أعين الناس، فنكح نساؤه، و قسّمت أمواله، و هو حي لا يموت؟ فقام و لم يرد على شيئا»^{٣٨٣}.

و عن عبد الله بن مسكان قال: «دخل حيان السراج على أبي عبد الله عليه السلام فقال له: يا حيان! ما يقول أصحابك في محمد بن علي [بن] الحنفية؟ قال: يقولون هو حي يرزق. فقال أبو عبد الله عليه السلام: حدثني أبي أنه كان فيمن عاده في مرضه، و فيمن أغمضه، و فيمن أدخله حفرة ..

و قسّم ميراثه. قال: فقال حيان: إنما مثل محمد بن الحنفية في هذه الأمة مثل

ص: ١٩٠

عيسى بن مريم، فقال: ويحك يا حيان شبه علي أعدائه! فقال: بلى شبه علي أعدائه فقال: تزعم أن أبا جعفر عدو محمد بن علي! لا ولكنك تصدف يا حيان ..»^{٣٨٤}.

و بهذا و نظائره استطاع الإمام الصادق عليه السلام أن يبين للناس جميعا تهافت مقولة الكيسانية و كذبها، مما أدّى بالنتيجة إلى تبخر تلك المزاعم و إزالتها من صفحة الوجود بعد انقراض المتعصبين لها، و بصورة لم تترك معها أدنى تأثير - و لو طفيف - على خط الإمامة العريضة الواضح، كما لم تؤثر شيئا على علم القواعد الشيعية بمن سيغيب من أئمة الهدى عليهم السلام.

ص: ١٩١

الفصل الثاني شبهة مهدوية عمر بن عبد العزيز الأموي المرواني

أولا- الآثار الموضوعة في مهدويته:

^{٣٨٢} (١) رجال الكشي: ٣١٤ - ٣١٥ / ٥٦٩.

^{٣٨٣} (٢) رجال الكشي: ٣١٤ / ٥٦٨.

^{٣٨٤} (١) رجال الكشي: ٣١٥ - ٣١٦ / ٥٧٠.

وضع المغرمون بعمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي المرواني (ت/ ١٠١ هـ) ما شاء لهم أن يضعوا من الأقوال على لسان عمر و ابنه عبد الله، و هي و إن كانت كلها آثارا موقوفة لا حجة بها، و لكن لا بأس بذكرها لتستشعر من خلالها ذلك الكذب المفضوح.

١- أخرج البيهقي عن عبد الله بن دينار، عن عمر قال: «يا عجباً! يزعم الناس أن الدنيا لن تنقضي حتى يلي رجل من آل عمر يعمل بمثل عمل عمر. قال: فكانوا يرونه بلال بن عبد الله بن عمر، قال: و كان بوجهه أثر، قال: فلم يكن هو، و إذا هو عمر بن عبد العزيز و أمه ابنة عاصم بن عمر بن الخطاب»^{٣٨٥}.

و في هذا الأثر اللاحجة، أحمد بن علي المقرئ الضعيف عندهم بلا خلاف، زيادة على عدم دلالة على المهدوية.

ص: ١٩٢

و لعل أطرف ما في هذا الأثر وروده في (باب ما جاء في إخباره صلى الله عليه و آله بالشر الذي يكون بعد الخير الذي جاء به) من كتاب دلائل النبوة للبيهقي!!!

٢- و أخرج ابن حماد بسنده عن نافع، عن عمر: «يكون رجل من ولدي بوجهه شين يلي، فيملأها عدلاً. قال نافع: لا أحسبته إلّا عمر بن عبد العزيز»^{٣٨٦}.

و هذا الأثر كسابقه، و فيه عثمان بن عبد الحميد بن لاحق مجهول، و نافع مولى ابن عمر كذاب مشهور. و كان يقول له مولاه: لا تكذب عليّ كما كذب عكرمة على ابن عباس.

٣- و أخرج ابن سعد في طبقاته عن نافع أيضاً، عن ابن عمر قال:

«كنت أسمع ابن عمر كثيراً يقول: ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر في وجهه علامة، يملأ الأرض عدلاً»^{٣٨٧}.

و هذا الأثر كسابقه، و فيه نافع الكذاب أيضاً.

ثانياً- كذبهم على الإمام الباقر عليه السلام في دعم تلك المهدوية:

لأجل تمرير مهدوية عمر بن عبد العزيز و إضفاء طابع القداسة عليه حاول أنصاره تشويش هذه العقيدة في نفوس المسلمين و تقريبهم نحو الخط الأموي المقيت، و لو بالكذب الفاضح على أهل البيت عليهم السلام في نصره

^{٣٨٥} (١) دلائل النبوة/ البيهقي ٤: ٤٩٢ باب ما جاء في إخباره صلى الله عليه و آله بالشر الذي يكون بعد الخير الذي جاء به، و تاريخ دمشق ٤٥: ١٥٥ / ٥٢٤٢.

^{٣٨٦} (١) الملاحم و الفتن/ ابن حماد: ٧٦ / ٢٨٦.

^{٣٨٧} (٢) الطبقات الكبرى/ ابن سعد ٥: ٣٣١، و حلية الأولياء/ أبو نعيم ٥: ٢٥٤ / ٣٣١، و دلائل النبوة/ البيهقي ٤: ٤٩٢.

الأمويين و مهدوية عمرهم.

و من هنا وضعوا على لسان الإمام الباقر عليه السلام ما أخرجه ابن سعد فى الطبقات الكبرى، عن مسلمة أبى سعيد فى حديث رواح، عن العزضى، قال: «سمعت محمد بن على يقول: النبى منّا، و المهدي من بنى عبد شمس، و لا نعلمه إلّا عمر بن عبد العزيز. قال: و هذا فى خلافة عمر بن عبد العزيز»!!^{٣٨٨}

و مثله ما أخرجه ابن عساكر فى تاريخه، و أبو عمرو الدانى، عن مولى لهند بنت أسماء، قال: «قلت لمحمد بن على: إن الناس يزعمون أن فيكم مهديا، فقال: إن ذاك كذاك، و لكنه من بنى عبد شمس، قال: كأنه عنى عمر بن عبد العزيز»^{٣٨٩}.

ثالثا- ردّ اكذوبتهم على الإمام الباقر عليه السلام:

إن ما ذكره ابن سعد، و ابن عساكر من أوضح الكذب و أسخفه، و ما أحاديث الإمام الصادق فى كتابنا هذا إلّا هى أحاديث أبيه الباقر عليهما السلام؛ نظرا لما قاله الإمام الصادق عليه السلام لجميل بن درّاج: «ما سمعت منى فاروه عن أبى».

و قوله لجملة من أصحابه: «حديثى حديث أبى ..».

و قوله لأبى بصير حين قال له: الحديث أسمعه منك أرويه عن أبيك، أو أسمعه من أبيك، أرويه عنك؟ قال عليه السلام: «سواء إلّا أنك ترويه عن أبى أحبّ إليّ»^{٣٩٠}.

على أن مذهب الإمام الباقر عليه السلام فى الإمام المهدي عليه السلام كنار على علم، و إليك صورة واضحة عمّا نظقت به أحاديثه الشريفة فى المهدي عليه السلام، من قبيل:

^{٣٨٨} (١) الطبقات الكبرى/ ابن سعد ٥: ٣٣٣، و تاريخ دمشق ٤٥: ١٨٧ / ٥٤٢٢٤.

^{٣٨٩} (٢) تاريخ دمشق ٤٥: ١٨٧ - ١٨٨ / ٥٤٢٢٤، و السنن الواردة فى الفتن/ أبو عمر الدانى ٥: ١٠٧٣ / ٥٨٧ باب من قال: أن المهدي عمر بن عبد العزيز، و قد جعل هذا الحديث المكذوب فى أول الباب.

^{٣٩٠} (١) راجع هذه الأقوال فى أصول الكافى ١: ٥١ - ٥٣ / ٤ و ١٤ باب رواية الكتب و الحديث، و فضل الكتابة، و التمسك بالكتب، من كتاب فضل العلم.

إن الله تعالى أخذ الميثاق للإمام المهدي عليه السلام من الأنبياء عليهم السلام كلهم^{٣٩١}، وفيه شبه من بعضهم كغيبية موسى عن قومه، و طول عمر نوح، و محنة يوسف عليهم السلام^{٣٩٢}.

و قد أغبطه موسى لما رآه مكتوبا في أسفاره^{٣٩٣}، ليس من بنى أمية و لا من آل مروان الملعونين قاطبة^{٣٩٤}، وإنما من آل محمد صلى الله عليه و آله^{٣٩٥}، اسمه اسم

ص: ١٩٥

نبي^{٣٩٦} بل سمى^{٣٩٧} من أهل البيت^{٣٩٨}، و إنه لمهديننا^{٣٩٩}، و قائمنا^{٤٠٠}، و معنى المهدي^{٤٠١}، و القائم^{٤٠٢}.

من ولد أمى الزهراء البتول عليها السلام^{٤٠٣}، و من صلب جدى الحسين عليه السلام^{٤٠٤}، أصغرنا سنا و أخملنا شخصا^{٤٠٥}، و ابن أمة^{٤٠٦}.

^{٣٩١} (٢) بصائر الدرجات: ٧٠ / ٢ باب ٢.

^{٣٩٢} (٣) الإمامة و التبصرة من الحيرة / الصدوق الأول: ٨٤ / ٩٣ باب ٢٣، و إثبات الوصية: ٢٢٦، و إكمال الدين ١: ١٥٢ / ١٦ باب ٦، و ١: ٣٢٦ / ٣٢٦ باب ١٢، و كتاب الغيبة / النعماني: ١٦٣ - ١٦٤ / ٣ و ٥، باب ١٠، و: ٢٢٨ / ٨ باب ١٣، و كتاب الغيبة / الشيخ الطوسي: ١٠٣.

^{٣٩٣} (٤) كتاب الغيبة / النعماني: ٢٤٠ / ٣٤ باب ١٣.

^{٣٩٤} (٥) كامل الزيارات / ابن قولويه القمي: ١٩٦ / ٧ باب ٧١.

^{٣٩٥} (٦) إثبات الوصية / المسعودي: ٢٢٦، و كتاب الغيبة / النعماني: ٢٣٤ / ٢٢ باب ١٣، و: ٢٤٠ / ٣٤ باب ١٣، و الإرشاد ٢: ٣٧١ و ٣٨٦.

^{٣٩٦} (١) كتاب الغيبة / النعماني: ١٧٨ - ١٧٩ / ٢٢ - ٢٤ باب ١٠، و دلائل الإمامة: ٢٦١.

^{٣٩٧} (٢) كتاب الغيبة / النعماني: ٢٣١ / ١٤ باب ١٣.

^{٣٩٨} (٣) الأصول الستة عشر: ٦٣، و روضة الكافي ٨: ٣٢٤ / ٥٩٧، و رجال الكشي:

٢١٧ / ٣٩٠، و تفسير فرات الكوفي: ٤٤، و كتاب الغيبة / النعماني: ٢٣٨ - ٢٣٩ / ٣٠ باب ١٣، و كتاب الغيبة / الشيخ الطوسي: ٢٨٢.

^{٣٩٩} (٤) سنن الدارقطني ٢: ٦٥ / ١٠، و التذكرة في أحوال الموتى و الآخرة / القرطبي ٢: ٧٠٣، و بصائر الدرجات: ٢٤ / ١٧ باب ١١، و إكمال الدين ٢: ٦٥٣ / ١٨ باب ٥٧.

^{٤٠٠} (٥) أصول الكافي ١: ٢٣١ / ١ باب ما عند الأئمة من آيات الأنبياء عليهم السلام من كتاب الحجة، و علل الشرائع: ١٦١ / ٣ باب ١٢٩، و كتاب الغيبة / النعماني:

٢٨٣ / ١ باب ١٥، و: ٣٢٠ / ١ باب ٢٢، و دلائل الإمامة: ٢٤١، و كتاب الغيبة / الشيخ الطوسي: ٢٨٣.

^{٤٠١} (٦) دلائل الإمامة: ٢٤٩، و الخرائج و الجرائع ٢: ٨٦٢ / ٧٨ باب ٢٠.

^{٤٠٢} (٧) علل الشرائع: ١٦٠ / ١ باب ١٢٩، و دلائل الإمامة: ٢٣٩.

^{٤٠٣} (٨) عقد الدرر / المقدسي الشافعي: ١١٠ باب ٤ فصل ٣، و روضة الكافي ٨: ١٧٨ / ٢٥٥، و الإرشاد ٢: ٣٧٠، و كتاب الغيبة / الشيخ الطوسي: ١١٤ و ٢٦٥، و

كشف الغمة / الإرزلي ٣: ٢٤٨، و الخرائج و الجرائع ٣: ١١٥٧ باب ٢٠.

^{٤٠٤} (٩) الأصول الستة عشر: ٧٩، و الإرشاد ٢: ٣٤٧.

^{٤٠٥} (١٠) كتاب الغيبة / النعماني: ١٨٤ / ٣٥ باب ١٠، و دلائل الإمامة: ٢٥٨.

^{٤٠٦} (١١) كتاب الغيبة / النعماني: ١٦٣ / ٣ باب ١٠.

ص: ١٩٦

تخفى على الناس ولادته^{٤٠٧}، و تمتحن بذلك شيعته^{٤٠٨}، و من الناس من ينكر ولادته^{٤٠٩}، و منهم من يقول: مات أو هلك، فى أى واد سلك!^{٤١٠}، و إنه لمن أهل بيتي^{٤١١}، و هو السابع من ولدى^{٤١٢}، نحن الأئمة الأوصياء^{٤١٣}، كعدة نقباء بنى إسرائيل اثنى عشر إماما، تسعة من ولد الحسين عليه السلام، تاسعهم قائمهم^{٤١٤}، مع تفصيل اسمائهم عليهم السلام^{٤١٥}، و لعن أول من ظلم حقهم و آخر تابع له على ذلك^{٤١٦}، و إنه لا بدّ من غيبته^{٤١٧}، فى سنة مئتين

ص: ١٩٧

و ستين^{٤١٨} استبقاء على مهجته^{٤١٩}.

لهفى عليه من شريد طريد، و فريد وحيد، موتور بأبيه^{٤٢٠}، و مطلوب ترائه^{٤٢١}.

^{٤٠٧} (١) أصول الكافى ١: ٣٤٢ / ١٦ باب فى الغيبة، من كتاب الحجة، و إثبات الوصية:

٢٢٢-٢٢٣، و إكمال الدين ١: ٣٢٥ / ٢ باب ٣٢، و كتاب الغيبة/ النعمانى:

١٦٧ / ٧ باب ١٠، و: ١٦٩ / ١٠ باب ١٠، و: ٢٢٨ / ٣ و ٩ باب ١٣.

^{٤٠٨} (٢) أصول الكافى ١: ٣٧٠ / ٥ باب التمهيص و الامتحان، من كتاب الحجة، و كتاب الغيبة/ النعمانى: ٢٠٨-٢٠٩ / ١٦ باب ١٢، و: ٢٥٠ / ٨ باب ١٢، و كتاب الغيبة/ الشيخ الطوسى: ٢٦٠.

^{٤٠٩} (٣) إكمال الدين ١: ٣٢٧ / ٧ باب ٣٢.

^{٤١٠} (٤) إكمال الدين ١: ٣٢٦ / ٥ باب ٣٢، و كتاب الغيبة/ النعمانى: ١٥٤ / ١٢ باب ١٠.

^{٤١١} (٥) تفسير العياشى ١: ١٠٣ / ٣٠٢، و كتاب الغيبة/ النعمانى: ٣٠٨ / ٣ باب ١٩.

^{٤١٢} (٦) كفاية الأثر فى النص على الأئمة الإثنى عشر عليهم السلام/ الخزاز القمى: ٢٥٠.

^{٤١٣} (٧) إكمال الدين ١: ٣٢٨ / ٨ باب ٣٢، و الإرشاد ٢: ٣٤٥.

^{٤١٤} (٨) كفاية الأثر: ٢٥٠، و الإرشاد ٢: ٣٤٥، و ٣٤٦، و ٣٤٧.

^{٤١٥} (٩) مهج الدعوات فى منهج العبادات/ السيد رضى الدين بن طاوس: ٣٣٤-٣٣٦، و جمال الأسبوع/ السيد رضى الدين بن طاوس: ٤٥٤-٤٦٤.

^{٤١٦} (١٠) كامل الزيارات: ١٩٦ / ٧ باب ٧١.

^{٤١٧} (١١) أصول الكافى ١: ٣٣٨ / ٨ باب فى الغيبة، من كتاب الحجة، و إكمال الدين - ٣٢٩-٣٣٠ / ١٣ و ١٥ باب ٢٢، و ٢: ٤٥١ / ٨ باب ٤٤، و علل الشرائع ١: ٢٤٦ / ٩ باب ١٧٩، و كتاب الغيبة/ النعمانى: ١٤٥ / ١٢، و: ١٥٦ / ١٧، و: ١٧٣ / ٨، و: ١٧٦-١٧٧ / ١٨، و: ١٩٢ / ٤ (كلها فى الباب / ١٠).

^{٤١٨} (١) أصول الكافى ١: ٣٤١ / ٢٢ و ٢٣ باب فى الغيبة، من كتاب الحجة.

^{٤١٩} (٢) كتاب الغيبة/ النعمانى: ١٧٦ / ١٨، و ١٩ باب ١٠.

^{٤٢٠} (٣) كتاب الغيبة/ النعمانى: ١٧٨ / ٢٢ باب ١٠.

^{٤٢١} (٤) كتاب الغيبة/ النعمانى: ١٧٧ / ٢٠ باب ١٠.

له غيبتان: تطول الثانية منهما^{٢٢٢}، طوبى للمنتظرين له فى غيبته^{٢٢٣}، المتأهبين لنصرته^{٢٢٤}، الذين وثقوا بأنه لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد، لطوّله الله تعالى، حتى ترى - فى آخر الزمان - طلّعه^{٢٢٥}. بعد فتن

ص: ١٩٨

و علامات كثيرة، ككسوف الشمس و خسوف القمر^{٢٢٦}، و خسف بالبيداء^{٢٢٧}، و الصيحة فى شهر رمضان^{٢٢٨}، و فتنة السفينى^{٢٢٩}، و قتل النفس الزكية^{٢٣٠}، و خروج الدجال^{٢٣١}، و مدد المشرق الموطئ لدولته^{٢٣٢}، و هتاف السماء: أن الحق مع آل محمد صلى الله عليه و آله^{٢٣٣}، و ندائها باسم المهدي و اسم أبيه^{٢٣٤}، حتى يسمعه أهل المشرق و المغرب^{٢٣٥}.

ص: ١٩٩

-
- ^{٢٢٢} (٥) كتاب المشيخة / الحسن بن محبوب، كما فى أعلام الورى للطبرسى: ٤١٦ باب ٣، فصل ١، و كتاب الغيبة / النعمانى: ١٧١ - ١٧٣ / ٣ و ٧ و ٨ باب ١٠.
- ^{٢٢٣} (٦) الأصول الستة عشر: ٧١، و أصول الكافى ١: ٣٧٢ / ٦ باب أنه من عرف إمامه لم يضره تقدم هذا الأمر أو تأخر، من كتاب الحجة، و ٢: ٢١ - ٢٣ / ١٠ و ١٣ باب دعائم الإسلام، من كتاب الإيمان و الكفر، إكمال الدين ٢: ٣٤٦ / ٣٢ باب ٣٣، و كتاب الغيبة / الشيخ الطوسى: ٢٠٣، و أمالى الشيخ الطوسى ١: ٢٣٦ - ٢٣٧.
- ^{٢٢٤} (٧) المحاسن / البرقى: ١٧٣ / ١٤٨ باب ٣٨، و روضة الكافى ٨: ٦٧ - ٦٨ / ٣٧، و إكمال الدين ٢: ٦٤٤ / ٢ باب ٥٥.
- ^{٢٢٥} (٨) السنن الواردة فى الفتن / أبو عمرو الدانى: ١٦١ - ١٦٢، و عقد الدرر / المقدسى - الشافعى: ٦١ باب ٤ فصل ١، و الحاوى للفتاوى / السيوطى ٢: ٨١، و البرهان فى علامات مهدي آخر الزمان / المتقى الهندى: ١٠٤ / ٧ باب ٤ فصل ١.
- ^{٢٢٦} (١) روضة الكافى ٨: ١٧٩ - ١٨٠ / ٢٥٨، و إكمال الدين ٢: ٦٥٥ / ٢٥ باب ٧٥، و كتاب الغيبة / النعمانى: ٢٧١ / ٤٥ و ٤٦ باب ١٤، و الإرشاد ٢: ٣٧٤.
- ^{٢٢٧} (٢) كتاب الفتن / نعيم بن حماد: ٩٠ و ٩٥، و عقد الدرر: ٨٤ باب ٤ فصل ٢، و الإرشاد ٢: ٣٧٢.
- ^{٢٢٨} (٣) كتاب الغيبة / النعمانى: ٢٥٣ / ١٣ باب ١٤.
- ^{٢٢٩} (٤) الإرشاد ٢: ٣٧١، و ٣٧٣، و ٣٧٤.
- ^{٢٣٠} (٥) إكمال الدين ٢: ٦٥٢ / ١٤ باب ٥٧، و الإرشاد ٢: ٣٧١، و ٣٧٤، و كتاب الغيبة / الشيخ الطوسى: ٢٦٦ - ٢٦٧، و كشف الغمة ٣: ٢٤٩، و الخرائج و الجرائح: ٢٨٦، و إلام الورى: ١٢٦ باب ٤ فصل ١.
- ^{٢٣١} (٦) بصائر الدرجات: ١٤١ / ٧ باب ١١.
- ^{٢٣٢} (٧) كتاب الغيبة / النعمانى: ٢٥٣ / ١٣ باب ١٤.
- ^{٢٣٣} (٨) كتاب الفتن / ابن حماد: ٩٢، و الحاوى للفتاوى ٢: ٧٥، و الإرشاد ٢: ٣٧١، و ٣٧٢.
- ^{٢٣٤} (٩) كتاب الغيبة / النعمانى: ٢٦٤ / ٢٧ باب ١٤، و: ٢٧٩ / ٦٥ باب ١٤، و الخرائج و الجرائح ٣: ١١٦٠ باب ٢٠، و كتاب الغيبة للسيد على بن عبد الحميد على ما فى بحار الأنوار / العلامة المجلسى ٥٢: ٣٠٥ / ٧٨ باب ٥٦.
- ^{٢٣٥} (١٠) كتاب الغيبة / النعمانى: ٢٥٧ / ١٤ باب ١٤.

و هكذا الى أن يمنّ الله تعالى بظهوره، و تكون في البيت العتيق - بين الركن و المقام - بيعته^{٢٣٦}، و سيخطب في كعبته^{٢٣٧}. معه عدّة أهل بدر من أصحابه^{٢٣٨} ما أجلّ صفاتهم^{٢٣٩}، و أعظم شجاعتهم^{٢٤٠}.

عنده عصا موسى لتلقف ما يأفكون^{٢٤١}، و حجره المبارك الميمون^{٢٤٢}، و خاتم سليمان^{٢٤٣}، و سلاح النبي صلى الله عليه و آله و رأيته^{٢٤٤}، و عهده^{٢٤٥}، و موارِيثه^{٢٤٦}، و كتب سيد الأوصياء أمير المؤمنين عليه السّلام^{٢٤٧}.

ص: ٢٠٠

تنصره ملائكة بدر الكبرى في حروبه^{٢٤٨}، و ينزل عيسى بن مريم فيصلي خلفه^{٢٤٩}، و يفتح الله على يده مشارق الأرض و مغاريها، فيملأها عدلا و قسطا كما ملئت ظلما و جورا^{٢٥٠}.

^{٢٣٦} (١) الأصول الستة عشر: ٧٩، و كتاب الغيبة / النعماني: ٢٢ / ٢٤٢، باب ١٤، و كتاب الغيبة / الشيخ الطوسي: ٢٨٤.

^{٢٣٧} (٢) كتاب الفتن / ابن حمّاد: ٩٥، و عقد الدرر: ١٤٥ باب ٧.

^{٢٣٨} (٣) كتاب الغيبة / النعماني: ٣١٥ / ٨ و ٩ باب ٢٠.

^{٢٣٩} (٤) إكمال الدين ٢: ٦٧٣ / ٢٥ باب ٥٨.

^{٢٤٠} (٥) حلية الأولياء / أبو نعيم الأصبهاني ٣: ١٨٤، و ينابيع المودة / القندوزي: ٤٤٨ باب ٧٩.

^{٢٤١} (٦) بصائر الدرجات: ١٨٣ - ١٨٤ / ٣٦ باب ٤، و أصول الكافي ١: ٢٣١ / ١ باب ما عند الأئمة من آيات الأنبياء عليهم السّلام من كتاب الحجة، و إكمال الدين ٢: ٦٧٣ - ٦٧٤ / ٢٧ باب ٥٨، و الاختصاص: ٢٦٩.

^{٢٤٢} (٧) بصائر الدرجات: ١٨٨ / ٥٤ باب ٤، و أصول الكافي ١: ٢٣١ / ٣ من الباب السابق و إكمال الدين ٢: ٦٧٠ / ١٧ باب ٥٨.

^{٢٤٣} (٨) كتاب الغيبة / النعماني: ٢٣٨ / ٢٨ باب ١٣.

^{٢٤٤} (٩) الأصول الستة عشر: ٧٩.

^{٢٤٥} (١٠) كتاب الغيبة للسيد علي بن عبد الحميد علي ما في البحار ٥٢: ٣٠٥ / ٧٨ باب ٢٦.

^{٢٤٦} (١١) الأصول الستة عشر: ٧٩.

^{٢٤٧} (١٢) بصائر الدرجات: ١٦٢ / ٢ باب ١.

^{٢٤٨} (١) تفسير العياشي ١: ١٩٧ / ١٣٨، و كتاب الغيبة / الشيخ الطوسي: ٢٨٤.

^{٢٤٩} (٢) تفسير فرائد الكوفي: ٤٤، و إكمال الدين ١: ٣٣١ - ٣٣٢ / ١٧ باب ٣٢.

^{٢٥٠} (٣) من لا يحضره الفقيه / الشيخ الصدوق ١: ٢٣٤ / ٧٠٦، و الإرشاد ٢: ٣٨٥، و كتاب الغيبة للسيد علي بن عبد الحميد علي ما في البحار ٥٢: ٣٩٠ / ٢١٢ باب

لا يرحم في سيرته أعداءه^{٤٥١}، ولكن ما أجمل عدله^{٤٥٢}، وقضائه^{٤٥٣}، وما أكثر عطائه^{٤٥٤}، لا تخشى رعيته فقرا و الرخاء العقيم في دولته^{٤٥٥}، ولا كفرا؛ إذ سيجدد الإسلام بعد غربته^{٤٥٦}، وينشره حتى لا يرى - على وجه الأرض - دين غيره^{٤٥٧}، و سيدعو الخلق الى كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و آله،

ص: ٢٠١

و الولاية لأمر المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام و البراءة من أعدائه^{٤٥٨}، و أول ما يزور من العراق النجف^{٤٥٩}، ثم يجعل الكوفة عاصمته، و يختار فيها منزله^{٤٦٠}، و من أدركه فليسلم عليه بقوله: «السلام عليكم يا أهل بيت النبوة، و معدن العلم، و موضع الرسالة»^{٤٦١}.

و هذا غيظ، من فيض، إغترفناه على عجل من بحر الإمام الباقر عليه السلام وحده، لخصنا فيه مضامين بعض أحاديثه الشريفة في الإمام المهدي عليه السلام و ما تركناه أكثر و أكثر.

و قد توزع ما ذكرناه على خمسين رجلا من أصحابه عليه السلام، و هم:

- ١- أبو أيوب المخزومي، ٢- أبو بصير، ٣- أبو بكر الحضرمي، ٤- أبو الجارود، ٥- أبو حمزة الثمالي، ٦- أبو خالد الكابلي، ٧-
- أبو عبيدة الحذاء، ٨- ابو مريم عبد الغفار بن القاسم، ٩- أحمد بن عمر،

ص: ٢٠٢

^{٤٥١} (٤) كتاب الغيبة/ النعماني: ٢٣١/ ١٤ باب ١٣، و: ٢٣٣/ ١٨ باب ١٣، و الإرشاد ٢: ٣٨٤.

^{٤٥٢} (٥) من لا يحضره الفقيه ١: ٣٣٤/ ٧٠٦، و الإرشاد ٢: ٣٨٥.

^{٤٥٣} (٦) كتاب الغيبة للسيد علي بن عبد الحميد علي ما في بحار الأنوار ٥٢: ٣٨٩/ ٢٠٧ باب ٢٧.

^{٤٥٤} (٧) علل الشرائع: ١٦١/ ٣ باب ١٢٩، و كتاب الغيبة/ النعماني: ٢٣٧/ ٢٦ باب ١٣.

^{٤٥٥} (٨) كتاب الغيبة/ النعماني: ٢٣٨ - ٢٣٩/ ٣٠ باب ١٣، كتاب الغيبة للسيد علي ابن عبد الحميد علي ما في بحار الأنوار ٥٢: ٣٩٠/ ٢١٢ باب ٢٧.

^{٤٥٦} (٩) كتاب الغيبة للسيد علي بن عبد الحميد علي ما في بحار الأنوار ٥٢: ٣٩٠/ ٢١٢ باب ٢٧.

^{٤٥٧} (١٠) دلائل الإمامة: ٢٤١، و كتاب الغيبة/ الشيخ الطوسي: ٢٨٣.

^{٤٥٨} (١) كتاب الغيبة للسيد علي بن عبد الحميد علي ما في بحار الأنوار ٥٢: ٣٠٨/ ٨٣ باب ٢٦.

^{٤٥٩} (٢) بصائر الدرجات: ١٨٨/ ٥٤ باب ٤، و أصول الكافي ١: ٢٣١/ ٣ باب ما عند الأئمة من آيات الأنبياء عليهم السلام، من كتاب الحجّة، و تفسير العياشي ١:

٣٠٢/ ١٠٣، و إكمال الدين ٢: ٦٧٠/ ١٧ باب ٥٨، و كتاب الغيبة/ النعماني:

٢٣٨/ ٢٨ باب ١٣، و: ٣٠٨/ ٣ باب ١٩، و الإرشاد ٢: ٣٧٩ - ٣٨٠.

^{٤٦٠} (٣) كامل الزيارات: ٣٠/ ١١ باب ٨، و الإرشاد ٢: ٣٧٩ - ٣٨٠، و تهذيب الأخبار/ الشيخ الطوسي ٦: ٣١/ ١ باب ١٠، و كتاب الغيبة/ الشيخ الطوسي:

٢٧٥ و ٢٨٠.

^{٤٦١} (٤) كتاب الغيبة/ الشيخ الطوسي: ٢٨٢، و نحوه في إكمال الدين ٢: ٦٥٣/ ١٨ باب ٥٧.

١٠- إسماعيل الجعفي، ١١- بدر بن الخليل الأزدي، ١٢- بريد العجلي، ١٣- بشير بن أبي أراكه النبال، ١٤- بكير بن أعين، ١٥- ثابت بن عمرو، ١٦- جابر الجعفي، ١٧- حصين الثعلبي، ١٨- حمران بن أعين، ١٩- زرارة بن أعين، ٢٠- زيد الكناسي، ٢١- سالم الأشل، ٢٢- سلام ابن أبي عميرة، ٢٣- سلام بن المستنير، ٢٤- سليمان بن الحسن، ٢٥- سليمان بن خالد، ٢٦- سيف بن عميرة، ٢٧- شرحبيل، ٢٨- صالح ابن ميثم، ٢٩- ضريس، بن عبد الملك الكناسي، ٣٠- عبد الله بن أبي يعفور، ٣١- عبد الله بن حماد الأنصاري، ٣٢- عبد الله بن عطاء، ٣٣- عبد الحميد الواسطي، ٣٤- عبد الرحيم القصير، ٣٥- عبد الملك بن أعين، ٣٦- علقمة بن محمد الحضرمي، ٣٧- عمار الدهني، ٣٨- عمرو ابن عبد الله بن هند الجملي، ٣٩- مالك الجهني، ٤٠- محمد بن علي السلمي، ٤١- محمد بن فضل، ٤٢- محمد بن مسلم التقي، ٤٣- معروف ابن خربوذ، ٤٤- منصور الصيقل، ٤٥- ميمون البان، ٤٦- ناجية القطان، ٤٧- هارون بن هلال، ٤٨- يحيى بن أبي العلاء، ٤٩- يحيى بن سابق، ٥٠- يحيى بن سالم.

و بهذا يتبين لك مذهب الإمام الباقر عليه السلام في الإمام المهدي عليه السلام، و به تتضح قيمة ما رواه ابن سعد في طبقاته أولاً، و ما أخرجه ابن عساكر ثانياً، من إكذوبتين ما أنزل الله بهما من سلطان.

على أن مسلمة بن أبي سعيد الذي روى عنه ابن سعد، لا خير فيه عندهم، و أهمله أكثرهم.

ص: ٢٠٣

و مولى هند بنت أسماء الذي أخرج له ابن عساكر، لا عين له و لا أثر في مصادرهم، فهو نكرة مهملة غارق في الإهمال.

و نكتفي بهذا القدر في ابطال ما نسبوه إلى الإمام الباقر عليه السلام لنرى الأقوال الواردة في تعزيز القول بمهدوية عمر بن عبد العزيز، و قد نسبت إلى بعض التابعين و غيرهم، و لم يثبت معظمها، لضعف روايتها:

رابعاً- الأقوال الواردة في مهدوية عمر بن عبد العزيز:

و من الأقوال الواردة في مهدوية عمر بن عبد العزيز الأموي المرواني:

١- قول الحسن البصري: «ما أرى مهدياً فهو عمر بن عبد العزيز»^{٤٦٢}.

و قوله: «إن كان مهدي فعمر بن عبد العزيز، و إلّا فلا مهدي إلّا عيسى ابن مريم عليه السلام»^{٤٦٣}.

٢- قول أبي قلابة: «عمر بن عبد العزيز هو المهدي حقاً»^{٤٦٤}.

^{٤٦٢} (١) الملاحم و الفتن / ابن حماد: ٢٦٤ / ١٠٣٩.

^{٤٦٣} (٢) حليّة الأولياء ٥: ٢٥٧ / ٣٣١، و تاريخ دمشق ٤٥: ١٨٦ / ٥٢٤٢.

^{٤٦٤} (٣) الملاحم و الفتن / ابن حماد: ٢٦٤ / ١٠٣٨.

٣- قول قتادة: «كان يقال المهدي ابن أربعين سنة، يعمل بأعمال بني إسرائيل، فإن لم يكن عمر فلا أدرى من هو؟»^{٤٦٥}.

ص: ٢٠٤

٤- قول وهب بن منبه: «إن كان في هذه الأمة مهدي فهو عمر بن عبد العزيز»^{٤٦٦}.

و قال ابن كثير في البداية و النهاية بعدما أورد قول وهب بن منبه:

«و نحو هذا قال قتادة و سعيد بن المسيب و غير واحد»^{٤٦٧}.

٥- قول سعيد بن المسيب لرجل سأل: من المهدي؟ فقال: «عمر بن عبد العزيز هو المهدي»^{٤٦٨}.

خامسا- من ردّ هذه الأقوال و رفضها من العامة:

رفض طاوس كل هذه الأقوال حين سأل إبراهيم بن ميسرة، قال:

«قلت لطاوس: عمر بن عبد العزيز المهدي؟ قال: قد كان مهديا و ليس به، إنّ المهدي إذا كان زيد المحسن في إحسانه، و تيب عن المسيء من إساءته، و هو يبذل المال، و يشتدّ على العمال، و يرحم المساكين»^{٤٦٩}.

و رواه ابن حمّاد من طريق آخر بلفظ: «قلت لطاوس: عمر بن عبد العزيز المهدي؟ قال: لا، إنّ لم يستكمل العدل كلّ»^{٤٧٠}.

ص: ٢٠٥

و علّق عليه السمهودي بقوله: «أى: بل هو مهدي من جملة المهديين غير الموعود به في آخر الزمان، .. قال أحمد- في إحدى الروايتين عنه- و غيره: عمر بن عبد العزيز متهم»^{٤٧١}.

^{٤٦٥} (٤) السنن الواردة في الفتن / أبو عمرو الداني ٥: ١٠٧٤ / ٥٨٨، و تاريخ دمشق ٤٥: ١٨٦ - ١٨٧ / ٥٢٤٢.

^{٤٦٦} (١) حلية الأولياء ٥: ٢٥٤ / ٣٣١، و تاريخ دمشق ٤٥: ١٨٧ / ٥٢٤٢.

^{٤٦٧} (٢) البداية و النهاية / ابن كثير ٩: ٢٢٥ في حوادث سنة ١٠١ هـ في ترجمة عمر بن عبد العزيز، فصل (و قد كان منتظرا فيما يؤثر من الأخبار)!

^{٤٦٨} (٣) الطبقات الكبرى / ابن سعد ٥: ٣٣٣، و تاريخ دمشق ٤٥: ١٨٨ / ٥٢٤٢.

^{٤٦٩} (٤) المصنّف / ابن أبي شيبة ٨: ٦٧٩ / ١٩٨، و الملاحم و الفتن / ابن حمّاد:

٩٨٩ / ٢٥٣.

^{٤٧٠} (٥) الملاحم و الفتن / ابن حمّاد: ٩٨٧ / ٢٥٢.

^{٤٧١} (١) جواهر العقدين / السمهودي: ٣١١، القسم الثاني من الفصل الثالث.

و من الواضح إمكان إضافة العشرات من علماء العامة إلى قائمة تكذيب القول بمهدوية عمر بن عبد العزيز، و هم من رروا أحاديث المهدي عليه السلام في تلك الفترة، و ما أكثرهم، بل لا يوجد من العامة و لا من غيرهم - اليوم - من يقول البتة بتلك المهدوية الزائفة التي انتهت بموته.

سادسا- المهدوية الأموية المروانية في الميزان:

إنّا لا نحتاج - في الواقع - إلى ما قاله طاوس و غيره في الردّ على مهدوية عمر بن عبد العزيز؛ إذ لم تكن الأمة الإسلامية - في عصر الإمام الصادق عليه السلام (١١٤ - ١٤٨ هـ) - بحاجة إلى من يبين لها زيف تلك الأقوال و وهنها؛ لعلم الأمة - حينئذ - بأن عمر بن عبد العزيز الأموي قد تولّى السلطة سنة / ٩٩ هـ، و مات سنة / ١٠١ هـ، و إنه جاء إليها بعهد من سليمان بن عبد الملك الأموي (٩٦ - ٩٩ هـ)، و قد بايع الأمويون لمن في كتاب العهد الذي كتبه سليمان بيده ثم ختمه، و لم يفضّه أحد إلى أن هلك هذا الطاغية سنة / ٩٩ هـ باتفاق المؤرخين.

و مع أن الأمويين ليسوا من أهل الحل و العقد، فهم لم يعرفوا لمن بايعوا إلّا بعد هلاك سليمان!!

ص: ٢٠٦

و ١ قد كان (المهدي الأموي) يعتقد بأن سليمان بن عبد الملك إمام مفروض الطاعة^{٤٧٢}! في الوقت الذي وصفه الحديث بأنه ثاني الجبارين^{٤٧٣} الأربعة من ولد عبد الملك بن مروان، و أنّ معاوية الوغد كان كذلك في عقيدته، حتى أنه ما ضرب أحدا في سلطانه غير رجل واحد تناول من معاوية، فضربه هذا (المهدي) ثلاثة أسواط!!^{٤٧٤}.

و من ثمّ سلمها (مهدى الأمويين) - عند احتضاره - إلى الجبار الثالث يزيد بن عبد الملك (١٠١ - ١٠٥ هـ)، و على وفق ما رسم له من قبل الجبار الثاني سليمان، و هكذا أبقاها عمر بن عبد العزيز في الشجرة الملعونة كعلامة فارقة من علامات (عدله) الذي اغترّ به الكثيرون.

نعم .. لم تكن الأمة بحاجة إلى من يدلّها على زيف التاريخ الأموي، و انحراف صانعيه و عتوهم و كفرهم و نفاقهم، و استسلامهم لا إسلامهم منذ أن بزغ نجمهم على يد باغيّتهم، و انتهاء بقتل حمارهم و انقضاء دولتهم التي مزقت مثل الإسلام أى ممزق، و عادت بالمجتمع الإسلامي إلى حضيض الجاهلية، و نقضت الإسلام عروة فعروة. حتى صارت كلمة (أموي)

^{٤٧٢} (١) منع عمر بن عبد العزيز مروان بن عبد الملك من الردّ على أخيه سليمان بن عبد الملك في كلام وقع بينهما، قاتلا له: إنه إمامك!! راجع: تاريخ الخلفاء / السيوطي: ١٨١.

^{٤٧٣} (٢) سليمان هذا أحد الجبابرة الأربعة من ولد عبد الملك بن مروان، و هم: الوليد، و سليمان، و يزيد، و هشام. و قد وصفهم الحديث بالجبابة الأربعة. أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٩: ٣٨٢ / ٨٩٧، فراجع.

^{٤٧٤} (٣) تاريخ الخلفاء / السيوطي: ١٩٠.

وحدها، كافية على انحراف من تطلق عليه و استهتاره بكل القيم، إلّا من خرج بدليل منهم، و قليل ما هم. فلا غرو إذن في أن تشمئز من ذكرها النفوس و تقشعرّ الأبدان.

و النبي الأكرم صَلَّى الله عليه و آله الذي بشر بمهدى أهل البيت عليهم السّلام حذرّ أمته من الأمويين، بأنهم ليسوا من خلفاء هذه الأمة، و إنما هم من الملوك، و أن ملكهم عضوض كسروى^{٤٧٥}.

و قد رآهم النبي صَلَّى الله عليه و آله في منامه، و هم ينزون على منبره الشريف نزو القردة فساء ذلك، فما استجمع ضاحكا حتى فارق الحياة صَلَّى الله عليه و آله، و أنزل الله تعالى في ذلك: **وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ**^{٤٧٦} أي: بنو أمية^{٤٧٧}.

و قال صَلَّى الله عليه و آله في بنو أمية: **«يَرُدُّونَ النَّاسَ عَنِ الْإِسْلَامِ الْقَهْقَرَى»**، أو: **«يَرُدُّونَ النَّاسَ عَلَى أَعْقَابِهِمُ الْقَهْقَرَى»**^{٤٧٨}.

و قال صَلَّى الله عليه و آله: **«إِذَا بَلَغَتْ بَنُو أُمِّيَةِ أَرْبَعِينَ رَجُلًا اتَّخَذُوا عِبَادَ اللَّهِ خَوْلًا، وَ مَالَ اللَّهِ نَحْلًا، وَ كِتَابَ اللَّهِ دَغْلًا»**^{٤٧٩}.

و قال صَلَّى الله عليه و آله: **«هَالِكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى يَدَيِ أَغِيلَمَةَ مِنْ قَرِيشٍ»**.

أخرجه الحاكم ثم قال: **«هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَ لَمْ يَخْرُجْهُ، وَ لِهَذَا الْحَدِيثِ تَوَابِعٌ وَ شَوَاهِدٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ صَحَابَتِهِ الطَّاهِرِينَ، وَ الْأَئِمَّةِ مِنَ التَّابِعِينَ لَمْ يَسْعَى إِلَّا ذِكْرَهَا، فَذَكَرْتُ بَعْضَ مَا حَضَرَنِي، مِنْهَا:»**^{٤٨٠}.

^{٤٧٥} (١) كما في حديث سفينة عن النبي صَلَّى الله عليه و آله في مسند أحمد ٦: ٢٨٩ - ٢٩٠ / ٢١٤١٢ و ٢١٤١٦ و ٢١٤٢١، و الطبعة القديمة ٥: ٢٢٠ - ٢٢١، و سنن أبي داود ٤: ٢١٠ / ٤٦٤٦ - ٤٦٤٧، باب الخلفاء، من كتاب السنة، و مستدرک الحاكم ٣: ١٥٦ / ٤٦٩٧ و الطبعة القديمة ٣: ١٤٥، و حديث أبي هريرة في المستدرک ٣: ٧٥ / ٤٤٤٠، و الطبعة القديمة ٣: ٧٢.

^{٤٧٦} (٢) سورة الإسراء: ١٧ / ٦٠.

^{٤٧٧} (٣) راجع: الكشف و البيان (تفسير الثعلبي) ٦: ١١١، و التفسير الكبير / الفخر الرازي مج ١٠ ج ٢٠ ص ٢٣٨، و الدر المنثور / السيوطي ٥: ٣١٠، و كذلك: تفسير القمي ١: ٤١١ - ٤١٢ و تفسير العياشي ٣: ٥٧ - ٥٨ / ٢٥٣٧ و ٢٥٣٩ و ٢٥٤٣، و مجمع البيان / الطبرسي ٦: ٥٤٨؛ كلهم في تفسير الآية (٦٠) من سورة الإسراء. و قد روى ذلك الحاكم النيسابوري في مستدرکه بسنده عن أبي هريرة - مرفوعا، و قال: **«هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَ لَمْ يَخْرُجْ»** و اعترف الذهبي في خلاصة المستدرک بأنه صحيح على شرط مسلم. راجع مستدرک الحاكم ٤: ٥٢٧ / ٨٤٨١، و بذيلها خلاصة الذهبي ٤: ٤٨٠.

^{٤٧٨} (١) روضة الكافي ٨: ٢٨٥ / ٥٤٣، و تفسير العياشي ٣: ٥٧ - ٥٨ / ١٥٤٠ و ١٥٤١، و نحوه في أصول الكافي ١: ٤٢٦ / ٧٣ باب فيه نكت و تنف من التنزيل في الولاية، من كتاب الحجّة.

^{٤٧٩} (٢) مستدرک الحاكم ٤: ٥٢٥ - ٥٢٦ / ٨٤٧٥ - ٨٤٧٦، و الطبعة القديمة ٤: ٤٧٩.

^{٤٨٠} (٣) مستدرک الحاكم ٤: ٥٢٦ / ذيل الحديث رقم ٨٥٧٦، و الطبعة القديمة ٤: ٤٧٩.

ثم ذكر جملة من تلك الأحاديث، ولا بأس بالاشارة السريعة إليها و هي:

١- حديث عبد الرحمن بن عوف قال: «كان لا يولد لأحد مولود إلّا أتى به النبي صَلَّى الله عليه و آله، فدعا له، فأدخل عليه مروان بن الحكم [جدّ عمر بن

ص: ٢٠٩

عبد العزيز] فقال صَلَّى الله عليه و آله: «هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون».

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه»^{٤٨١}.

٢- و حديث أبي ذر، قال: «سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه و آله يقول: إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا، اتخذوا مال الله دولا، و عباد الله خولا، و دين الله دغلا».

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه»^{٤٨٢}، و قد أخرج له الحاكم شاهدا من رواية أبي سعيد^{٤٨٣}.

٣- و حديث أبي برزة، قال: «كان أبغض الأحياء إلى رسول الله صَلَّى الله عليه و آله:

بنو أمية، و بنو حنيفة، و ثقيف».

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه»^{٤٨٤}.

٤- و حديث محمد بن زياد، قال: «لما بايع معاوية لابنه يزيد، قال مروان: سنّة أبي بكر و عمر، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: سنّة هرقل و قيسر، فقال مروان: أنزل الله فيك: **وَالَّذِي قَالَ لَوَالِدَيْهِ أَفٍّ لَّكُمَا**^{٤٨٥}».

ص: ٢١٠

قال: فبلغ عائشة، فقالت: كذب و الله ما هو به، و لكن رسول الله صَلَّى الله عليه و آله لعن أبا مروان و مروان في صلبه، فمروان قصص من لعنة الله عزّ و جلّ».

^{٤٨١} (١) مستدرک الحاكم ٤: ٨٥٧٧ / ٥٢٦، و الطبعة القديمة ٤: ٤٧٩.

^{٤٨٢} (٢) مستدرک الحاكم ٤: ٥٢٦ - ٨٤٧٨ / ٥٢٧، و الطبعة القديمة ٤: ٤٧٩ - ٤٨٠، و قد اعترف الذهبي بصحّته على شرط مسلم.

^{٤٨٣} (٣) مستدرک الحاكم ٤: ٥٢٧ / ٨٤٧٩ و ٨٤٨٠، و الطبعة القديمة ٤: ٤٨٠.

^{٤٨٤} (٤) مستدرک الحاكم ٤: ٨٤٨٢ / ٥٢٨، و الطبعة القديمة ٤: ٤٨٠ - ٤٨١، و قد اعترف الذهبي بصحّته على شرط البخاري و مسلم معا.

^{٤٨٥} (٥) سورة الأحقاف: ١٧ / ٤٦.

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه»^{٤٨٦}.

و قد أخرج الطبراني عن الإمام الحسن السبط عليه السلام قوله لمروان: «فو الله لقد لعنك الله على لسان نبيه صلى الله عليه و آله و أنت فى صلب أبيك»^{٤٨٧}.

٥- و حديث عمرو بن مرة الجهنى قال: «إن الحكم بن أبى العاص استأذن على النبی صلى الله عليه و آله، فعرف النبی صلى الله عليه و آله صوته و كلامه، فقال: إئذنوا له عليه لعنة الله و على من يخرج من صلبه إلّا المؤمن منهم و قليل ما هم، يشرفون فى الدنيا و يضعون فى الآخرة، ذوو مكر و خديعة، يعطون فى الدنيا، و ما لهم فى الآخرة من خلاق».

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، و شاهده حديث عبد الله بن الزبير»، ثم أورد حديث ابن الزبير و فيه: «إن رسول الله صلى الله عليه و آله لعن الحكم و ولده» و قال: «هذا الحديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه»^{٤٨٨}.

و من مقارنة هذا الشاهد بحديث عمرو بن مرة الجهنى، يتقوى احتمال

ص: ٢١١

زيادة عبارة (إلّا المؤمن منهم، و قليل ما هم) على حديث الجهنى، خصوصا و أن لعن بنى أمية قاطبة قد صحّ من طرقنا، فلاحظ.

هذا و قد روى الحاكم - فى مكان آخر - عن أبى سعيد الخدرى، قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه و آله: إنّ أهل بيتى سيلقون من بعدى من أمتى قتلا و تشريدا، و إنّ أشدّ قومنا لنا بغضا: بنو أمية، و بنو المغيرة، و بنو مخزوم».

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه»^{٤٨٩}.

و حين أخذ مروان بن الحكم أسيرا يوم الجمل، و خلّى سبيله أمير المؤمنين على عليه السلام، فقليل له: «يبايحك يا أمير المؤمنين؟» فقال عليه السلام: «أو لم يبايعنى بعد قتل عثمان؟ لا حاجة لى فى بيعته، إنها كفّ يهودية، لو بايعنى بكفّه لغدر بسبّته، أما إنّ له

^{٤٨٦} (١) مستدرک الحاكم ٤: ٥٢٨ / ٨٤٨٣، و الطبعة القديمة ٤: ٤٨١.

^{٤٨٧} (٢) المعجم الكبير / الطبرانى ٣: ٨٥ / ٢٧٢٠.

^{٤٨٨} (٣) مستدرک الحاكم ٤: ٥٢٨ - ٥٢٩ / ٨٤٨٥، و الطبعة القديمة ٤: ٤٨١ - ٤٨٢، و قال الحاكم فى ذيل الحديث: «ليعلم طالب العلم إن هذا باب لم أذكر فيه ثلث ما روى، و إن أول الفتن فى هذه الأمة فتنتهم، و لم يسعنى فيما بينى و بين الله أن أخلى الكتاب من ذكرهم».

^{٤٨٩} (١) مستدرک الحاكم ٤: ٥٣٤ / ٨٥٠٠، و الطبعة القديمة ٤: ٤٨٧.

إمرة كلعقة الكلب أنفه، و هو أبو الأكبش الأربعة [يعنى: الوليد، و سليمان، و يزيد، و هشام] و ستلقى الأمة منه و من ولده يوما أحمر»^{٤٩٠}.

و قد وصف أمير المؤمنين على عليه السلام فتنتهم بقوله عليه السلام:

«.. ألا و إن أخوف الفتن عندى عليكم فتنة بنى أمية فانها فتنة عمياء مظلمة .. و أيم الله لتجدن بنى أمية لكم أرباب سوء بعدى كالناب الضروس .. لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلّا نافعاً لهم أو غير ضائر بهم، و لا يزال بلاؤهم عنكم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلّا كانتصار العبد من ربّه، و الصاحب من مستصحبه، ترد عليكم فتنتهم

ص: ٢١٢

شوهاء مخشّية، و قطعاً جاهلية، ليس فيها منار هدى، و لا علم يرى»^{٤٩١}.

و نتيجة لهذه الأحاديث و غيرها مما لم نذكره و هو كثير جداً فى مثالب بنى أمية جميعاً، صار العالمون بها، و المطلعون على سيرة بنى أمية أول كافر بمهدوية عمر بن عبد العزيز عند لحظة انطلاقها من على أفواه الكذّابين و المجرمين.

جدير بالذكر أن ابن المبارك (ت / ١٨١ هـ)، و هو كما يقول المزي:

«أحد الأئمة الأعلام، و حفاظ الإسلام»^{٤٩٢} يرى أن معاوية - على جرائمه الكبرى، و موبقاته التى لا أول لها و لا آخر - أفضل من عمر بن عبد العزيز ابن مروان بن الحكم بن أبى العاص الأموى المروانى^{٤٩٣}.

و كان هناك من: «يفسّق عمر بن عبد العزيز، و يستهزئ به، و يكفره»^{٤٩٤}.

فكيف يكون عمر مع هذا هو المهدى؟!

سابعا - موقف الإمام الصادق عليه السلام من تلك المهدوية:

بعد اتضاح موقف القرآن الكريم، و السنّة النبوية المطهرة من الأمويين و المروانيين، و دولتهم (الشجرة الملعونة)، و ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام فى

^{٤٩٠} (٢) نهج البلاغة: ١٠٩، رقم / ٧٣. من كلام له عليه السلام قاله لمروان بن الحكم بالبصرة).

^{٤٩١} (١) نهج البلاغة: ١٧٢ خطبة رقم / ٩٣ فى التنبيه على فضله و علمه عليه السلام، مع بيان فتنة بنى أمية و انحراف دولتهم).

^{٤٩٢} (٢) تهذيب الكمال ١٦: ٦ / ٣٥٢٠.

^{٤٩٣} (٣) راجع: الشريعة / الآجرى ٣: ٥٢٠ / ٢٠١٢ الأثر رقم / ٧١٣.

^{٤٩٤} (٤) راجع: شرح نهج البلاغة / ابن أبى الحديد المعتزلى ٢٠: ٣٢.

فتنتهم و انحرافهم؛ فماذا يتوقع بعد هذا إذن أن يقوله الإمام الصادق عليه السلام في تلك الدولة الخبيثة المنحرفة من رأسها إلى أساسها؟

روى سفيان بن عيينة عن الإمام الصادق عليه السلام بأن بنى أمية لم يطلقوا تعليم الشرك للناس؛ لكي إذا حملوهم عليه لم يعرفوه^{٤٩٥}.

و روى الحكم بن سالم، عمن حدثه عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنا و آل أبي سفيان أهل بيتين تعادينا في الله، قلنا: صدق الله، و قالوا: كذب الله! قاتل أبو سفيان رسول الله صلى الله عليه و آله، و قاتل معاوية على بن أبي طالب عليه السلام، و قاتل يزيد بن معاوية الحسين بن علي عليه السلام، و السفيناني يقاتل القائم عليه السلام»^{٤٩٦}.

و أما من اغترّ بما ورد في سيرة عمر بن عبد العزيز من ردّ المظالم و أشباهها، كارجاع فذك إلى بنى فاطمة عليها السلام و وصفهم له بالعدالة!!

فجوابه ما ذكرناه في أول ردّ هذه المقولة، بأنه استلم السلطة من الشجرة الملعونة، و مقتضى العدل أن يتنحى عنها و لا يتقدّم- بنص الحديث الصحيح- على قوم نهى من التقدم عليهم، أو على الأقل أن يرجعها إليهم بعد وفاته لا أن يرجعها إلى تلك الشجرة الخبيثة التي اجتشت فما لها من قرار.

و ما قيمة ردّ المظالم في قبال اغتصاب الحقّ الأكبر؟!

سأل عبد الأعلى مولى آل سام أبا عبد الله الصادق عليه السلام بقوله: قلت له: **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ**^{٤٩٧} أليس قد أتى الله عزّ و جلّ بنى أمية الملك؟

قال عليه السلام: ليس حيث تذهب إليه، إن الله عزّ و جلّ أتانا الملك و أخذته بنو أمية، بمنزلة الرجل يكون له الثوب فيأخذه الآخر، فليس هو للذي أخذه»^{٤٩٨}.

و من هنا لم يتعرض إمامنا الصادق عليه السلام إلى إبطال مهدوية عمر بن عبد العزيز بصورة مباشرة، لعلم الأمة كلها بذلك، و إنما نبّه الأمة على جرائم بنى أمية، و لم يستثن أحدا منهم قط، كما هو شأن الأحاديث السابقة في مثالبهم، مبينا عليه السلام ما

^{٤٩٥} (١) أصول الكافي ٢: ٤١٥-٤١٦ / ١، كتاب الإيمان و الكفر.

^{٤٩٦} (٢) معاني الأخبار/ الصدوق: ٣٤٦ / ١، باب معنى قول الصادق عليه السلام، إنا و آل أبي سفيان أهل بيتين تعادينا في الله عزّ و جلّ.

^{٤٩٧} (١) سورة آل عمران: ٢٦ / ٣.

^{٤٩٨} (٢) روضة الكافي ٨: ٢٢٢ / ٣٨٩.

يكفى لدحض كل دعوى زائفة بهذا الشأن سواء التي عاصرها أو التي جاءت بعد حين، و ذلك عن طريق تصريحه تارة بأن المهدي عليه السلام لم يولد بعد، و أخرى بأنه من ذرية الحسين عليه السلام، و ثالثة ببيان هويته الكاملة كما لا حظنا ذلك فى الفصول السابقة مما لم يبق - بهذا - مجالاً لاستمرار أية حجة للتمسك بأمثال تلك الدعاوى الباطلة، و غيرها من دعاوى المهدوية الزائفة كما سنرى.

ص: ٢١٥

الفصل الثالث شبهة مهدوية محمد بن عبد الله الحسنى

أولاً - منشأ هذه الشبهة و تداعياتها:

اختلفت الأهداف الجهادية بالسياسة المحضة وراء انطلاق إشاعة مهدوية محمد بن عبد الله بن الحسن المحض، بن الحسن السبط عليه السلام، و ذلك فى اجتماع الأبواء فى أواخر العصر الأموى، و الذى ضمّ وجوه بنى هاشم من الحسينيين و الزيديين و بنى العباس، بهدف تنظيم صفوفهم، و البيعة إلى واحد منهم، و دعوة الناس إلى نصرته؛ للاتاحة بالحكم الأموى الذى أهلك الحرث و النسل، و عاث فى الأرض فساداً. و قد شجّعهم على ذلك الثورات العلوية السابقة المتلاحقة التى أنهكت حكم الطاغوت، و لاح لهم فى الأفق أنه بات يعدّ أيامه الأخيرة؛ ليذهب وشيكاً فى مزابل التاريخ بلا رجعة.

و قد تمخض اجتماع الهاشميين عن بيعتهم لمحمد بن عبد الله بن الحسن المحض، و لقّب بالمهدى؛ ليقوم بدور القائد الملبى لطموح الأمة فى القضاء على البغى و العدوان، و إشاعة العدل و المساواة بين الناس. و قد اختاروا شعار «الرضا من آل محمد صلى الله عليه و آله» لانطلاق دعوتهم؛ لأنه الشعار الذى

ص: ٢١٦

يضمن عدم استبداد أى من الهاشميين على حساب بنى عمومهم، و يمثّل المساواة بين الأطراف المتنازعة على السلطة المرتقبة ممن حضر اجتماع الأبواء.

و لكن سرعان ما التفّ العباسيون بدهاء على ثمار تلك الدعوة التى أتت أكلها بقتل مروان الحمار آخر طغاة الأمويين سنة (١٣٢هـ) فاستفردوا بالسلطة، و صاروا حرباً شعواء على العلويين بأشدّ مما كان عليه حالهم أيام دولة الطلقاء.

و هكذا تحقّقت نبوءة الإمام الصادق عليه السلام بشأن بنى الحسن فى ذلك الاجتماع كما سنرى، إلّا أن القائد المنكوب محمد بن عبد الله لم يقدر على تحمّل الصدمة، فأخذ يعدّ العدة فى الخفاء للتأر من العباسيين الذين استحوذوا على السلطة و نكثوا بيعته، و بقى هكذا إلى أن استخلف المنصور الدوانيقى بعد هلاك أخيه السفاح (١٣٢ - ١٣٦ هـ)، فكان همّه معرفة أمر محمد و أخيه إبراهيم ابني عبد الله بن الحسن اللذين اختفيا عنه، و لم يقف أحد من عيونه على أثر لهما فى أى مكان، و زاد من تخوّفه أن ابن عمّهما الحسن بن زيد بن الحسن قد حرّضه على محمد قائلاً: «و الله ما آمن و ثوبه عليك، فإنه لا ينام عنك» و لهذا

كان موسى بن عبد الله بن الحسن يقول بعد ذلك: «اللهم اطلب الحسن بن زيد بدمائنا»^{٤٩٩} الأمر الذي حمل المنصور على سجن أبيه عبد الله بن الحسن وأخوته وأعمامه وبنى عمومته في المدينة المنورة عند مروره بها حاجا سنة (١٤٤/هـ)، ثم ساقهم عند عودته من

ص: ٢١٧

المدينة إلى الربذة مصفدين بالأغلال، و منها إلى طوامير العراق في الهاشمية عاصمة أخيه السفّاح. و هنا اضطرّ القائد المنكوب إلى إرسال أخيه إبراهيم إلى البصرة، و عجلّ هو بظهوره في المدينة ليختار الموت على الحياة، و يلحق بموكب الشهداء من بنى الحسن السبط عليه السّلام.

و بهذا كانت نهايته صريعا على أحجار الزيت، كما كانت نهاية أخيه إبراهيم بباخمرا، و حينها أدركت فلول أنصارهما المنهزمة زيف تلك المهدوية، و علمت البقية الباقية من بنى الحسن و غيرهم، صدق ما قاله الإمام عليه السّلام من قبل في اجتماع الأبواء و غيره.

ترى، فمن كان وراء إشاعة مهدوية محمّد بن عبد الله الحسنى التي جرّت الولايات على الحسينيين؟ حتى حمّ لنكتبهم الإمام الصادق عليه السّلام زهاء عشرين يوما و خيف عليه^{٥٠٠}.

لا شكّ أنّ وراءها أصناف من الناس اشتركت كلها في تلك الاشاعة، و يأتي في طليعتهم عبد الله بن الحسن، إذ كان يشيع بين آونة و أخرى أنّ ابنه محمّد هو المهدي المبشّر بظهوره في آخر الزمان، و هو الرجل الوحيد الذي جاءت به الرواية، و كان يحلف بالله تعالى على ذلك!

قال ابن الزهري: «تجالسنا بالمدينة أنا و عبد الله بن حسن، فتذاكرنا المهدي، فقال عبد الله بن حسن: المهدي من ولد الحسن بن علي [عليهما السّلام]، فقلت: يابى ذلك علماء أهل بيتك. فقال عبد الله: المهدي و الله

ص: ٢١٨

من ولد الحسن بن علي [عليهما السّلام]، ثمّ من ولدى خاصة»^{٥٠١}.

هذا فضلا عن أقواله الكثيرة الأخرى في مهدوية ابنه محمّد^{٥٠٢}، و هكذا اغترّت العامة بكلامه، و خدع حتى الفقهاء بها لمنزلة قائّلها، و فضله، و شرفه، و نسبه الكريم؛ من أمثال الفقيه عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة الزهري، الذي

^{٤٩٩} (١) الكامل في الأئير / ابن الأئير ٥: ١٣٧ - ١٣٨ في حوادث سنة / ١٤٤ هـ.

^{٥٠٠} (١) أصول الكافي ١: ١٧ / ٣٦١، باب ما يفصل به بين دعوى المحقّ و المبطل في أمر الإمامة، من كتاب الحجّة.

^{٥٠١} (١) تهذيب الكمال ٢٥: ٤٦٨ / ٥٣٣٨ في ترجمة محمد بن عبد الله بن الحسن المشني.

^{٥٠٢} (٢) سنشير لها لاحقا في بيان دور الإمام الصادق عليه السّلام في إبطال تلك المهدوية، فلاحظ.

ندم على اعتقاده بمهدوية محمد هذا بعد مقتله، حيث استدعاه جعفر بن سليمان العباسي والى المدينة و قال له: «ما حملك على الخروج مع محمد على ما أنت عليه من العلم و الفقه؟ قال: ما خرجت معه و أنا أشك في أنه المهدي؛ لما روى لنا في أمره، فما زلت أرى أنه هو، حتى رأيته مقتولا، و لا اغتررت بأحد بعده»^{٥٠٣}.

ولهذا قال الذهبي في ترجمة هذا الرجل: «له فضل، و شرف، و مروءة، و له هفوة. نهض مع محمد بن عبد الله بن حسن و ظنه المهدي، ثم أنه ندم فيما بعد، و قال لا غرنى أحد بعده»^{٥٠٤}.

و كذلك الحال مع الفقيه المدني محمد بن عجلان الذي «شبه عليه و ظن أنه المهدي الذي جاءت به الرواية»^{٥٠٥}.

ص: ٢١٩

كما خرج مع محمد: عبد الله بن يزيد بن هرمز الفقيه المدني المشهور^{٥٠٦}، و عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن الحكم الأنصاري، قال الذهبي: «و كان سفيان الثوري ينقم عليه خروجه مع محمد بن عبد الله بن الحسن. و كان من فقهاء المدينة»^{٥٠٧}، كما ان مالك بن أنس حين استفتى في الخروج مع محمد بن عبد الله، و قيل له: إن في أعناقنا بيعة لأبي جعفر؟

فقال: «إنما بايعتم مكرهين، و ليس على مكره يمين، فأسرع الناس إلى محمد و لزم مالك بيته»^{٥٠٨}، كما كان أبو حنيفة يجاهر في أمر إبراهيم، و يأمر بالخروج معه^{٥٠٩}، و كان شعبة بن الحجاج كذلك^{٥١٠} و هؤلاء الثلاثة: مالك، و أبو حنيفة، و شعبة لم يعتقدوا بمهدوية محمد، و إلّا لما اكتفوا بحدود الإفتاء كما هو ظاهر.

و مهما يكن، فإن اعتقاد بعض الفقهاء بمهدويته، و خروج بعضهم معه، و افتاء آخرين لصالح دعوته، كل ذلك أدى إلى شيوع القول بمهدويته بين عامة الناس من أهل المدينة، و يكفي أن انخدع أهل بيته الحسنيون، قال أبو الفرج: «و كان أهل بيته يسمونه المهدي، و يتصورون أنه الذي جاءت

ص: ٢٢٠

^{٥٠٣} (٣) مقاتل الطالبين / أبو الفرج الأصبهاني: ٢٥٦.

^{٥٠٤} (٤) سير أعلام النبلاء / الذهبي ٧: ٣٢٩ / ١١٤.

^{٥٠٥} (٥) مقاتل الطالبين: ٢٥٤، و انظر: تاريخ الطبري ٧: ٥٩٩ في حوادث سنة ١٤٥ هـ، و تهذيب الكمال ٢٥: ٤٦٩ / ٥٣٣٨.

^{٥٠٦} (١) تاريخ الطبري ٧: ٥٩٩.

^{٥٠٧} (٢) سير أعلام النبلاء ٧: ٢١ / ٤، في ترجمة عبد الحميد بن جعفر.

^{٥٠٨} (٣) تاريخ الطبري ٧: ٥٦٠، و الكامل في التاريخ ٥: ١٤٩، و البداية و النهاية / ابن كثير ١٠: ٨٤؛ كلهم في حوادث سنة / ١٤٥ هـ، و عمدة الطالب: ١٠٥، في اخبار محمد ذي النفس الزكية.

^{٥٠٩} (٤) مرآة الجنان / الياقعي ١: ٢٣٥ في حوادث سنة / ١٤٥ هـ.

^{٥١٠} (٥) المصابيح / أبو العباس أحمد بن إبراهيم الحسني: ٢٤ / ٤٥٣.

فيه الرواية»^{٥١١}.

و أما عن أنصاره و مؤيديه الذين لا حريجة لهم في الدين، فقد ارتكبوا جريمة وضع الحديث في مهدويته! و لما كان محمد بن عبد الله الحسنى تمتاماً^{٥١٢}، فقد وضعوا الحديث في اسمه و اسم أبيه و صفته، و رفعوه إلى أبى هريرة بأنه قال: «إن المهدي اسمه محمد بن عبد الله في لسانه رتة»^{٥١٣}.

كما كان للشعراء الدور البارز في إشاعة مهدوية محمد بن عبد الله الحسنى، نظرا لدور الشعر الإعلامى البارز في ذلك الحين، حيث اغتنموا الفرصة، و أدلوا دلوهم، و أشادوا بمهدويته و في هذا الصدد قال مسلمة بن علي:

إن الذى يروى الرواة لبين
إذا ما ابن عبد الله فيهم تجردا
له خاتم لم يعطه الله غيره
و فيه علامات من البر و الهدى^{٥١٤}

يشير بهذا البيت إلى أن في كتف محمد بن عبد الله خلا، و قد جاءت الرواية في صفة المهدي بأن له خلا، فوافقت الصفة الموصوف!!

ص: ٢٢١

و قال شاعر آخر:

إن كان فى الناس لنا مهدى
يقيم فىنا سيرة النبى
فإنه محمد التقى^{٥١٥}

و العجيب من أمر أولئك الشعراء المضلين أنهم حتى بعد مصرع محمد ابن عبد الله بن الحسن، و فصل رأسه عن جسده و حمله إلى العراق، لم يتركوا القول بمهدويته، كما نجده في قصيدة لعبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير يرثى فيها محمداً، يقول فيها:

^{٥١١} (١) مقاتل الطالبين: ٢٠٧، و المصابيح: ٩ / ٤٢٧.

^{٥١٢} (٢) تاريخ الطبرى ٧: ٥٦٣، و عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب / ابن عنبه:

١٠٣، فى أخبار عبد الله المحض و عقبه.

^{٥١٣} (٣) مقاتل الطالبين: ٢١٤.

^{٥١٤} (٤) المصابيح: ١٣ / ٤٣٧، و قد نسب أبو الفرج فى المقاتل: ٢١٥ هذين البيتين إلى مسلمة بن أسلم الجهنى.

^{٥١٥} (١) مقاتل الطالبين: ٢١٥.

و نتيجة لهذه الدعاية الواسعة في شخص محمد بن عبد الله بن الحسن، مع قربته القريب من أهل البيت عليهم السلام، و تأكيد هذه الدعاية من قبل أبيه الذي كان - كما يقول ابن الأثير -: «لا يحدث أحدا قط إلّا قلبه عن رأيه»^{٥١٧}، نتيجة لهذا و غيره كما مرّ فقد «لهجت العوام بمحمد تسميه المهدي، حتى كان يقال: محمد بن عبد الله المهدي عليه ثياب يمنية و قبطية»^{٥١٨}، و كان الناس إذا رأوه في أزقة المدينة صاحوا: «يا أهل المدينة! المهدي، المهدي»^{٥١٩}.

ص: ٢٢٢

و لم يقف الأمر عند هذا الحدّ، إذ كان محمد بن عبد الله نفسه يدّعي بأنّه المهدي «طمعاً أن يكون هو المذكور في الأحاديث»^{٥٢٠}، و يغري الناس بالدعوة إلى نفسه على أنه المهدي الموعود، قال ابن دأب: «لم يزل محمد بن عبد الله بن الحسن مذ كان صبيّاً يتوارى و يرسل الناس بالدعوة إلى نفسه و يسمّى المهدي»^{٥٢١}.

و كان يخاطب الناس و هو على المنبر بقوله: «إنكم لا تشكّون إنّي أنا المهدي، و أنا هو»^{٥٢٢}.

و أما مكاتباته التي جرت بينه و بين عبد الله بن محمد المنصور العباسي، فقد كان يبدؤها بالبسملة و يكتب بعدها: «من عبد الله المهدي محمد بن عبد الله، إلى عبد الله بن محمد..»^{٥٢٣}.

و في هذا إشارة ذكية إلى غدر المنصور بمحمد و تذكيره بما كان يقوله له في أواخر العصر الأموي، حيث كان يقول أبو الدوانيق في محمد هذا: «هذا محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن مهدينا أهل البيت»^{٥٢٤}.

^{٥١٦} (٢) تاريخ الطبري ٧: ٦٠١-٦٠٢، و مقاتل الطالبين: ٢٦٧.

^{٥١٧} (٣) الكامل في التاريخ ٥: ١٤٤ في حوادث سنة / ١٤٤ هـ.

^{٥١٨} (٤) مقاتل الطالبين: ٢٢٩.

^{٥١٩} (٥) الكامل في التاريخ ٥: ١٤١ في حوادث سنة / ١٤٤ هـ.

^{٥٢٠} (١) البداية و النهاية ١٠: ٨٤ في حوادث سنة / ١٤٥ هـ.

^{٥٢١} (٢) مقاتل الطالبين: ٢١٢ و ٢١٣.

^{٥٢٢} (٣) مقاتل الطالبين: ٢١٢.

^{٥٢٣} (٤) تاريخ الطبري ٧: ٥٦٧.

^{٥٢٤} (٥) مقاتل الطالبين: ٢١٢.

و قال عبد الله في سعيد الجهني: «بايع أبو جعفر - يعنى المنصور - محمدا مرتين، أنا حاضر إحداهما بمكة في المسجد الحرام، فلما خرج أمسك له

ص: ٢٢٣

بالركاب، ثم قال: أما أنه إن أفضى إليكم الأمر نسيت لى هذا الموقف»^{٥٢٥}.

و يدل على ذلك، أن عثمان بن محمد بن خالد الذى خرج مع محمد قد أتى به إلى المنصور فقال له: «هيه يا عثمان، أنت الخارج على مع محمد؟ قال:

بايعته أنا و أنت بمكة، فوفيت ببيعتى، و غدرت ببيعتك .. فأمر به فقتل»^{٥٢٦}.

و كل هذا يشير إلى أن للعباسيين سهما فى إشاعة مهدوية الحسنى التى وصلت إلى أسماع الأمويين أنفسهم قبل سقوط دولتهم، فقد روى أبو الفرج أن مروان الحمار آخر طغاة الأمويين قال لعبد الله - و قد دخل عليه ذات يوم - : «ما فعل مهديكم؟ قال: لا تقل ذاك .. فليس كما يبلغك. فقال:

بلى، و لكن يصلحه الله و يرشده»^{٥٢٧}.

هذا، و أما ما ذكره النوبختى بشأن محمد هذا بقوله: «فلما توفى أبو جعفر - يعنى الإمام الباقر عليه السلام - افتقرت أصحابه فرقتين، فرقة منها قالت بإمامة محمد بن عبد الله بن الحسن الخارج بالمدينة المقتول بها، و زعموا أنه القائم، و أنه الإمام المهدي، و أنه لم يقتل، و قالوا: إنه حى لم يمت مقيم بجبل يقال له العلمية، و هو الجبل الذى فى طريق مكة، و هو عنده مقيم فيه حتى يخرج؛ لأن رسول الله صلى الله عليه و آله قال - بزعمهم - القائم المهدي اسمه اسمى، و اسم أبيه اسم أبى. و كان المغيرة بن سعد قال بهذا القول لما توفى أبو جعفر محمد

ص: ٢٢٤

ابن على عليهم السلام، و أظهر المقالة بذلك، فبرئت منه الشيعة أصحاب أبى عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام، و رفضوه»^{٥٢٨}.

فهو غريب جدا، فضلا عما فيه من خلط و تهافت؛ لأن القول بمهدوية محمد بن عبد الله بن الحسن لم يعرف إلّا فى زمان مروان الحمار آخر ملوك الأمويين (ت / ١٣٢ هـ) و لم يشتهر إلّا فى أواخر إمامة الإمام الصادق عليه السلام، أى قبل خروج محمد، و قتله سنة (١٤٥ / هـ) بمدة قصيرة، نتيجة لما قدّمناه من موقف الفقهاء و الشعراء و دور الإعلام الحسنى فى إشاعة مهدويته بين

^{٥٢٥} (١) مقاتل الطالبين: ١٨٧ - ١٨٨ و: ٢٥٩.

^{٥٢٦} (٢) الكامل فى التاريخ ٥: ١٦٢، فى ذكر بعض المشهورين ممن كان مع محمد بن عبد الله الحسنى.

^{٥٢٧} (٣) مقاتل الطالبين: ٢٢٩.

^{٥٢٨} (١) فرق الشيعة / النوبختى: ٧٤ - ٧٥.

الناس، فى حين يدلّ كلام النوبختى على حصول هذه المقالة بعد وفاة الإمام الباقر عليه السّلام سنة (١١٤/هـ) مباشرة، و محمد بن عبد الله لم يعرف بما ذكر فى ذلك الوقت، ثم لا معنى لأن ينفى المغيرة قتله و ادعاء غيبته و إمامته فى حياته، إذ لم يدع أحد اغتياله مثلاً فى فترة اختفائه عن المنصور حتى ينفى المغيرة ذلك.

فكيف باظهارها بعد وفاة الإمام الباقر عليه السّلام إذن؟

و لأجل تصحيح تلك المقالة و قبولها، لابدّ من افتراض صدورها بعد قتل محمد بن عبد الله الحسنى، أو على الأقل فى زمان اختفائه و خوفه من المنصور.

و لكن إذا ما علمنا أنّ صاحبها- و هو المغيرة- قد قتل بسبب شعوزته و سحره و كفره سنة (١١٩/هـ)، فى زمان هشام بن عبد الملك^{٥٢٩}، و محمد بن

ص: ٢٢٥

عبد الله فى ريعان شبابه! اتّضح ما فى الكلام المذكور من خلط و تهافت.

و الصحيح هو براءة سائر القواعد الشعبية الشيعية القائلة بإمامة الصادق عليه السّلام من القول بمهدوية محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى، أيّا كان مروجها و قائلها؛ أخذاً بما لديهم من أحاديث رسول الله صلى الله عليه و آله، و أهل بيته الأطهار عليهم السّلام، و تمسّكاً بما كان يقوله الإمام الصادق عليه السّلام للحسينيين و أنصارهم، و ما كان يحذّرهم به، و ينهاهم لا عن دعوى المهدوية فحسب، بل عن الخروج على المنصور و هو فى أوج قوة دولته، استبقاء على مهجهم، لأنهم عضده و بنو عمومته. و من هنا كان عليه السّلام غزير الدمعة عليهم فى حياتهم و بعد نكبتهم؛ إذ كان يعلم بما لم يحيطوا به خبراً. و هو ما اعترف به سائر المؤرخين و صرح به ابن خلدون و غيره فيما تقدّم، من أن الإمام الصادق عليه السّلام كان يحذّر بنى عمومته بأشياء تقع لهم فى المستقبل، و كانت تقع على طبق ما أخبر.

ثانياً- موقف الإمام الصادق عليه السّلام من مهدوية الحسنى:

إنّ ما يعيننا هنا هو موقف الإمام الصادق عليه السّلام من تلقيب محمد بن عبد الله بن الحسن بالمهدى، و إشاعة ذلك بنحو أدّى إلى الالتفاف على إيمان الأمة بما بشرّ به النبى صلى الله عليه و آله بالمهدى الموعود المنتظر عليه السّلام، و أما عن ثورتهم فلا يعيننا أمرها فى بحثنا هذا بقدر ما يعيننا التركيز على موقف الإمام الصادق عليه السّلام المؤيّد و المساند لكل الانتفاضات العلوية ضد الحكم الجائر المتمثّل بالسلطتين الأموية و العباسية، و لكنه فى ذا الوقت كان عليه السّلام حريصاً على أن تنتهى الأجواء المناسبة لنجاح هذه الانتفاضة أو تلك؛

^{٥٢٩} (٢) تاريخ الطبرى ٧: ١٢٩، فى حوادث سنة / ١١٩ هـ.

لكي تؤتي ثمارها في القضاء على الظلم و الفساد و إفشاء العدل و المساواة بين الناس.

و هذا القدر لا بدّ منه لكي لا يفهم بأن الإمام الصادق عليه السّلام كان يقف - و حاشاه من ذلك - أمام الرغبة الصادقة في نيل شرف الشهادة بكل غال و نفيس من أجل إعلاء كلمة الله في أرضه، و مقارعة الباطل بكل قوة و صلابة.

و قد كان أبو جعفر المنصور يعلم هذا جيدا، و لهذا كان يصف الإمام الصادق عليه السّلام بأنه الشجى المعترض في حلقة^{٥٣٠}.

نعم كان يعلم بأن الإمام الصادق عليه السّلام سوف ينهى محمّد النفس الزكية من ادعاء المهدوية، و لكنه لا يمنعه من إقامة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر إذا ما استطاع إليه سبيلا.

و لا شكّ أنه يتذكّر كلام الإمام الصادق عليه السّلام يوم كتب المنصور نفسه إليه عليه السّلام قائلا: «لم لا تغشانا كما يغشانا سائر الناس؟ فأجابه عليه السّلام: ليس لنا - من أمر الدنيا - ما نخافك من أجله، و لا عندك من أمر الآخرة ما نرجو لك، و لا أنت في نعمة فنهنيك بها، و لا نراها نقمة فنعزيك بها، فما نضع عندك؟ قال فكتب له: تصحبنا لتصحنا، فأجابه عليه السّلام: من أراد الدنيا لا ينصحك، و من أراد الآخرة لا يصحبك»^{٥٣١}.

و لهذا نجد أول عمل قام به المنصور بعد قتله محمّد بن عبد الله أنه استدعى الإمام الصادق عليه السّلام و غلظ عليه الكلام ثم قال: «يا جعفر! قد علمت بفعل محمّد بن عبد الله الذي يسمونه النفس الزكية، و ما نزل به، و إنما انتظر الآن أن يتحرّك منكم أحد فألحق الصغير بالكبير»^{٥٣٢}.

إن علم الإمام الصادق عليه السّلام بعدم تحقّق الحدّ الأدنى المطلوب من ثورة محمّد النفس الزكية قبل إعلانها، و فشل حركته المحتم، و ما سيلحق ذلك من نتائج سياسية خطيرة على البيت العلوي عموما، و على الإمام الصادق عليه السّلام خاصة، كان محفّزا للإمام عليه السّلام أن يبين ما بينه لقادة الثورة و للمجتمع المدني يومذاك، لعلهم يترثوا إلى حين تهيئة المستلزمات المطلوبة لنجاح الثورة.

^{٥٣٠} (١) دلائل الإمامة / الطبري: ٢٩٧ - ٢٩٨ / ٢٥٣ (٨٩)، و الخرائج و الجرائح / القطب الراوندي ٢: ٤٤٠ - ٤٤١ / ٤٧.

^{٥٣١} (٢) التذكرة الحمدونية / ابن حمدون ١: ١١٣ - ١١٤ / ٢٣٠، و عنه الإرشاد في كشف الغمّة ٢: ٣٩٥، في مواضع الإمام الصادق عليه السّلام.

^{٥٣٢} (١) الفصول المهمة / ابن الصباغ المالكي: ٢٢٤.

و نكتفى بهذا القدر لنعود إلى معالجة القضية الأكبر التي لا زالت عند بعض المتخربين مادة للهجوم على الحقيقة المهدوية بحجة وجود أدعيائها الكثيرين في التاريخ الشيعة كما هو الحال في مهدوية محمد بن عبد الله بن الحسن؛ لنرى كيف عالج إمامنا الصادق عليه السلام تلك الدعوى و بين زيفها، فنقول:

عبر موقف الإمام الصادق عليه السلام في ردوده على دعوى مهدوية محمد بن عبد الله بن الحسن تعبيرا رائعا عن إمامته هو عليه السلام أولا، و عن زيف تلك الدعوى ثانيا، و على أكثر من صعيد، كالآتي:

ص: ٢٢٨

إخباره عليه السلام القيادة الحسينية بنتائج تلك الدعوى و قتل صاحبها:

١- فقد روى أبو الفرج الأصبهاني، و الشيخ المفيد، و ابن شهر آشوب، أنه اجتمع العباسيون و الحسينيون بالأبواء و ذلك في أواخر زمان الحكم الأموي، فقام صالح بن علي يحضهم على أن يعقدوا البيعة لرجل منهم، فعندها حمد الله عبد الله بن الحسن و أثنى عليه ثم قال: قد علمتم أن ابني هذا هو المهدي، فهلموا فلنبايعه، فبايعوه جميعا، و فيهم أبو جعفر المنصور، و لما علم الإمام الصادق عليه السلام باجتماعهم هذا أرسل محمد بن عبد الله الأرقط بن علي بن الحسين عليه السلام، فسألهم: لأي شيء اجتمعتم؟

فقال عبد الله: اجتمعنا لنبايع المهدي محمد بن عبد الله، ثم جاء الإمام الصادق عليه السلام، «فأوسع له عبد الله بن الحسن إلى جنبه، فتكلم بمثل كلامه، فقال الإمام: لا تفعلوا، فإن هذا الأمر لم يأت بعد، إن كنت ترى أن ابنك هذا هو المهدي! فليس به، و لا هذا أوانه فغضب عبد الله و قال: لقد علمت خلاف ما تقول، و الله ما أطلعك الله على غيبه، و لكن يحملك على هذا الحسد لابني. فقال عليه السلام: و الله ما ذاك يحملني، و لكن هذا و أخوته و أبناءهم دونكم، و ضرب بيده على ظهر أبي العباس، ثم ضرب بيده على كتف عبد الله بن الحسن، و قال: إنها و الله ما هي إليك و لا إلى ابنيك، و لكنها لهم، و إن ابنيك لمقتولان ثم نهض و توكأ على يد عبد العزيز بن عمران الزهري، فقال: رأييت صاحب الرداء الأصفر؟- يعني أبا جعفر المنصور- قال: نعم، قال: فإننا- و الله- نجده يقتله. قال له عبد العزيز: أيقتل محمدا؟

قال: نعم. قال: فقلت في نفسي: حسده و رب الكعبة.

قال: ثم و الله ما خرجت من الدنيا حتى رأيته قتلها.

ص: ٢٢٩

قال: لما قال جعفر ذلك، نفذ القوم فافترقوا و لم يجتمعوا بعدها، و تبعه عبد الصمد و أبو جعفر المنصور، فقالا: يا أبا عبد الله! أتقول هذا؟

قال: نعم، أقوله و الله، و أعلمه»^{٥٣٣}.

٢- و فى المناقب لابن شهر آشوب: «انه لما بويج محمد بن عبد الله بن الحسن على أنه مهدي هذه الأمة جاء أبوه عبد الله إلى الصادق عليه السلام، و قد كان ينهاه، و زعم أنه يحسده، ف ضرب الصادق يده على كتف عبد الله، و قال: إياها و الله! ما هي إليك و لا إلى ابنك، و إنما هي لهذا- يعنى: السفاح- ثم لهذا- يعنى المنصور- يقتله على أحجار الزيت، ثم يقتل أخاه بالطفوف و قوائم فرسه فى الماء، فتبعه المنصور، فقال: ما قلت يا أبا عبد الله؟ فقال: ما سمعته و إنه لكائن. قال: فحدثني من سمع المنصور أنه قال: انصرفت من وقتي فهيات أمرى، فكان كما قال»^{٥٣٤}.

٣- و فى رواية المسعودي، قال: «.. فجمع عبد الله- أى ابن الحسن- أهل بيته، و هم بالأمر، و دعا أبا عبد الله عليه السلام للمشاورة، فحضر، فجلس بين المنصور و بين السفاح و عبد الله ابني محمد بن على بن عبد الله بن العباس، و وقعت المشاورة، ف ضرب أبو عبد الله عليه السلام يده على منكب أبى العباس عبد الله السفاح، فقال: لا و الله! إما أن يملكها هذا أولاً، ثم ضرب

ص: ٢٣٠

بيده الأخرى على منكب أبى جعفر عبد الله المنصور، و قال: و تتلاعب بها الصبيان من ولد هذا ..»^{٥٣٥}.

٤- و أخرج ثقة الإسلام عن موسى بن عبد الله بن الحسن، عن أبيه فى حديث طويل جاء فيه قوله عليه السلام لعبد الله: «يا ابن عم إنى أعيدك بالله من التعرض لهذا الأمر الذى أمسيت فيه، و إنى لخائف عليك أن يكسبك شرًا».

و قوله عليه السلام فى ابنه أنه «المقتول بسدة اشجع، عند بطن مسيلها .. لا و الله لا يملك أكثر من حيطان المدينة .. فاتق الله و ارحم نفسك و بنى أيبك .. و الله لكأننى به صريعا مسلوبا بزته بين رجله لينة».

و خرج عبد الله مغضبا فلحقه أبو عبد الله عليه السلام، و أخبره بأنه و بنى أبيه سيقتلون ثم قال: «فإن أطعنى و رأيت أن تدفع بالتي هي أحسن فافعل، فو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب و الشهادة الرحمن الرحيم الكبير المتعال على خلقه لوددت أنى فديتك بولدى و بأحبهم إليّ و بأحب أهل بيتي إليّ، و ما يعدلك عندى شيء، فلا ترى أنى غششتك».

قال موسى بن عبد الله بن الحسن: فما أقمنا بعد ذلك إلّا قليلا عشرين ليلة أو نحوها حتى قدمت رسل أبى جعفر المنصور فأخذوا أبى و عمومتى، سليمان بن حسن، و حسن بن حسن، و إبراهيم بن حسن، و داود بن حسن، و على بن حسن، و سليمان بن داود بن حسن، و على بن إبراهيم بن

^{٥٣٣} (١) مقاتل الطالبين: ١٨٥-١٨٧، و ٢٢٥-٢٢٧، و الارشاد/ الشيخ المفيد ٢/ ١٩٠-١٩٣، و المناقب/ ابن شهر آشوب ٤: ٢٤٩، فى معرفته عليه السلام باللغات و إخباراته بالغيب.

^{٥٣٤} (٢) المناقب/ ابن شهر آشوب ٤: ٢٤٩.

^{٥٣٥} (١) إنبات الوصية/ المسعودي: ١٥٨.

حسن، و حسن بن جعفر بن حسن، و طباطبا إبراهيم بن إسماعيل بن حسن، و عبد الله بن داود، فصفدوا في الحديد».

و اطلع عليهم أبو عبد الله عليه السلام و هم في تلك الحال، و كان عامة رداءه مطروح بالأرض، و حمّ عشرين ليلة لم يزل باكيا فيها الليل و النهار حتى خيف عليه.

ثم ظهر بعد هذا محمد بن عبد الله و دعا الناس لبيعته، و احضروا الإمام الصادق عليه السلام لمبايعتهم بالقوة، و امتنع قائلاً لمحمد: «أما و الله لكأنني بك خارجاً من سدة أشجع إلى بطن الوادي، و قد حمل عليك فارس معلم، في يده طرادة نصفها أبيض و نصفها أسود، على فرس كميت أقرح، فطعنك فلم يصنع فيك شيئاً، و ضربت خيشوم فرسه فطرحتة، و حمل عليك آخر خارج من زقاق آل أبي عمار الدثليين، عليه غدירתان مضمفورتان، و قد خرجتا من تحت بيضة، كثير شعر الشاربين، فهو و الله صاحبك فلا رحم الله رمته»^{٥٣٦}.

ثم شهد بعد ذلك موسى بن عبد الله بن الحسن - راوى الخبر - على حصول كل ما أخبر به الإمام الصادق عليه السلام، حتى لكأنه عليه السلام كان يخبر عن

تفهيم الناس بمصير المهدي الحسنى و مهدويته:

بعد فراغ الإمام الصادق عليه السلام من مواجهة بنى الحسن بالحقيقة المرّة، و المصير المحتوم الذى ينتظرهم على يد الجلّاد العباسى أبى الدوانيق، اتجه كلامه - هذه المرّة - إلى الناس، لا سيما أصحابه، ليكونوا دعاة خير لمن لهج بمهدوية ابن عبد الله و لم يصله موقف الإمام المعلن أمام القيادة الحسينية وجها لوجه، و فى أكثر من مكان.

١- عن عنبسة العابد، قال: «كان جعفر بن محمد عليهما السلام، إذا رأى محمد بن عبد الله بن حسن، تغرغرت عيناه، ثم يقول: بنفسى هو، إن الناس ليقولون إنه المهدي!! و إنه لمقتول، و ليس هذا فى كتاب أبيه على عليه السلام من خلفاء هذه الأمة»^{٥٣٨}.

^{٥٣٦} (١) و اسم هذا الرجل لعنه الله حميد بن قحطبة، فهو الذى احتزّ رأس رأس محمد عند أحجار الزيت المكان الذى ذكره الإمام الصادق عليه السلام، و ذلك بعد عصر يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة / ١٤٥ هـ، كما فى تاريخ الطبرى ٧:

٥٨٩ و ٥٩٤، و الكامل فى التاريخ ٥: ١٦٣، و البداية و النهاية ١٠: ٨٩، كلّهم فى حوادث سنة / ١٤٥ هـ، و عمدة الطالب: ١٠٥.

^{٥٣٧} (١) أصول الكافى ١: ٣٥٨ - ٣٦٦ / ١٧، باب ما يفصل به بين دعوى المحقّ و المبطل فى أمر الإمامة، من كتاب الحجّة، و بعضه فى الكامل فى التاريخ ٥: ١٤٤ فى حوادث سنة / ١٤٤ هـ.

^{٥٣٨} (٢) الإرشاد ٢: ١٩٣.

٢- و عن المعلّى بن خنيس، قال: «كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، إذ أقبل محمد بن عبد الله، فسلم، ثم ذهب، فرق له أبو عبد الله عليه السلام، ودمعت عيناه.

فقلت له: لقد رأيتك صنعت به ما لم تكن تصنع؟

فقال عليه السلام: رقت له؛ لأنه ينسب إلى أمر ليس له، لم أجده في كتاب

ص: ٢٣٣

على عليه السلام من خلفاء هذه الأمة، و لا من ملوكها»^{٥٣٩}.

٣- و عن عيسى بن عبد الله، قال: حدثني أمّ الحسين بنت عبد الله بن محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام، قالت: «قلت لعلي جعفر بن محمد عليهما السلام: إني - فديتك - ما أمر محمد هذا؟ قال: فتنة، يقتل فيها محمد عند بيت رومة، و يقتل أخوه لأبيه و أمّه بالعراق و حوافر فرسه في الماء»^{٥٤٠}.

٤- و في الصحيح عن عبد الملك بن أعين، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام:

«إنّ الزيدية و المعتزلة قد أطافوا بمحمد بن عبد الله، فهل له من سلطان؟

فقال عليه السلام: و الله إنّ عندي لكتابين فيهما تسمية كل نبي، و كل ملك يملك الأرض، لا و الله ما محمد بن عبد الله في واحد منهما»^{٥٤١}.

٥- و في رواية للطبري، قال: «خرج مع محمد، حمزة بن عبد الله بن محمد بن علي، و كان - أي: حمزة - من أشد الناس مع محمد، قال: فكان جعفر [عليه السلام] يقول له: هو و الله مقتول»^{٥٤٢}.

٦- و في الصحيح عن فضيل بن سكرة، قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام، فقال: يا فضيل! أتدرى في أيّ شيء كنت أنظر قبيل؟ قال،

ص: ٢٣٤

^{٥٣٩} (١) روضة الكافي ٨: ٣٢٣ / ٥٩٤.

^{٥٤٠} (٢) تاريخ الطبري ٧: ٦٠٠ - ٦٠١، و مقاتل الطالبين: ٢٢٠، و الكامل في التاريخ ٥: ١٦٣ في حوادث سنة / ١٤٥ هـ.

^{٥٤١} (٣) أصول الكافي ١: ٧ / ٢٤٢، باب فيه ذكر الصحيفة و الجفر و الجامعة و مصحف فاطمة عليها السلام، من كتاب الحجة.

^{٥٤٢} (٤) تاريخ الطبري ٧: ٦٠١، في حوادث سنة / ١٤٥ هـ.

قلت: لا. قال: كنت أنظر في كتاب فاطمة عليها السلام، ليس من ملك الأرض إلّا و هو مكتوب فيه باسمه و اسم أبيه، و ما وجدت لولد الحسن فيه شيئا»^{٥٤٣}.

جدير بالذكر أنّ آباء الإمام الصادق عليهم السلام، قد أخبروا بهذا أيضا. ففي الصحيح عن عبد الرحيم بن روح القصير، عن أبي جعفر الباقر عليهما السلام، في قول الله عزّ و جلّ: **التَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ**^{٥٤٤} فيمن نزلت؟

فقال عليه السلام: «نزلت في الإمرة، إنّ هذه الآية جرت في ولد الحسين عليه السلام من بعده، فنحن أولى بالأمر، و برسول الله صلى الله عليه و آله من المؤمنين و المهاجرين و الانصار. قلت: فولد جعفر [ابن أبي طالب] لهم فيها نصيب؟ قال: لا. قلت فلولد العباس فيها نصيب؟ فقال: لا. فعددت عليه بطون بني عبد المطلب، كل ذلك يقول: لا. قال: و نسيت ولد الحسن عليه السلام، فدخلت بعد ذلك عليه، فقلت له: هل لولد الحسن عليه السلام فيها نصيب؟ فقال:

لا و الله يا عبد الرحيم، ما لمحمدى فيها نصيب غيرنا»^{٥٤٥}.

كما أخبر أمير المؤمنين على عليه السلام بمصير محمد بن عبد الله الحسنى، فقد أورد الثقفى، و ابن أبى الحديد المعتزلى، جملة من إخباراته عليه السلام الغيبية،

ص: ٢٣٥

و منها قوله في محمد هذا: «إنه يقتل عند أحجار الزيت» و كقوله عليه السلام فيه أيضا: «يأتيه سهم غرب يكون فيه منيته، فيا يؤسا للرامى، شلت يده، و وهن عضده»^{٥٤٦}.

تأكيد عليه السلام على سبق دعوى المهديّة لزمان المهدي عليه السلام:

أراد الإمام الصادق عليه السلام - بعد أن أخذ دوره المطلوب في نصح و تحذير القيادة الحسينية و قاعدتها بوجوب الكف عن أشاعة مهديّة ابن عبد الله - أن يكون تطلّع الأمة إلى الله تعالى من خلال عقيدتها بالإمام المهدي عليه السلام المبشر بظهوره في آخر الزمان، تطلعا صحيحا و موجها، الأمر الذى يقتضى تزويدها بما يمكن معه أن تقيم كل دعوى من هذا القبيل؛ و لهذا جاء التأكيد على سبق دعوى المهديّة لزمان ظهور المهدي عليه السلام.

^{٥٤٣} (١) أصول الكافي ١: ٢٤٢ / ٨، باب فيه ذكر الصحيفة و الجفر ...، من كتاب الحجّة.

^{٥٤٤} (٢) سورة الأحزاب: ٣٣ / ٦.

^{٥٤٥} (٣) أصول الكافي ١: ٢٨٨ / ٢، باب ما نص الله عزّ و جلّ و رسوله صلى الله عليه و آله على الائمة عليهم السلام واحدا فواحدا، من كتاب الحجّة.

^{٥٤٦} (١) الغارات / الثقفى: ٦٨٠، و شرح نهج البلاغة ٧: ٤٨ فى شرح الخطبة رقم / ٩٢.

و يدلّ عليه ما مرّ بنا من قوله - فى اجتماع الأبواء - لعبد الله بن الحسن: «.. إن كنت ترى أن أبناك هذا هو المهدي! فليس به، و لا هذا أوانه».

فقله عليه السلام: «فليس به» صريح بأن المهدي الموعود عليه السلام ليس هو محمد ابن عبد الله الحسنى، إذ لم يولد الإمام المهدي عليه السلام بعد، و لا أقلّ من حديث كون الأئمة اثنا عشر آخرهم المهدي، و هو الحديث الذى عرفته الأمة كلّها، فأين الأحد عشر الذين سبقوا ابن عبد الله حتى يكون هو خاتمتهم؟

و قوله عليه السلام: «و لا هذا أوانه» ناظر إلى الأمور التى تسبق الظهور و جاء

ص: ٢٣٦

بها الحديث الشريف على لسان رسول الله صلى الله عليه و آله و أهل بيته الأطهار عليهم السلام، و هو ما سنوضحه فى ردّ مهدوية (المهدي العباسى).

بيان الاختلاف بين هوية الإمام المهدي عليه السلام و هوية (المهدي الحسنى):

بيّن الإمام الصادق عليه السلام الاختلاف الحاصل بين هوية الإمام المهدي عليه السلام و هوية (المهدي الحسنى)، فى اسم الأب، و الكنية، و النسب، مع الاختلاف فى اسم الأم، و أصلها.

و المعروف فى اسم الحسنى مدعى المهدوية، أنه محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى، بن الإمام الحسن السبط، بن أمير المؤمنين الإمام على بن أبى طالب عليهما السلام.

و يكنى: أبا عبد الله.

و أمّه: هند بنت أبى عبيدة بن عبد الله بن ربيعة بن الأسود بن المطلب ابن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب^{٥٤٧}.

و بناء على ذلك:

فإن اسم أبيه: (عبد الله).

و كنيته: (أبو عبد الله).

و أصله: (حسنى).

^{٥٤٧} (١) عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب: ١٠٣، و مقاتل الطالبين: ٢٠٦، و ذكر فى نسب الأم، مكان (ربيعة): زمعة.

و اسم أمه: هند، و هى إمراة عربية، قرشية، حرة.

و قد بين الإمام الصادق عليه السلام إن هذه الأمور الأربعة فى هوية (المهدى الحسنى)، تخالف تماما هوية الإمام المهدى عليه السلام، كالآتى:

١- الاختلاف فى اسم الأب، و الكنية:

و قد كانت حجة الحسينيين فى مهدوية محمد النفس الزكية حديث (اسمه اسمى و اسم أبيه اسم أبى) و قد وافق اسمه اسم النبى صلى الله عليه و آله و اسم أبيه لاسم أبى النبى صلى الله عليه و آله.

و هذا الحديث على فرض صحته ليس بدليل، و إلّا لاقتضى أن يكون فى الأمة آلاف المهديين، - بقطع النظر عن غيره من أحاديث المهدى - إذ ما أكثر من تسمى ب (محمد بن عبد الله) فى هذه الأمة. فكيف الحال لو كان الحديث موضوعا لا أصل له؟

و قد مرّ عليك دور أنصار المهدى الحسنى فى وضع هذا الحديث نصرة لمهديهم، و أما وروده بعد قتل الحسنى على السنة الرواة و كبار المحدثين من العامة، فمآله السلطة العباسية التى سخرت من يضع لها فى مهدوية محمد بن عبد الله المنصور العباسى كما سنبينه فى محله.

و قد ردّ الإمام الصادق عليه السلام على هذا الحديث المزعوم، بقوله الشريف فى المهدى «اسمه اسم نبى، و اسم أبيه اسم وصى»^{٥٤٨}.

و لم يعترف الإمام الصادق عليه السلام و لا أحد من أهل البيت عليهم السلام قط بهذه العبارة (اسم أبيه اسم أبى) و لم ترو عنهم، و لا من طرقهم البتة. الأمر الذى

يكشف عن كونها مزيدة - فيما بعد - على أصل الحديث، و قد اعترف أحد كبار علماء الحديث من العامة و هو أبو الحسن الآبرى (ت/ ٣٦٣ هـ) فى كتابه (مناقب الشافعى) بأن الأصل فى هذه الزيادة هو أبو الصلت زائدة ابن قدامة^{٥٤٩}، و زائدة هذا ضعيف فى الحديث و كان مولعا بزيادة ما يراه مناسبا على أصل الحديث، الأمر الذى يكشف عن خبثه و تلاعبه فى السنة المطهرة.

^{٥٤٨} (١) كتاب الغيبة / النعمانى: ١٨١ / ٢٩ باب ١٠.

^{٥٤٩} (١) راجع: البيان فى أخبار صاحب الزمان / الكنجى الشافعى: ٤٨٢.

كما اعترف الكنجي الشافعي (ت/ ٦٥٨ هـ) بسقوط ما زاده زائدة بن قدامة عن الاعتبار، حتى قال في زيادته تلك: (إن تلك الزيادة لا اعتبار لها)^{٥٥٠}.

كما أكد الإمام الصادق عليه السلام - مرة أخرى - زيف الحديث الذي احتج به الحسنيون، نافيا نسبته الى رسول الله صلى الله عليه وآله، ومصححا لما ورد في اسم المهدي وكنيته عن رسول الله صلى الله عليه وآله، ففي الصحيح «عن أبي بصير، عن الصادق جعفر بن محمد، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

المهدي من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خلقا و خلقا، تكون له غيبة و حيرة حتى تضل الخلق عن أديانهم، فعند ذلك يقبل كالشهاب الثاقب، فيملأها قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا»^{٥٥١}.

ص: ٢٣٩

و هذا الحديث نفسه رواه جابر بن عبد الله الأنصاري رضى الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله^{٥٥٢}، و فيه ما يوضح الاختلاف الحاصل في الكنية أيضا، فمحمد بن عبد الله قد تكنى - كما مرّ - ب: (أبي عبد الله)؛ في حين أن الإمام المهدي عليه السلام يكنى ب: (أبي القاسم).

جدير بالذكر أن محمد بن الحنفية رضى الله عنه قد أدعت له المهدوية - كما مرّ - قبل محمد بن عبد الله بن الحسن بأكثر من خمسين عاما، و قد تكنى محمد بن الحنفية ب (أبي القاسم)، و لكن لم يعترض أحد من الأئمة قط على الكيسانية و يقول لهم مثلا: إن مهديهم (محمد بن الحنفية) اسم أبيه (على) و المفروض أن يكون اسمه بحسب الحديث المزعوم: (عبد الله)، الأمر الذي يدل على كون (الزيادة المذكورة فيه) قد وضعت بعد حين.

٢- الاختلاف في النسب من جهة الأب:

كذلك بين الإمام الصادق عليه السلام الاختلاف الحاصل بين نسب الإمام المهدي عليه السلام و نسب محمد (النفس الزكية) - الذي تقمص المهدوية - من جهة الآباء؛ إذ لا خلاف بين أحد أن محمد بن عبد الله (النفس الزكية) حسني؛ لأنه من سلالة أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام.

بينما نسب الإمام المهدي عليه السلام ليس كذلك؛ إذ هو حسيني، بل هو التاسع من ولد الإمام الحسين عليه السلام كما مرّ عن الإمام الصادق عليه السلام في أحاديث شتى، فضلا عما أثبتته الواقع التاريخي في تشخيص هوية الإمام

^{٥٥٠} (٢) البيان في اخبار صاحب الزمان: ٤٨٥.

^{٥٥١} (٣) إكمال الدين ١: ٢٨٧/ ٤ باب ٢٥.

^{٥٥٢} (١) إكمال الدين ١: ٢٨٦/ ١ باب ٢٥.

المهدى عليه السلام.

جدير بالذكر أنه لا يوجد في عالم الرواية سوى حديثين فقط في خصوص كون نسب المهدى الموعود به في آخر الزمان حسنيا.

أحدهما: حديث أبي داود في سنته، و قد سبق أن ناقشنا هذا الحديث و بينا ضعفه و زيفه من عدة جهات.

و الآخر: أرسله الطبري المفسر العامي في تهذيب الآثار^{٥٥٣}، و لا عبرة به لإرساله، و لأنه ليس من طرقنا.

في حين وردت عن رسول الله صلى الله عليه و آله و أهل بيته الأطهار عليهم السلام و خصوصا الإمام الصادق عليه السلام روايات كثيرة تزيد على مائة رواية، و كلها صريحة بما ذكرناه.

نكتفي بواحدة منها، و هي ما رواه أبان بن عثمان، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «بيننا رسول الله صلى الله عليه و آله ذات يوم بالقيع حتى أقبل على عليه السلام فسأل عن رسول الله صلى الله عليه و آله، فقيل أنه بالقيع، فأثاه على عليه السلام، فسلم عليه، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: اجلس، فاجلسه عن يمينه - إلى أن قال - ثم إلتفت رسول الله صلى الله عليه و آله إلى على عليه السلام فقال: «ألا أبشرك؟ ألا أخبرك؟ يا على؟ فقال: بلى يا رسول الله، فقال: كان جبرئيل عليه السلام عندي آنفا و أخبرني أن القائم الذي يخرج في آخر الزمان فيملا الأرض عدلا، من ذريتك، من ولد الحسين...»^{٥٥٤}.

و مثله حديث معاوية بن عمار، عن الإمام الصادق عليه السلام^{٥٥٥}.

لماذا حصر الإمامة و المهدى في ذرية الحسين دون الحسن عليهما السلام؟

إذا ما تجاوزنا هذا، و عدنا إلى مسألة الإمامة بلحاظ كون المهدى الموعود هو قائم الاثمة و من ذريتهم، نجد أنها قد انحصرت بذرية الإمام الحسين السبط عليه السلام لا في الروايات الصحيحة الكثيرة التي تفوق حد الحصر فحسب، بل في واقعها الخارجى أيضا، حيث عرفت الأمة بكل أجيالها من تصدى من آل الرسول صلى الله عليه و آله لمسألة الإمامة، متحديا بذلك السلطات الحاكمة في زمانه، و يكفي فيما نحن فيه استماتة الحسينيين في كسب تأييد الإمام الصادق عليه السلام لدعوتهم، حتى كان عبد

^{٥٥٣} (١) نقله عنه السيوطي في الحاوي للفتاوى ٢: ٦٦.

^{٥٥٤} (٢) كتاب الغيبة / النعماني ٢٤٧ - ٢٤٨ / ١ باب ١٤.

^{٥٥٥} (١) روضة الكافي ٨: ٤٢ / ١٠.

اللّٰه بن الحسن يقول لما أخذ في أمر ابنه محمد و أجمع على لقاء أصحابه: «لا أجد هذا الأمر يستقيم إلّا أن ألقى أبا عبد الله جعفر بن محمد»^{٥٥٦}، و أنه حين صارهم في اجتماعهم بحقيقة الأمر و نهض عليه السّلام، تفرقوا و لم يجتمعوا بعدها كما مرّ.

و أما السّؤال عن سبب حصر الإمامة بذرية الإمام الحسين عليه السّلام دون ذرية الحسن عليه السّلام؟.

فجوابه المحكم عند الإمام الصادق عليه السّلام نفسه؛ إذ قال عليه السّلام: «إن موسى و هارون عليهما السّلام كانا نبيين مرسلين و أخوين، فجعل الله عزّ و جلّ النبوة في صلب هارون دون صلب موسى عليهما السّلام، و لم يكن لأحد أن يقول لم فعل الله

ص: ٢٤٢

ذلك؟ و إن الإمامة خلافة الله عزّ و جلّ في أرضه، و ليس لأحد أن يقول:

لم جعلها الله في صلب الحسين دون صلب الحسن عليهما السّلام؛ لأنّ الله تبارك و تعالى هو الحكيم في أفعاله لا يُسئلُ عمّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْتَلُونَ»^{٥٥٧}»^{٥٥٨}.

و من هنا ندرك أن السرّ في مسألة حصر الإمامة بذرية الإمام الحسين عليه السّلام أعمق بكثير مما قد نتصوّره سببا لاختيار الله عزّ و جلّ لتلك الصفوة الطاهرة من عباده؛ كسمو أرواحهم، و عظمة اخلاقهم، و انقطاعهم لله عزّ و جلّ، و نحو ذلك من الأسباب الظاهرة التي تدرج في قائمة المثل العليا في الإسلام؛ و إلّا لتساواوا عليهم السّلام مع المتقين الأبرار الذين سلكوا طريقتهم المثلى، و مضوا على محجّتهم الواضحة.

٣- الاختلاف من جهة الأم اسما و نسباً:

أمّا عن الاختلاف في اسم الأم، فهو أوضح من نار على علم، و أين اسم (هند) من اسم (نرجس)؟ و يقال لها عليها السّلام (صقيل) كما مرّ عن الإمام الصادق في بيان هوية الإمام المهدي عليهما السّلام؛ من باب تسمية الشيء ببعض صفاته، و لهذا تعددت اسمائها لجمال خلقها و خلقها سلام الله عليها.

و أما الاختلاف في نسب الأم؛ فإن أم محمد بن عبد الله بن الحسن،

ص: ٢٤٣

هى: هند بنت أبى عبيدة.

^{٥٥٦} (٢) أصول الكافي ١: ٣٥٨ / ١٧ باب ما يفصل بن دعوى المحق و المبطل في أمر الإمامة، من كتاب الحجّة.

^{٥٥٧} (١) سورة الأنبياء: ٢١ / ٢٢.

^{٥٥٨} (٢) إكمال الدين ٢: ٣٥٨ - ٣٥٩ / ٥٧ باب ٣٣.

و أمها: قريية بنت يزيد بن عبد الله بن وهب.

و أمها: خديجة بنت محمد بن طليب بن أزهر بن عبد عوف.

و أمها: أم مسلم بنت عبد الرحمن بن أزهر بن عبد عوف.

و أمها: قدة بنت عرفجة بن عثمان بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم.

و أمها: الدنيية بنت عبد عوف بن عبد الحرث بن زهرة.

و أمها: بنت العداء بن هرم بن رواحة.

و أمها: رزا بنت وهب بن ثعلبة بن وائلة من بنى فهر.

و أمها: من بنى الأحمر بن الحرث بن عبد مناف بن كنانة^{٥٥٩}.

فهو إذن من جهة الأمهات لم تلده إلا عربية قرشية في جميع أمهاته وجداته، ولهذا يقال له: صريح قريش.

بينما يعدّ الإمام المهدي عليه السلام من جهة الأم ابن خيرة الإماء كما مرّ في أحاديث الهوية عن الإمام الصادق عليه السلام، و في روايات أخرى عنه عليه السلام أنه ابن سيدة الإماء.

و من طريف ما يروى في الردّ على مهدوية الحسنی من هذه الجهة، ما عن ابن أبي حازم في قصة من احتج عليه من أنصار محمد بن عبد الله بن

ص: ٢٤٤

الحسن المثنى - و كانوا من المغيرية أصحاب المغيرة بن سعيد الكذاب - بأن محمدا هذا ابن مهيرة - أى: عربية حرّة محضة، فجاء إلى الإمام الصادق عليه السلام و أخبره باحتجاجهم، فأجابه عليه السلام بقوله: «أ و لم تعلموا أنه - يعنى: الإمام المهدي عليه السلام - ابن سبية»^{٥٦٠}.

ثالثا - من نتائج توعية الإمام الصادق عليه السلام:

^{٥٥٩} (١) مقاتل الطالبين: ٢٠٦.

^{٥٦٠} (١) كتاب الغيبة / النعماني ٢٢٩ - ٢٣٠ / ١٢ باب ١٣.

لعل من أبرز نتائج الثقافة المهدوية التي بنّا الإمام الصادق عليه السلام في ذلك الحين، تنصل قادة المعارضة الحسينية للسلطة العباسية من دعوى المهدوية جملة و تفصيلا، بما في ذلك عبد الله بن الحسن الذي رجاها في ابنه محمد، و كذلك محمد نفسه الذي إدعاها كما مرّ.

فقد روى يحيى بن مساور، عن يحيى بن عبد الله بن الحسن قال: «لما حبس أبي - عبد الله بن الحسن - و أهل بيته، جاء محمد بن عبد الله الى أمي، فقال: يا أم يحيى، أدخلني على أبي السجن، و قولي له: يقول لك محمد: بأنه يقتل رجل من آل محمد - يعني بذلك نفسه - خير من أن يقتل بضعة عشر رجلا. قالت: فاتبعته، فدخلت عليه السجن، فاذا هو متكئ على برذعة، في رجله سلسلة، قالت: فجزعت من ذلك، فقال:

مهلا يا أم يحيى فلا تجزعي فما بت ليلة مثلها! قالت: فابلغته قول محمد، قالت: فاستوى جالسا ثم قال: حفظ الله محمدا، لا و لكن قولي له فليأخذ في الأرض مذهبا، فو الله ما يحتج عند الله غدا، إلّا أنا خلقنا و فينا من

ص: ٢٤٥

يطلب هذا الأمر»^{٥٦١}.

و روى ابن الأثير ما خلاصته: إنّ المنصور العباسي لما حبس بنى الحسن في المدينة و صيرهم بعد رجوعه من الحج الى الربرة كانا محمد و إبراهيم يأتياه كهيئة الأعراب فيتشاوران مع أبيهما، و إنه قال لهما: «إن منعكما أبو جعفر - يعني المنصور - أن تعيشا كريمين، فلا يمنعكما أن تموتا كريمين»^{٥٦٢}.

و هذه الكلمات تكاد تنطق بتحول عقيدة الأب في ابنه، و تنازل الابن نفسه عن دعوى المهدوية و تنصله منها.

أما قول محمد لأبيه في رواية أخيه يحيى، فيكشف دوران أمره بين تسليم نفسه للقتل مقابل الافراج عن أبيه و باقي الحسينيين، او التضحية بها و بأهل بيته المسجونين، و كلاهما يعبر عن تبخر ذلك الوهم الكبير في أن يملأ الارض عدلا و قسطا بعدما ملئت ظلما و جورا.

و أما أبوه عبد الله فقد أثر لهما - برواية ابن الأثير - مصارع الكرام على العيش بذل الاستسلام، و لو كان يعتقد مهدوية ابنه محمد كما كان قبل دخوله السجن، لأخذ بروح محمد ابنه، و طمأنه على حياته و مستقبل مهدويته، بأنها أعظم من أن تزول على يد الدوانيقي المخدول، و لقال له:

يا بني عجل بالظهور، فإن روح الله عيسى بن مريم عليه السلام سينزل لنصرتك،

^{٥٦١} (١) مقال الطالبيين: ١٩٣.

^{٥٦٢} (٢) الكامل في التاريخ ٥: ١٤٤، في حوادث سنة / ١٤٤ هـ.

و سيصلى خلفك، حتى تكون مشارق الأرض و مغاربها من ملكك.

و بفضل هذه التوعية أيضا أنكر آخرون أن يكون محمد بن عبد الله هو المهدي.

منهم: جد محمد بن عبد الله لأمه مروان بن محمد، الذي أثر فيه حديث الإمام الصادق عليه السلام في بيان هوية الإمام عليه السلام، و الذي لا بدّ و أن يكون قد وصل الى أسماعه.

و يدل عليه ما قاله أبو العباس الفلستى، قال: «قلت لمروان جد محمد بن عبد الله؛ فإنه - يعنى: ابن عبد الله - يدعى هذا الأمر و يتسمى بالمهدي! فقال: ما لى و له، ما هو به، و لا من أبيه، و إنه لابن أم ولد»^{٥٦٣} يعنى ابن سبيّة.

و منهم: خديجة بنت عمر بن على بن الحسين عليهما السلام، حيث كانت تسخر من القول بمهدوية محمد بن عبد الله بن الحسن^{٥٦٤}.

و منهم: الكلبي النسابة، حيث أخذ معرفة هذا الأمر و حقيقته من الإمام الصادق عليه السلام مباشرة، و لم يطع عبد الله بن الحسن فى شيء مما قاله^{٥٦٥}.

و منهم: موسى بن عبد الله بن الحسن أخى محمد بن عبد الله بن الحسن، الذى اعترف بصحة وقوع كل ما أخبر به الإمام الصادق عليه السلام، و قد مرّ حديثه.

و منهم: إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب و هو شيخ كبير، قتله الحسينيون بعدما أبى عن بيعة محمد هذا، لحديث رواه عن الإمام الباقر عليه السلام فى مصرعه، و قد أيده الإمام الصادق عليه السلام، و قد قتله أنصار محمد فى مساء ذلك اليوم الذى امتنع فيه عن البيعة لهم^{٥٦٦}.

و منهم: علماء آل أبى طالب كما مرّ فى كلام أبى الفرج، و يأتى الإمام الصادق عليه السلام فى طليعتهم، و قد يكون عليه السلام هو المعنى أولا و آخرًا بكلامه.

^{٥٦٣} (١) مقاتل الطالبين ٢١٩ و ٢٢٨.

^{٥٦٤} (٢) أصول الكافى ١: ٣٥٨ / ١٧ باب ما يفصل به بين دعوى المحق و المبطل فى أمر الإمامة، من كتاب الحجّة.

^{٥٦٥} (٣) أصول الكافى ١: ٣٤٨ - ٣٥١ / ٦ من الباب السابق.

^{٥٦٦} (١) أصول الكافى ١: ٣٦٣ - ٣٦٤ / ١٧ من الباب السابق.

و منهم: بعض الحسينيين كما مرّ في قول ابن أخى الزهرى لعبد الله ابن الحسن لما أصرّ على أن المهدي هو ابنه محمد، فقال له: «يأبى ذلك أهل بيتك»، وفيه إشارة إلى وجود جملة من بنى الحسن لا يرون صحّة القول بمهديته؛ نظرا لما وصل إليهم من أخبار المهدي الموعود عليه السّلام، فضلا عما كان يقوله إمامنا الصادق عليه السّلام للحسينيين و يخلص لهم النصيحة في ذلك.

و منهم: عمرو بن عبيد، الذي «كان ينكر أن يكون محمد بن عبد

ص: ٢٤٨

الله هو المهدي، و يقول: كيف و هو يقتل؟»^{٥٦٧}.

و منهم: أبو جعفر المنصور العباسي كما سيأتى في دعوى مهدوية ابنه محمد الملقّب زورا ب: (المهدي العباسي).

ص: ٢٤٩

الفصل الرابع دعوى مهدويّة المهدي العباسي محمد بن عبد الله المنصور (١٥٨- ١٦٩ هـ)

أولا- من كان وراء القول بمهديته:

١- أبو جعفر المنصور:

يعدّ المنصور الدوانيقي (الخليفة) العباسي (١٣٦- ١٥٨ هـ) الرجل الأول وراء القول بمهدوية ابنه (محمد)، بعدما كان في طبيعة من أشاع القول بمهدوية محمد النفس الزكية، مع أنه لم يكن معتقدا بها و لا بمهدوية ابنه قط، و إنما رامها لأسباب سياسية بحته كما سيوافيك.

و قد كان المنصور- قبل وصول أخيه السّفاح إلى السلطة (سنة / ١٣٢ هـ)- متملقا للحسينيين، مدهنا معهم، يحسب لمستقبله السياسي ألف حساب؛ إذ سبق له و أن أمسك بركاب محمد النفس الزكية، طالبا منه أن يذكر له هذا الموقف فيما لو أثمرت مهديته، و صار خليفة للمسلمين!! و لكنه سرعان ما نكث بوعده، و غدر به بعد تولى السلطة بموت السّفاح (سنة / ١٣٦ هـ)، فكفر بمهديته، و أطاح بحركته، و أقدم على قتله و أخيه إبراهيم (سنة / ١٤٥ هـ). و بعد مرور سنتين - أى: في

ص: ٢٥٠

(سنة / ١٤٧ هـ)- احتال على عمّه عيسى بن موسى الذي كان السّفاح قد عهد إليه بالخلافة بعد المنصور؛ فخلعه منها، و عهد بها إلى ولده (محمد) و لقّبهُ المهدي!^{٥٦٨}.

^{٥٦٧} (١) مقاتل الطالبين: ٢١٨.

^{٥٦٨} (١) راجع: تاريخ الخلفاء / السيوطي: ٢١٠.

و ترجع محاولات المنصور فى استغلال العقيدة المهدوية لصالحه إلى أواخر السلطة الأموية، يوم كان ابنه (محمد) طفلاً صغيراً لا يتجاوز الخامسة من عمره؛ إذ ولد (سنة / ١٢٧ و قيل: ١٢٦ هـ)، أى: قبل تسلّم العباسيين السلطة بخمس أو ست سنين. و منذ ذلك التاريخ ظلّ حلم المهدوية يراود مخيلة المنصور إلى أن تمكن من إعلانه رسمياً على الملأ (سنة / ١٤٧ هـ)، قبل شهادة الإمام الصادق عليه السّلام (سنة / ١٤٨ هـ) بسنة واحدة.

و يدلّ على ما ذكرناه ما قاله أبو سلمة المصباحى، قال: حدثنى مولى لأبى جعفر، قال: أرسلنى أبو جعفر - يعنى المنصور - فقال: اجلس عند المنبر فاسمع ما يقول محمد بن عبد الله، قال: فذهبت و جلست عند المنبر فسمعت محمد بن عبد الله بن الحسن يخاطب الناس و يقول: «إنكم لا تشكّون إنى أنا المهدي، و أنا هو. قال: فأخبرت أبا جعفر بذلك، فقال:

كذب عدو الله، بل هو ابنى»^{٥٤٩}.

أقول: ليت أحداً قال له فى ذلك الحين: و أنت يا عدو الله ألم تكذب و تقول فى محمد بن عبد الله بن الحسن نفسه: هذا مهدينا أهل البيت؟

ص: ٢٥١

و من الواضح إنّ هذا التراجع من المنصور لم يكن فى زمان سلطته و لا فى زمان أخيه السفاح؛ إذ كان المهدي الحسنى فى تلك الفترة متوارياً عن أنظار ولاة المدينة لبنى العباس، وبقى هكذا إلى أن فاجأ المنصور بالثورة عليه سنة / ١٤٥ هـ، و عليه فلا بدّ و أن يكون هذا التحول بعيد مبايعته لمحمد بن عبد الله الحسنى و وصفه بالمهدي، إذ علم من الإمام الصادق عليه السّلام مصير تلك المهدوية و السلطة معا، فما يمنعه إذن من استخدام سلاح الحسينيين أنفسهم فى الدعوة إلى ابنه، لا سيّما و أن اسمه (محمد)، و اسم أبيه المنصور (عبد الله)، و الحديث الموضوع: (و اسم أبيه اسم أبى) لم يزل سارى المفعول فى زمانه.

و قد مرّ عنه قوله - بعد ما سمع من الإمام الصادق عليه السّلام ما سمع - بأنه ما خرج من المجلس إلّا و دبر أمره!! فانظر كيف نظر و فكّر فدبر؟!

و روى أبو الحجاج الجمّال ما هو صريح بتراجع المنصور عن القول بمهدوية محمد النفس الزكية قبل قتله، قال أبو الحجاج: «إنى لقائم على رأس أبى جعفر المنصور، و هو يسألنى عن مخرج محمد بن عبد الله بن الحسن، فيبلغه أن عيسى بن موسى هزم، و كان أرسله إلى قتال محمد.

قال: و كان المنصور متكئاً، فجلس، فضرب بقضيب معه مصلاه، و قال:

كلّاً فأين لعب صبياننا بها على المنابر، و مشاوراة النساء»^{٥٧٠}.

و السؤال هنا: أنّه لو كان معتقدا بمهدوية الحسنى، فلماذا هذا التحوّل

ص: ٢٥٢

السريع؟ ثمّ من أين لأبى جعفر الدوانيقي أن يعلم بكل هذا لو لم يأخذه من عين صافية؟

نعم، أخذه من الإمام الباقر عليه السّلام فى زمان الدولة الاموية^{٥٧١} كما أخذه من الإمام الصادق عليه السّلام يوم خاطب عبد الله بن الحسن بمحضر منه و من أخيه السفاح قائلاً: «إن هذا الأمر و الله ليس إليك و لا إلى إبنك، و إنّما هو لهذا- يعنى السفاح- ثم لهذا- يعنى المنصور- ثم لولده من بعده، لا يزال فيهم حتى يأمرّوا الصبيان، و يشاوروا النساء»^{٥٧٢}.

و هكذا كان للمنصور العباسى الدور الأوّل فى خداع الأمّة و التحايل على عقيدتها فى الإمام المهدي الموعود عليه السّلام تارة بادّعائها للحسنى، و أخرى لولده، هذا فى الوقت الذى كان يعتقد فيه اعتقاداً راسخاً بأن المهدي الموعود غيرهما. و الدليل عليه ما قاله يوسف بن قتيبة بن مسلم، قال:

«أخبرنى أخى مسلم بن قتيبة، قال: أرسل إلى أبو جعفر- المنصور-، فدخلت عليه، فقال: قد خرج محمد بن عبد الله و تسمّى بالمهدي، و و الله ما هو به. و اخرى أقولها لك لم أقولها لأحد قبلك، و لا أقولها لأحد بعدك:

و ابنى هذا و الله ما هو بالمهدي الذى جاءت به الرواية، و لكننى تيمّنت به، و تفاءلت به»^{٥٧٣}.

و يدلّ عليه أيضاً ما أخرجه الشيخ المفيد عن سيف بن عميرة، قال:

ص: ٢٥٣

«كنت عند أبى جعفر المنصور، فقال ابتداء: يا سيف بن عميرة، لابدّ من مناد ينادى من السماء باسم رجل من ولد أبى طالب.

فقلت: جعلت فداك! أتروى هذا؟ قال: أى و الذى نفسى بيده، لسماع أذنّى له، ثم قال: يا سيف إنه لحقّ، و إذا كان فنحن أوّل من يجيبه، أما إن النداء إلى رجل من بنى عمّنا.

^{٥٧٠} (١) مقاتل الطالبين ٢٤١، و تاريخ الطبرى ٧: ٥٩٨، و البداية و النهاية ١٠: ٩٠، فى حوادث سنة / ١٤٥ هـ.

^{٥٧١} (١) كما فى روضة الكافى ٨: ١٧٨ / ٢٥٦.

^{٥٧٢} (٢) مقاتل الطالبين: ٢٢٦.

^{٥٧٣} (٣) مقاتل الطالبين / أبو الفرج الأصبهاني: ٣٠٧.

فقلت: رجل من ولد فاطمة؟

فقال: نعم يا سيف، لو لا إني سمعته من أبي جعفر محمد بن علي يحدثني به، وحدثني به أهل الأرض كلهم ما قبلته منهم! و لكنه محمد بن علي»^{٥٧٤}.

أقول: و مع كل هذا فلم يرتدع حتى أعلن مهدوية ابنه رسميا على الملأ، و لم يفصح لأحد بما أفصح به من قبل لمسلم بن قتيبة كما مرّ، و بقي معاندا للحقّ فأشاع تلك البدعة الشنعاء، و قد وقف إلى جانبه الوضّاعون و الشعراء المتملقون كما سنرى.

٢- الوضّاعون:

كان للوضّاعين الكذّابين دور كبير في إشاعة مهدوية المهدي العباسي على الناس أمثال:

مقاتل بن سليمان المشهور بالكذب و وضع الحديث، و لما كان هذا الرجل الكذوب على علم بأن خروج الدجال من علامات ظهور المهدي الموعود من عقيدة الأمة بلا خلاف، و من هنا أراد اقناع الناس بأن

ص: ٢٥٤

ظهور الدجال سيكون في زمان محمد بن عبد الله المنصور الملقب كذبا على الله و رسوله بالمهدي، و لهذا كان يقول: «إن لم يخرج الدجال الأكبر سنة خمسين و مائة فاعلموا أنني كذّاب!!»، و كان يحدث بهذا الحديث عن الكلبي و يقول: حدثنا أبو النظر! فلقبه الكلبي، و قال له: أنا أبو النظر و ما حدثتك بهذا قط! فقال مقاتل: اسكت يا أبا النظر، فإن تزيين الحديث لنا إنما يكون بالرجال!».!

و من جرّأته في الكذب على الله و رسوله، أنه قال للمهدي العباسي ذات يوم: «إن شئت وضعت لك أحاديث في العباس! فقال: لا حاجة لي فيها» و يظهر مما سيأتي أن كثرة تلك الأحاديث الموضوعة في العباس و ولده جعلت ابن المنصور في غنى عن أحاديث مقاتل، في حين كان المفروض عليه أن يلقّن هذا الدجال درسا بليغا ليكون عبرة لمن اعتبر، و لكن (ال خليفة) و (أمير المؤمنين) و (المهدي) لم يفعل!!

و قد سبق لمقاتل هذا، و أن قال للمنصور: «انظر ما تحب أن أحدث فيك!»! و كل هذا و غيره مما نقله مترجموه، و اتفقوا على كذبه و دجله^{٥٧٥}.

^{٥٧٤} (١) الإرشاد / الشيخ المفيد ٢: ٣٧٠ - ٣٧١.

^{٥٧٥} (١) تجد هذه الأقوال و غيرها في كتاب الجرح و التعديل / ابن أبي حاتم ٤: ١ / ٣٥٤، و المجروحين من المحدثين و الضعفاء و المتروكين / ابن حبان ٣: ١٤، و الضعفاء و المتروكين / الدارقطني: ٣٧٤ / ٥٢٧، و الكامل في ضعفاء الرجال / ابن عدي ٦: ٢٤٢٧، و الضعفاء و المتروكين / ابن الجوزي ٣: ١٣٦، و ميزان الاعتدال / الذهبي ٤: ١٧٣.

إلى غير ذلك من أصناف الوضّاعين و الكذّابين، و المجاهيل و المهملين، و الضعفاء و المتروكين الذين أسهموا فى إشاعة و ترويج مهدويّة المهدي

ص: ٢٥٥

العباسي، من أمثال:

إبراهيم بن المهاجر، و أحمد بن راشد الهلالي، و إسماعيل بن إبراهيم بن المهاجر، و الحسن بن أحمد العطاردي، و زيد بن عوف أبي ربيعة القطعي، و سالم الأعشى، و محمد بن جابر بن سيّار الحنفى، و محمد بن زياد أبي بكر، و محمد بن مخلد، و محمد بن الوليد المقرئ مولى بنى العباس، و إليك جملة من رواياتهم:

الأحاديث الموضوعة فى ترويج مهدوية المهدي العباسي:

لا بأس هنا بالإشارة السريعة إلى تلك الأحاديث الموضوعة و الملفقة المقلوبة فى مهدويّة محمد بن المنصور الذى عرف بشرب الخمر:

منها: حديث رجل مجهول رفعه إلى كعب الأخبار و فيه: «المهدي من ولد العباس»، رواه ابن حماد، عن الوليد، عن شيخ، عن يزيد بن الوليد الخزاعي، عن كعب^{٥٧٦}.

و لم يعرف أحد اسم هذا الشيخ، و الإسناد منقطع لاشتماله على أحد الرواة بلفظ مبهم، و يسمى مجهولاً أيضاً، زيادة على إرساله؛ إذ لم يرفعه كعب، هذا فضلاً عما فى كعب الأخبار من كلام.

و منها: ما أسنده بعضهم إلى ابن عباس مرفوعاً: «هذا عمى أبو الخلفاء الأربعين أجود قريش كفا و أجملها، من ولده: السفاح، و المنصور، و المهدي، بى يا عم فتح الله هذا الأمر و يختمه برجل من ولدك».

ص: ٢٥٦

أورده ابن الجوزى فى الموضوعات^{٥٧٧} و ابن عراق فى تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الموضوعة^{٥٧٨}، و السيوطى فى اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة، و قال: «موضوع، المتهم به الغلابي»^{٥٧٩}.

^{٥٧٦} (١) الفتن / ابن حماد: ١٠٣؛ و عنه الخطيب فى تاريخ بغداد ١: ٨٥ باب من أخبار أبي جعفر المنصور.

^{٥٧٧} (١) الموضوعات / ابن الجوزى ١: ٣٤٥.

^{٥٧٨} (٢) تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الموضوعة / ابن عراق ٢: ٢ / ١١ / ٢٢.

^{٥٧٩} (٣) اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة ١: ٤٣٤ - ٤٣٥.

و هذا خطأ فظيح؛ لأنّ الغلابى ثقة جليل مشهور، و هو محمد بن زكريا البصرى (ت / ٢٩٨ هـ)^{٥٨٠}، و المتهم به غيره، و يؤيده أن الإسناد المذكور لهذا الحديث ضعيف و منقطع^{٥٨١}. و لله درّ من قال فى السيوطى بأنه كحاطب ليل.

و من أمارات وضعه، أنّه مخالف لعدد سلاطين بنى العباس، لأنك لو أعددتهم ابتداء من السفاح و انتهاء بالمستعصم قتيل التتار لوجدتهم فى العراق سبعة و ثلاثين رجلا، و فى مصر ابتداء من المستنصر بالله و إلى نشوء الدولة الفاطمية ستة عشر رجلا^{٥٨٢}، و بهذا يكون مجموع خلفاء بنى العباس ثلاثة و ستين، و به يستبين كذب واضعه و دجله، هذا فضلا عن وضوح كذبه بمعارضة حديثه للصحيح من كون الخلفاء إثني عشر لا غير.

هذا، و قد أخرج الحاكم نحوه من طريق إسماعيل بن إبراهيم بن

ص: ٢٥٧

المهاجر، عن أبيه^{٥٨٣}.

و حديث إسماعيل هذا واه جدا، قال الذهبى: «و إسماعيل مجمع على ضعفه، و أبوه ليس بذاك»^{٥٨٤}.

و أخرج الحديث المذكور الخطيب البغدادي فى تاريخه من رواية محمد ابن مخلد بن حفص^{٥٨٥}.

و حديثه ليس بشيء، فقد ذكره الذهبى فى ترجمة أحمد بن الحجاج بن الصلت، قائلا: «رواه عنه محمد بن مخلد، فهو آفته، و العجب أن الخطيب ذكره فى تاريخه و لم يضعفه، و كأنه سكت عنه لإنتهاك حاله»^{٥٨٦}.

و منها: حديث محمد بن الوليد المقرئ مولى العباسيين، رفعه إلى عثمان بن عفان، قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: المهدي من ولد العباس عمى».

^{٥٨٠} (٤) رجال النجاشي: ٣٤٦ - ٣٤٧ / ٩٣٦.

^{٥٨١} (٥) كما فى البداية و النهاية / ابن كثير ٦: ٢٤٦.

^{٥٨٢} (٦) كما فى تاريخ الخلفاء للسيوطى.

^{٥٨٣} (١) مستدرک الحاكم ٤: ٥٩٩ / ٨٥٦٨، و الطبعة القديمة ٤: ٥١٤.

^{٥٨٤} (٢) تلخيص المستدرک / الذهبى (مطبوع بهامش مستدرک الحاكم - الطبعة القديمة) ٤: ٥١٤.

^{٥٨٥} (٣) تاريخ بغداد ٤: ٩٣ / ١٧٤٢ فى ترجمة محمد بن نوح بن سعيد المؤذن.

^{٥٨٦} (٤) ميزان الاعتدال ١: ٨٩ / ٣٢٨.

و هذا الحديث أورده ابن الجوزى فى العلل المتناهية^{٥٨٧} و الألبانى الوهابى فى سلسلة الأحاديث الضعيفة^{٥٨٨}، و السيوطى فى الجامع الصغير، و قال: «حديث ضعيف»^{٥٨٩}، و هذا اشتباه منه؛ إذ الصحيح أنه مكذوب

ص: ٢٥٨

لا أصل له كما صرح بهذا غير واحد.

قال المناوى فى شرح الجامع الصغير بخصوص هذا الحديث: «قال ابن الجوزى: فيه محمد بن الوليد المقرئ، قال ابن عدى: يضع الحديث، و يصله، و يسرق، و يقلب الأسانيد و المتون. و قال ابن أبى معشر:

كذاب»^{٥٩٠}.

و أورده صاحب الصواعق، ثم نقل عن الذهبى قوله: «تفرّد به محمد ابن الوليد مولى بنى هاشم - يعنى: العباسيين - و كان يضع الحديث»^{٥٩١}.

و قد ترجم الذهبى لهذا الكذاب قائلا: «قال ابن عدى: كان يضع الحديث، و قال أبو عروبة: كذاب، فمن أباطيله ..» ثم ساق له ثلاثة أخبار كلها كذب على الله تعالى و رسوله صلى الله عليه و آله، و أشدها خرافة ثالثها. ثم قال:

«قال أبو حاتم: ليس بصدوق، و قال الدارقطنى: ضعيف»^{٥٩٢}.

و منها: حديث أحمد بن راشد الهلالى، عن سعيد بن خثيم، رفعه إلى أم الفضل، عن النبى صلى الله عليه و آله: «يا عباس إذا كانت سنة خمس و ثلاثين و مائة، فهى لك و لولدك، منهم: السفاح، و منهم المنصور، و منهم المهدي»^{٥٩٣}.

و يبدو أن هذا الهلالى كان غبيا جاهلا بالتاريخ، و لهذا فقد خالف

ص: ٢٥٩

^{٥٨٧} (٥) العلل المتناهية ٢: ٨٥٨ / ١٤٣٨.

^{٥٨٨} (٦) سلسلة الأحاديث الضعيفة ١: ١٨٠ - ١٨١ / ٨٠.

^{٥٨٩} (٧) الجامع الصغير / السيوطى ٢: ٦٧٢ / ٩٢٤٢.

^{٥٩٠} (١) فيض القدير فى شرح الجامع الصغير / عبد الرؤوف المناوى الشافعى ٦: ٢٧٨ / ٩٢٤٢.

^{٥٩١} (٢) الصواعق المحرقة / ابن حجر الهيتمى: ١٦٦.

^{٥٩٢} (٣) ميزان الاعتدال ٤: ٥٩ - ٦٠ / ٨٢٩٣.

^{٥٩٣} (٤) تاريخ بغداد ١: ٨٤ - ٨٥، باب من أخبار أبى جعفر المنصور.

بخبيره هذا واضحات التاريخ، حيث لم يبدأ حكم بنى العباس بما قاله هذا الكذاب، و إنما ابتدأ حكمهم فى (سنة / ١٣٢ هـ) بلا خلاف، و لهذا قال الذهبى فى ترجمته: «أحمد بن راشد الهلالى، عن سعيد بن خثيم بخبر باطل فى ذكر بنى العباس - ثم أورد خبره و قال - فهو الذى إختلقه بجهل»^{٥٩٤}.

و نكتفى بهذا القدر من التوضيح مع الإشارة السريعة إلى بقية ما وقفنا عليه من أحاديث المهملين و الكذابين الذين وضعوا الأحاديث فى مهدوية المهدى العباسى:

كمحمد بن زياد أبو بكر، و سالم الأعشى، و هما مهملان، و حديثهما عن ابن عباس موضوع^{٥٩٥}.

و محمد بن جابر بن سيار الحنفى (ضعيف)، و الحسن بن أحمد الطاردي (مجهول)، و قد وقعا فى سند حديث واحد مكذوب على أبى سعيد الخدرى^{٥٩٦}.

و أبى ربيعة زيد بن عوف القطعى و حديثه موضوع^{٥٩٧}.

و الضحّاك، عن ابن عباس، و حديثه موضوع، لأنه لم يسمع من ابن

ص: ٢٦٠

عباس شيئا، و لعل الآفة من المجهول الذى سمعه الضحّاك منه، كما فى قول ابن حبان^{٥٩٨}.

جدير بالذكر، أنه وردت عن أهل البيت عليهم السّلام جملة من الأخبار الصريحة بأن المراد بالمنصور فى الروايات هو الإمام الحسين عليه السّلام و بالسفّاح هو أمير المؤمنين على عليه السّلام، و ذلك بعد الرجعة^{٥٩٩}.

و مهما يكن، فإن بنى العباس حاولوا خداع الأمة على أكثر من صعيد من أجل تمرير أهدافهم السياسية فى القضاء على خصومهم من العلويين و غيرهم، و من ثم تحسين صورتهم فى أعين الناس الذين كانوا يرونهم عصابة إغتصبت ثمار جهود متواصلة من النضال العلوى ضد الحكم الأموى الجائر، و من هنا كانوا بحاجة إلى تحسين تلك الصورة التى أرادوا جلى سحتها بكل ثمن، و

^{٥٩٤} (١) ميزان الاعتدال ١: ٩٧ / ٣٧٥.

^{٥٩٥} (٢) الموضوعات/ ابن الجوزى ٢: ٤٤٧، ترتيب الموضوعات/ الذهبى: ٣٢٢ / ١١٧٢، و اللآلئ المصنوعة ١: ٣٩٨.

^{٥٩٦} (٣) تاريخ بغداد ٩: ٣٩٩ / ٥٠٧.

^{٥٩٧} (٤) اللعل المتناهية ١: ٢٩٠ / ٤٦٩.

^{٥٩٨} (١) لسان الميزان ٦: ٤٥١ - ٧٩٧٦ فى ترجمة محمد بن الفرج الأزرق.

^{٥٩٩} (٢) راجع: تفسير العياشى ٢: ٣٢٦ / ٢٤، و كتاب الغيبة/ النعمانى: ٣٣١ - ٣٣٢ / ٣ باب ٢٦، و مختصر بصائر الدرجات: ٣٨، و ٣٩، و ٤٩، و ٢١٣، و ٢١٤، و

الاختصاص/ الشيخ المفيد: ٢٥٧ - ٢٥٨، و كتاب الغيبة/ الشيخ الطوسى: ٢٨٦.

أخيرا وجدوا بغيتهم عند حفنة من الوضاعين و المتروكين فوضعوا لهم: «أريت بنى مروان يتعاورون منبرى فساءنى ذلك، و رأيت بنى العباس يتعاورون منبرى فسرني ذلك»^{٦٠٠}.

و المقطع الأول من الحديث المذكور صحيح بلا إشكال، و قد تقدم فى أكذوبة مهديّة عمر بن عبد العزيز الأموى المروانى. و لكن المقطع الثانى منه: «و رأيت بنى العباس...» موضوع بلا شبهة، و الذى وضعه يزيد بن

ص: ٢٤١

ربيعة، المتروك^{٦٠١}.

هذا .. و قد رأينا كيف سخرّ العباسيون جملة من الرعاع لنصرتهم بالإلتفاف على أحاديث الرايات السود التى صحّ الحديث بخروجها من المشرق فى آخر الزمان لنصرة الإمام المهدي عليه السّلام و توطيد سلطانه الشريف، و هى أحاديث صحيحة رواها الفريقان، و صحح الحاكم بعض طرقها على شرط البخارى و مسلم معا^{٦٠٢}، و لهذا حاولوا صرف الأنظار إلى ما يوحى للأمة بأنّ تلك الرايات السود، هى الرايات السود التى أقبل بها داعيتهم أبو مسلم الخراسانى من خراسان لإنشاء دولتهم، و لم يصعب عليهم إيجاد من يضع لهم الحديث فى ذلك. الأمر الذى يكشف لنا عن أنّ اختيار العباسيين لبس السواد- كشعار لهم- لم يكن جزافا، و بلا هدف، و إنّما جاء منسجما مع وسائلهم فى الوصول إلى السلطة و سبل تثبيتها، بالغدر و القتل تارة، و بالكذب على الله و رسوله صلى الله عليه و آله تارة أخرى.

و قد تنبه ابن كثير إلى كذبهم هذا، فقال معقبا حديث الرايات فى سنن الترمذى^{٦٠٣}: «و هذه الرايات السود ليست هى التى أقبل بها أبو مسلم الخراسانى .. بل رايات سود آخر تأتى بصحبة المهدي»^{٦٠٤}.

٣- الشعراء:

كما كان للشعراء دور كبير أيضا فى إفشاء مهديّة (المهدي) العباسي،

ص: ٢٤٢

و قد كان نصيبهم فى هذا كبيرا، حيث تقربوا إلى العباسيين بمدائح مكذوبة، و نعتوهم بصفات لا توجد فيهم؛ طمعا فى ما حازوه من أموال الأمة. من أمثال: مروان بن أبى حفصة، و سلم الخاسر و غيرهما من الشعراء.

^{٦٠٠} (٣) المعجم الكبير/ الطبراني ٢: ٩٦ / ١٤٢٥.

^{٦٠١} (١) مجمع الزوائد ٥: ٢٤٤ قال: «و فيه يزيد بن ربيعة، و هو متروك».

^{٦٠٢} (٢) مستدرک الحاكم ٤: ٨٥٣٢ / ٥٤٧، و الطبعة القديمة ٤: ٥٠٢.

^{٦٠٣} (٣) سنن الترمذى ٤: ٥٣١ / ٢٢٦٩.

^{٦٠٤} (٤) النهاية فى الفتن و الملاحم/ ابن كثير ١: ٥٥.

فمن قول مروان بن أبي حفصة:

مهدى أمته الذى أمست به

للذلّ آمنة و للإعدام^{٦٠٥}

و قال سلم الخاسر:

له شيمة عند بذل العطا

ء لا يعرف الناس مقدارها

و مهدى أمّتنا و الذى

حماها و أدرك أوتارها

فأمر له (المهدى) بخسمائة ألف درهم!^{٦٠٦}

و مدح سلم - ذات يوم - بعض العلويين، فبلغ ذلك المهدى العباسى فتوعده و همّ به، فاعتذر له بقصيدة يقول فيها:

إنى أتتنى على المهدى معتبة

تكاد من خوفها الأحشاء تضطرب^{٦٠٧}

و من سخافة شعر سلم الخاسر، إنه وصف محمد بن عبد الله المنصور العباسى بالمهدوية، و هو يراه جثّة هامدة!! فقال يرثيه:

و باكية على المهدى عبرى

كأن بها - و ما جنت - جنونا^{٦٠٨}

ص: ٢٨٣

و قال أبو العتاهية فى جارية المهدى العباسى (عتبة) و كان يحبّها:

نفسى بشيء من الدنيا معلّقة

الله و القائم المهدى يكفيها

^{٦٠٥} (١) تاريخ الخلفاء / السيوطى ٢٢٠.

^{٦٠٦} (٢) الأغاني / أبو الفرج الأصبهاني ١٩: ٢٧٩ فى ترجمة سلم الخاسر.

^{٦٠٧} (٣) الأغاني ١٩: ٢٧٥.

^{٦٠٨} (٤) تاريخ الخلفاء ٢٢٠.

إني لآيس منها ثم يطمعني

فيها احتقارك للدنيا و ما فيها^{٦٠٩}

و سيأتي في شخصية المهدي العباسي ما يدلّ على انغماسه في ملذات الدنيا و زخارفها بلا زهد في شيء منها.

و قال أحد شعراء البلاط مهنتا المهدي العباسي بولاية العهد:

يا ابن الخليفة أن أمة أحمد

تاقت إليك بطاعة أهواؤها

و لتملأن الأرض عدلا كالذي

كانت تحدّث أمة علماؤها

حتى تمنّي لو ترى أمواتها

من عدل حكمك ما ترى أحيائها

فعلى أبيك اليوم بهجة ملكها

و غدا عليك إزارها ورداؤها^{٦١٠}

و هذه الأبيات تكشف بكل وضوح عن دور المنصور في إشاعة تلك المهدوية الباطلة على الناس كذبا و دجلا و جرأة على الله تعالى و رسوله الكريم صلى الله عليه و آله.

ثانيا- شخصية المهدي العباسي في الميزان:

كان (المهدي العباسي) يحب الغناء و يستخفّ الطرب! و لا غرو في ذلك بعد نشأته في بيت الغناء و الطرب، فأخوه إبراهيم كان من أشهر المغنين في

ص: ٢٦٤

زمانه، و أخته عليّة - و ما أدراك ما عليّة؟ - مطربة مغنية، شغفت بخادمها - رشاً - حباً!!^{٦١١}.

و في هذا يقول أبو الفراس الحمداني:

منكم «عليّة» أم منهم؟ و كان لكم

شيخ المغنين «إبراهيم» أم لهم^{٦١٢}

^{٦٠٩} (١) مروج الذهب / المسعودي ٣: ٣٢٦ - ٣٢٧.

^{٦١٠} (٢) تاريخ الخلفاء / السيوطي: ٢٢٢ في حديثه عن المهدي العباسي.

^{٦١١} (١) راجع: أشعار أولاد الخلفاء و أخبارهم من كتاب الأوراق / أبو بكر محمد بن يحيى الصولي: ٦٢.

^{٦١٢} (٢) ديوان أبي فراس الحمداني: ٣٠٤. قصيدة رقم / ٣٠٣ البيت رقم / ٥٤.

و من أطرف ما يصوّر لنا قيمة شخصية المهدي العباسي، ما ذكره السيوطي في ترجمته، قال - بعد ما أورد له حديثا في البسمة - : «قال الذهبي: هذا إسناد متصل، لكن ما علمت أحدا إحتجّ بالمهدي و لا بأبيه - المنصور - في الأحكام»^{٦١٣}.

و ليت شعري! ما تلك الإزدواجية و ذلك النفاق في تسميته بعد كل هذا إذن بخليفة المسلمين، و أمير المؤمنين، و المهدي؟

أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ^{٦١٤}.

و لإهمال هذا المهدي المزيف شؤون الرعية، و انغماسه في لهوه و ملذّاته؛ تدخّلت النساء في شؤون دولته، لا سيما زوجته الخيزران الذي استفحل أمرها في عهده و بقيت هكذا حتى استولت على زمام الأمور في

ص: ٢٤٥

عهد ابنه الهادي العباسي (١٦٩ - ١٧٠ هـ)^{٦١٥}، و إذا ما أضيف إلى هذا مجونه و فسقه كما مرّ في شخصيته، فكيف يسمّى بخليفة الله في أرضه؟!

و العجيب من (المهدي العباسي) أنّه لم تمنعه (مهدويته) و لا (خلافته) من الفسق و الفجور و شرب الخمر علنا بلا حجاب عن ندمائه^{٦١٦}.

و هو القائل في نديمه عمر بن بزيع:

بأبي حفص نديمي

ربّ تمّم لي نعيمي

في غناء و كروم

إنّما لذة عيشي

و سماع و نعيم^{٦١٧}

و جوار عطرات

^{٦١٣} (٣) تاريخ الخلفاء: ٢٢٤.

^{٦١٤} (٤) سورة يونس: ٣٥ / ١٠.

^{٦١٥} (١) تاريخ الطبري ٣: ٤٦٦.

^{٦١٦} (٢) ذكر السيوطي من مجون هذا الرجل و فسقه أنّه كان لا يحتجب عن ندمائه (في الشراب) خلافا لأبيه المنصور الذي كان يحتجب عنهم فأشير عليه أن يحتجب فقال: «إنما اللذة مع مشاهدتهم»!! راجع: تاريخ الخلفاء: ٢١٦ في ترجمة المنصور العباسي و: ٢٢٢ في ترجمة المهدي العباسي.

^{٦١٧} (٣) تاريخ الخلفاء: ٢٢٢.

هذا فضلا عن تقريبه لأمثال مولى آل مروان اليهودى مروان بن أبى حفصة الشاعر، و غيره من شعراء البلاط الماجنين. و ما كان يطربه من شعرهم الماجن إلّا ما ينشده مولى آل مروان، لا سيما قصيدته الهائية فى النيل من آل محمد صلّى الله عليه و آله، ولد الزهراء البتول عليها السّلام؛ ليهبه (المهدى) بعد ذلك ثمن كفره، فيعطيه على كل بيت منها ألف درهم، و كانت مائة بيت!٦١٨

ص: ٢٦٦

و مروان هذا هو الذى أنشد هارون بعد هلاك (المهدى العباسى) قصيدته التى يقول فيها:

أنى يكون و ليس ذاك بكائن
لبنى البنات وراثه الأعمام

ليقبض - بعد هذا - ثمن جرّأته على الله و رسوله صلّى الله عليه و آله من (الخليفة) مائة ألف درهم؛ ثم لم يلبث أن زاده اللارشيد - بغضا للحق و أهله - عشرة الآف أخرى!!٦١٩.

أليس هذا من جملة البلاء المقصود فى الصحيح عن الإمام الصادق عليه السّلام: «إن الله عزّ و جلّ أعفى نبيكم صلّى الله عليه و آله أن يلقى من أمّته ما لقيت الأنبياء من أممها، و جعل ذلك علينا؟»٦٢٠

بلى و الله إنه لمن البلاء الذى صبّ على أهل البيت عليهم السّلام صبا، و أعظم منه ادّعاء الخلافة نهبا و غصبا، و المهدوية كذبا و نصبا.

ترى! فكيف واجه الإمام الصادق عليه السّلام هذا الادّعاء الكاذب و الأفك المبين؟

ثالثا - موقف الإمام الصادق عليه السّلام من المهدوية العباسية:

إنّ أغلب الخطوط العامة فى منهج الإمام الصادق عليه السّلام فى ردّ دعاوى المهدوية السابقة على ظهور إكذوبة مهدوية بنى العباس، صالحة للردّ على تلك الأكذوبة، كما أن توضيحه عليه السّلام لمعالم المهدوية الحقّة، إبتداء أو جوابا على سؤال؛ يعتبر ردّا محكما على سائر الدعاوى المهدوية الباطلة فى التاريخ

ص: ٢٦٧

٦١٨ (٤) تاريخ بغداد ١٣: ٧١٢٧ / ١٤٦ فى ترجمة مروان بن أبى حفصة الشاعر.

٦١٩ (١) تاريخ بغداد ١٣: ٧١٢٧ / ١٤٥.

٦٢٠ (٢) روضة الكافى ٨: ٣٥٢ / ٢٠٩، و رجاله ثقات كلهم.

لا سيّما تلك التي عاصرها الإمام الصادق عليه السّلام و منها مهدوية المهدي العباسي. ممّا يعنى هذا .. أن معرفة موقفه عليه السّلام من هذه المسألة يتطلب معرفة موقفه من سابقتها و الوقوف على منهجه فى توضيح هوية الإمام المهدي عليه السّلام و هو ما سبق تفصيله.

على أن محمد بن عبد الله المنصور يكنى: أبا عبد الله، و على هذا، فهو يته الشخصية مطابقة لهوية (المهدي الحسنى) من جهة: الاسم، و الكنية، و اسم الأب، و اللقب (المهدي). و تختلف معها فى النسب، و اسم الأم؛ إذ ذاك (حسنى)، و هذا (عباسى). و أمّ ذاك (هند)، و أمّ هذا (أمّ موسى بنت منصور الحميرية)^{٦٢١}.

و قد مرّ عن الإمام الصادق عليه السّلام ما يبيّن الفرق الكبير بين هوية الإمام المهدي عليه السّلام، و بين تلك الهويات الزائفة.

و لعلّ الشئ الذى لا بدّ من ذكره هنا ليعبر لنا عن موقف الإمام الصادق عليه السّلام من مهدوية العباسى بصورة مباشرة، هو رأيه فى بنى العباس و سلطتهم، و خير ما يوضح لنا ذلك أحاديثه الشريفة، و هى على أصناف كثيرة، نشير إلى بعضها اختصاراً، و هى:

١- الأمر بالتقية من بنى العباس:

و يدلّ عليه أحاديث التقيّة الواردة عن الإمام الصادق عليه السّلام و هى كثيرة، و تظهر صلتها المباشرة بما نحن فيه إذا علمنا بتصريح الإمام الصادق عليه السّلام- كما تقدم فى فصول البحث- بارتفاع التقيّة فى زمان ظهور

ص: ٢٤٨

الإمام المهدي عليه السّلام، و معنى هذا: أن الأمر بالتقيّة فى زمانه دليل على إشعار الناس بزيف مهدوية المهدي العباسى و كذب مروجيها له.

٢- الأمر بكتمان أمر أهل البيت عليهم السّلام عن العباسيين:

و يدلّ عليه أحاديث الإمام الصادق عليه السّلام فى الكتمان، و هى كثيرة أيضاً، و صلتها بموضوعنا أوضح من أن تحتاج إلى بيان؛ لأنّ معنى تلك الأحاديث: هو أن تصان أسرار آل محمد صلّى الله عليه و آله و لا تذاع على مسامع السلطة العباسية و جواسيسها و اتباعها و أنصارها؛ خشية على الآل عليهم السّلام من القتل أو السجن أو النفي و غير ذلك من وسائل الإرهاب و البطش و التنكيل؛ و لهذا كان إمامنا الصادق عليه السّلام يحذّر أصحابه من خطر إذاعة أسرارهم، و يقول لهم: «من أذاع علينا شيئاً من أمرنا فهو كمن قتلنا عمداً و لم يقتلنا خطأ»^{٦٢٢}.

^{٦٢١} (١) مروج الذهب ٣: ٣١٩، و تاريخ الخلفاء: ٢١٨.

^{٦٢٢} (١) أصول الكافي ٢: ٢٧٥ / ٩ باب الإذاعة، من كتاب الإيمان و الكفر.

وكان عليه السلام يأمرهم بمواساة أهل البيت عليهم السلام في ظلّ تلك السياسة الظالمة الرعناء و يحثهم على كتم الأسرار، بقوله عليه السلام: «نفس المهموم لظلمنا تسبيح، و همّ لنا عبادة، و كتمان سرّنا جهاد في سبيل الله»^{٦٢٣}.

٣- الأمر بالابتعاد عن العباسيين و قضاتهم في المرافعات و وصفهم بالطاغوت:

و يدلّ عليه الأحاديث الصريحة الآمرة بعدم الرجوع إلى العباسيين و لا إلى أحد من ولايتهم أو قضاتهم بشيء من المرافعات القضائية.

ص: ٢٦٩

فقد جاء في مقبولة عمر بن حنظلة، قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث، فتحاكما إلى السلطان و إلى القضاة، أيحلّ ذلك؟ قال عليه السلام: من تحاكم إليهم في حقّ أو باطل فإنّما تحاكم إلى الطاغوت و ما يحكم له فإنّما يأخذ سحتا، و إن كان حقّا ثابتا له، لأنّه أخذه بحكم الطاغوت و قد أمر الله أن يكفر به، قال الله تعالى: يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ»^{٦٢٤}.

قلت فكيف يصنعان؟ قال: «ينظرون إلى من كان منكم ممّن قد روى حديثنا و نظر في حالنا و حرامنا و عرف أحكامنا فليرضوا به حكما، فإنّي قد جعلته عليكم حاكما ... الحديث»^{٦٢٥}.

أو ليس في سلب الشرعية عن آية مرافعة إلى العباسيين أو إلى قضاتهم؛ لأنّها مرافعة بين يدي الطاغوت، ما يدلّ على فساد تلك الدولة، و وضوح موقف الإمام الصادق عليه السلام من مهدوية أخى مطربها إبراهيم و مغنيتها عليّة؟

٤- أحاديثه عليه السلام الواردة في ذمّ بني العباس صراحة:

كحديثه عليه السلام في وصفهم بأنهم أولاد نثيلة لا يستحقّون من الملك فتيلًا^{٦٢٦}.

ص: ٢٧٠

^{٦٢٣} (٢) أمالي الشيخ المفيد: ٣٣٨ / ٣ المجلس رقم / ٤٠، و أمالي الشيخ الطوسي:

١١٥ / ١٧٨ المجلس رقم / ٤.

^{٦٢٤} (١) سورة النساء: ٤ / ٦٠.

^{٦٢٥} (٢) أصول الكافي: ١: ٦٧ - ٦٨ / ١٠ باب اختلاف الحديث، من كتاب فضل العلم.

^{٦٢٦} (٣) روضة الكافي: ٨: ٢١٦ - ٣٧٢، و نثيلة: أمة لأمّ الزبير و أبي طالب، - و عبد الله بن المطّلب. و هي أمّ العباسيين، و لم يعتقها أحد من هؤلاء الثلاثة، مما يعني هذا: أن العباسيين عبيد لأولاد هؤلاء الثلاثة، فكيف يكون المهديّ منهم؟! بل كيف تصحّ خلافة العبيد؟!.

و حديث أبى بصير، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: اتقوا الله و عليكم بالطاعة لأتمتكم .. فإنكم فى سلطان من قال الله تعالى:

وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ^{٦٢٧}، يعنى بذلك: ولد العباس»^{٦٢٨}.

و حديث جميل بن درّاج قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ و إن كان مكر لد العباس بالقائم لتزول منه قلوب الرجال»^{٦٢٩}.

و سئل عليه السلام فى قوله تعالى: فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ^{٦٣٠} قال عليه السلام: «أخذ بنى أمية بغتة، و يؤخذ بنى العباس جهرة»^{٦٣١}.

و جرى - ذات يوم - فى مجلس الإمام الصادق عليه السلام ذكر دور بنى العباس، كدار صالح، و دار عيسى بن على، فقال رجل ممن حضر:

ص: ٢٧١

«أراناها الله خرابا، أو: أخربها بأيدينا» فنهاه الإمام الصادق عليه السلام؛ لإمكان أن تكون منازل للمؤمنين، قائلا: «أما سمعت الله تعالى يقول:

وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ^{٦٣٢}»^{٦٣٣}.

و حديثه عليه السلام فى تشبيه المهدي بنى الله موسى عليهما السلام، قال: «أما مولد موسى عليه السلام فإنّ فرعون لما وقف على أنّ زوال ملكه على يده، أمر بإحضار الكهنة، فدلّوا على نسبه و أنّه يكون من بنى إسرائيل، فلم يزل يأمر أصحابه بشقّ بطون الحوامل من نساء بنى إسرائيل حتّى قتل فى طلبه نيفا و عشرين ألف مولود، و تعذّر عليه الوصول إلى قتل موسى عليه السلام بحفظ الله تعالى إياه.

^{٦٢٧} (١) سورة إبراهيم: ١٤ / ٤٦.

^{٦٢٨} (٢) أمالى الشيخ الطوسى: ٦٦٧ / ١٣٩٨ (٥) المجلس رقم / ٣٦.

^{٦٢٩} (٣) تفسير العياشى ٢: ٤٢٠ / ٤٨ فى تفسير سورة إبراهيم.

^{٦٣٠} (٤) سورة الأنعام: ٤٤ / ٦.

^{٦٣١} (٥) تفسير العياشى ٢: ٩٨ / ٢٤ فى تفسير سورة الأنعام.

^{٦٣٢} (١) سورة إبراهيم: ١٤ / ٤٥.

^{٦٣٣} (٢) تفسير العياشى ٢: ٤٢٠ / ٤٧ فى تفسير سورة إبراهيم.

كذلك بنو أمية و بنو العباس لما أن وقفوا على أن زوال مملكة الأمراء و الجبابرة منهم على يدي القائم منا، ناصبونا للعداوة، و وضعوا سيوفهم في قتل أهل بيت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و إبادة نسله طمعا منهم في الوصول إلى قتل القائم عليه السلام، فأبى الله أن يكشف أمره لواحد من الظلمة إلا أن يتم نوره و لو كره المشركون»^{٦٣٤}.

كما أن الإمام الباقر عليه السلام قد أنبأ عن دولة العباسيين قبل نشأتها و وصف سيرة ملوكها بقوله عليه السلام: «خبثت سيرتهم»^{٦٣٥}.

ص: ٢٧٢

و وصفهم الإمام الكاظم عليه السلام بالطواغيت و أولياء الظلمة؛ إذ قال لعلي بن يقطين - الذي كان وزيرا للمهدي العباسي، و بعده للهادي، و أخيرا لهارون^{٦٣٦} -: «إن لله مع كل طاغية وزيرا من أوليائه، يدفع به عنهم»^{٦٣٧}.

و قال علي بن يقطين للإمام الكاظم عليه السلام لما قدم إلى العراق: «أما ترى حالي و ما أنا فيه؟ فقال عليه السلام: يا علي إن لله تعالى أولياء مع أولياء الظلمة، ليدفع بهم عن أوليائه، و أنت منهم يا علي»^{٦٣٨}.

٥- تذكير الإمام الصادق عليه السلام الأمة بهوية المهدي عليه السلام:

نعم، رفض الإمام الصادق عليه السلام القول بمهدوية العباسي، كما رفض بشدة سائر المهدويات الزائفة، مصرّحا بأن القائم المهدي عليه السلام الموعود بظهوره في آخر الزمان لا يكون إلا من أهل البيت عليهم السلام؛ و لهذا تكررت عبارة: «قائما أهل البيت» في كثير من أحاديثه الشريفة التي رواها عنه عليه السلام: أبان بن تغلب^{٦٣٩}، و إبراهيم الكرخي^{٦٤٠}، و أبو شعبة

ص: ٢٧٣

^{٦٣٤} (٣) كتاب الغيبة / الشيخ الطوسي: ١٦٩ - ١٧٠ / ١٢٩.

^{٦٣٥} (٤) تفسير العياشي ٢: ١٣٦ / ٣ في تفسير سورة الأعراف.

^{٦٣٦} (١) راجع: ذيل تاريخ بغداد / ابن النجار ١٩: ٢٠٢ / ١٠٥٤ في ترجمة علي بن يقطين (و الكتاب مطبوع مع ذبول تاريخ بغداد).

^{٦٣٧} (٢) رجال الكشي: ٤٣٥ / ٨٢٠.

^{٦٣٨} (٣) رجال الكشي: ٤٣٣ / ٨١٧.

^{٦٣٩} (٤) المحاسن ١: ١٦٩ / ٢٥٣ باب عقاب من منع الزكاة من كتاب عقاب الأعمال، و إكمال الدين ٢: ٦٧١ / ٢١ باب ٥٨، و من لا يحضره الفقيه ٢: ٦ / ١٦ باب ما جاء في مانع الزكاة، من أبواب الزكاة.

^{٦٤٠} (٥) تفسير القمي ٢: ٢٩٢ في تفسير الآية: ٢٥ من سورة الفتح، و علل الشرائع ١: ١٤٧ / ٣ باب ١٢٢.

الحلبى^{٤٤١}، وحمّاد بن عثمان^{٤٤٢}، وداود بن كثير الرقى^{٤٤٣}، والمعلّى بن خنيس^{٤٤٤}، وغيرهم^{٤٤٥}.

و منها: أحاديثه فى هوية الإمام المهدي عليهما السلام، و قد مضى أكثرها، و نشير هنا إلى واحد منها:

عن المفضل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «إنّ الله تبارك و تعالى خلق أربعة عشر نورا قبل خلق الخلق بأربعة عشر ألف عام، فهى أرواحنا. فقليل له: يا ابن رسول الله! و من الأربعة عشر؟ فقال:

محمد صلى الله عليه و آله، و على، و فاطمة، و الحسن، و الحسين عليهم السلام، و الأئمة من ولد الحسين عليهم السلام، آخرهم القائم الذى يقوم بعد غيبته، فيقتل الدجال، و يطهر الأرض من كل جور و ظلم»^{٤٤٦}.

و نكتفى بهذا القدر؛ لنرى موقف الإمام الصادق عليه السلام - و هو يخبر عن

ص: ٢٧٤

المهدي عليه السلام قبل ولادته - من الدعاوى المهدوية التى ظهرت بعد انتقاله عليه السلام إلى الرفيق الأعلى (سنة / ١٤٨ هـ).

ص: ٢٧٥

الفصل الخامس موقف الإمام الصادق عليه السلام من المهدويات الأخرى

أولاً - موقفه عليه السلام من قول الناوسية بمهدويته:

ادّعت الناوسية بعد وفاة الإمام الصادق عليه السلام أنّه «حى لم يمّت و لا يموت حتى يظهر و يلى أمر الناس و أنّه هو المهدي و سميت بذلك - يعنى الناوسية - لرئيس لهم من أهل البصرة يقال له: فلان بن فلان الناووس»^{٤٤٧} و قيل أن اسمه عجلان بن ناووس.

^{٤٤١} (١) مختصر إثبات الرجعة للفضل بن شاذان: ٢٠٦ / ٢.

^{٤٤٢} (٢) أصول الكافي ١: ٤١١ / ٤ باب سيرة الإمام فى نفسه و فى المطعم و الملبس إذا ولى الأمر.

^{٤٤٣} (٣) عيون المعجزات / الشيخ حسين بن عبد الوهاب: ٩٥ - ٩٧.

^{٤٤٤} (٤) إثبات الهداة / الحر العاملى ٧: ١٤٢ باب ٣٢، نقله من كتاب المذهب بن فهد الحلى.

^{٤٤٥} (٥) راجع: الاعتقادات للشيخ الصدوق / الشيخ المفيد ٥: ٤٨ باب الاعتقاد فى النفوس و الأرواح (مطبوع ضمن سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد، المجلد الخامس)، و

دعائم الإسلام / القاضى النعمان ١: ٢٨٤ كتاب الصوم و الاعتكاف.

^{٤٤٦} (٦) إكمال الدين ٢: ٣٣٥ - ٣٣٦ / ٧ باب ٣٣.

^{٤٤٧} (١) الفرق / النوبختي: ٧٨.

و لا داعى للإطالة فى ردّ هذه المقولة الفاسدة التى أباد الله أهلها كلمح فى البصر، فاندثرت فجأة و لم يبق لها أثر، و عادت مقولتهم مجرد حكاية فى كتب التراث لا يحفل بها أحد من البشر سوى المهرجين و المشعوذين من هنا و هناك الذين فضحوا أنفسهم بالتمسك بأمثال دعوى الناووسية و غيرها من دعاوى المهدوية الأخرى؛ لأنها كالفقشة فى مهب الريح، بحيث لو أعرضنا عن ذكرها فى هذا البحث لما ضرّه شيئا. إذ لو قيل: من أعلم الناس بحياة أبى حنيفة، و نشأته، و تربيته، و فقهه، و عقائده، و سيرته، و عطائه، و أصحابه، و وفاته، و كيفية تشييعه، و دفنه، و مكان قبره،

ص: ٢٧٤

و تجديده، و زيارته، و من هو خليفته من بعده؟

لما اختلف العقلاء فى الإجابة على أن الأحناف لا سيّما كبرائهم و وجوههم و علمائهم هم أولى الناس بمعرفة مثل هذه الأمور.

و إذا كان الأمر كذلك، و هو كذلك، فلم لا يكون الشيعة الإمامية الاثنى عشرية من أعرف الناس بأئمتهم الاثنى عشر عليهم السّلام، بل لم لا يكونون من أعرف الخلق بإمامهم الصادق عليه السّلام الذى اقترن مذهبهم باسمه الشريف، إذ عرف مذهب الإمامية الاثنى عشرية باسم المذهب الجعفرى.

أليس من المضحك حقا أن نرد على إجماع الشافعية على قول للشافعى، لإنكاره من قبل أحد مغمورى المعتزلة مثلاً؟ فكذلك الحال هنا فيما لو تمسك بعضهم بقول الناووسية و غيرهم و ترك إجماع الإمامية! و هو ما حصل فعلا من لدن بعض المشعوذين أخيراً!!!.

و إذا اتضح هذا، نقول:

كان إمامنا الصادق عليه السّلام حريصا على رسم معالم الطريق المهدوى الحقّ لا للجيل الذى عاصره فحسب، بل لأجيال الأُمّة كلها حتى يرث الله الأرض و من عليها.

و من هنا نجد موقفه الصريح من القول بمهدويته، ينطلق أولا من النصّ الصريح الواضح على إمامة ولده موسى بن جعفر الكاظم عليهما السّلام من بعده. مع نفى المهدوية عن نفسه الشريفة بكلّ قوّة و صراحة.

فقد سأله بعضهم، هل أنت الإمام المهدى، و كان الإمام الصادق عليه السّلام قد تجاوز الأربعين، فأقرع سمع السائل بالجواب قائلا: «و ليس صاحب

ص: ٢٧٧

هذا الأمر من جاز الأربعين»^{٦٤٨}.

و أصرح منه قوله عليه السّلام: «يزعمون إنى أنا المهدي، و إنى إلى أجلى أدنى إلى ما يدّعون»^{٦٤٩} و هذا الحديث يعرب عن علمه عليه السّلام بما سيقوله سفهاء الناووسية بعد وفاته؛ إذ لم نجد من زعم له ذلك فى حياته.

و سأله آخر - كما فى رواية خلّاد الصفار - قائلاً: هل ولد الإمام المهدي الذى يملأ الأرض عدلاً و قسطاً كما ملئت ظلماً و جوراً؟ فأجاب عليه السّلام بقوله: «لا، و لو أدركته لخدمته أيام حياتي»^{٦٥٠}.

و أمّا عن النصّ الوارد عن الإمام الصادق عليه السّلام فى إمامة ابنه الكاظم عليه السّلام من بعده، فهو كثير، إذ طالما أعلم الشيعة بذلك مخاطباً لهم بقوله عليه السّلام:

«الإمام من بعدى ابنى موسى»^{٦٥١}.

هذا فضلاً عن العلم اليقيني بوفاة الإمام الصادق عليه السّلام فى المدينة المنورة (سنة / ١٤٨ هـ)، و هو الأمر الذى أجمعت عليه الأئمة بأسرها، فكيف يكون بعد كلّ هذا هو المهدي الموعود به فى آخر الزمان؟.

و إذا ما أضيف إلى هذا دوره عليه السّلام فى تشخيص من هو الإمام المهدي عليه السّلام، كما مرّ مفصلاً، اتضح فساد مقولة الناووسية و غيرها من

ص: ٢٧٨

المقولات الزائفة على أحسن الوجوه و أتمّها.

ثانياً - موقفه عليه السّلام من قول الواقفية بمهدوية الإمام الكاظم عليه السّلام:

زعمت الواقفية بعد شهادة الإمام الكاظم عليه السّلام سنة (١٨٣ / هـ) فى حبس السندى بن شاهك ببغداد و بأمر قارون اللارشيد العباسي لعنه الله؛ أنه حى لم يمت و لا يموت حتى يملك شرق الأرض و غربها، و يملأها كلها عدلاً كما ملئت جوراً، و أنه القائم المهدي!.

^{٦٤٨} (١) بصائر الدرجات: ١٨٨ - ١٨٩ / ٥٦.

^{٦٤٩} (٢) البرهان فى علامات مهدي آخر الزمان / المتقى الهندي: ١٧٤ / ١٢ باب ١٢ أخرجه عن المحاملى فى أماليه.

^{٦٥٠} (٣) كتاب الغيبة / النعماني: ٢٤٥ / ٤٦ باب ١٣.

^{٦٥١} (٤) إكمال الدين ٢: ٣٣٤ / ٤ باب ٣٣، و انظر: أصول الكافي ١: ٣٠٧ - ٣١١ / ١٦ باب الإشارة و النصّ على أبي الحسن موسى عليه السّلام، من كتاب الحجّة.

و زعموا أنه خرج من الحبس - ولم يره أحد - نهرا، ولم يعلموا به، و أن السلطان و أصحابه ادّعوا موته، و موهوا على الناس و كذبوا، و أنه غاب عن الناس و اختفى!.

و قال بعضهم: إنه القائم و قد مات و لا تكون الإمامة لغيره حتى يرجع فيقوم و يظهر، و زعموا أنه رجع بعد موته إلّا أنه مختف فى موضع من المواضع، حى، يأمر و ينهى، و أن أصحابه يلقونه و يرونه!.

و قال بعضهم: إنه مات و لكن هو القائم، و سيرجع فى وقت قيامه؛ ليملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا!.

و أنكر بعضهم قتله، و قالوا: مات و رفعه الله إليه، و أنه يرده عند قيامه.

و هذه الأقوال كلها تنسب إلى الواقفية المعروفة باسم (الكلاب الممطورة)^{٦٥٢} و السبب الذى دعاهم إلى انكار وفاة الإمام الكاظم عليه السلام

ص: ٢٧٩

و القول بمهدويته، هو الطمع فيما بأيديهم من أمواله عليه السلام، قال الشيخ الطوسى رضى الله عنه: «فروى الثقات أن أول من أظهر هذا الاعتقاد: على بن أبى حمزة البطائنى، و زياد بن مروان القندى، و عثمان بن عيسى الرواسى؛ طمعوا فى الدنيا و مالوا إلى حطامها، و استمالوا قوما، فبذلوا لهم شيئا ممّا اختانوه من الأموال، نحو حمزة بن بزيع، و ابن المكارى، و كرام الخثعمى، و أمثالهم»^{٦٥٣} و قد شهد على ذلك يونس بن عبد الرحمن الفقيه الثقة المشهور فقال: «مات أبو إبراهيم - يعنى الإمام الكاظم - عليه السلام، و ليس من قوامه أحد إلّا عنده المال الكثير، و كان ذلك سبب وقفهم و جحدهم موته؛ طمعا فى الأموال.

كان عند زياد بن مروان القندى سبعون ألف دينار، و عند على بن أبى حمزة ثلاثون ألف دينار.

فلما رأيت ذلك، و تبينت الحقّ، و عرفت من أمر أبى الحسن الرضا عليه السلام ما علمت؛ تكلمت و دعوت الناس إليه، فبعثنا إلى و قالوا: ما يدعوك إلى هذا؟ إن كنت تريد المال فنحن نغنيك، و ضمنا لى عشرة الآف دينار، و قالوا لى: كفّ، فأبيت و قلت لهما: إنّنا روينّا عن الصادقين عليهما السلام أنّهم قالوا: إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه، فإن لم يفعل سلب نور الإيمان. و ما كنت لأدع الجهاد و أمر الله على كلّ حال. فناصبنا لى العداوة»^{٦٥٤}.

ص: ٢٨٠

^{٦٥٢} (١) راجع: الفرق / النوبختى: ٩٠ - ٩١.

^{٦٥٣} (١) كتاب الغيبة / الشيخ الطوسى: ٦٣ - ٦٤ / ٦٥.

^{٦٥٤} (٢) كتاب الغيبة / الشيخ الطوسى: ٦٤ / ٦٥، و علل الشرائع: ٢٣٥ / ١، و عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١١٢ / ٢.

و لما لم تكن بصدد دراسة هذه الفرقة، لذا سنهمل سائر الأدلة القاطعة في بطلان مدعياتهم، و نكتفى بموقف الإمام الصادق عليه السلام مراعاة منا لمنهج البحث العلمى مع فسخ المجال أمام صفحات مقبلة لحديث أهم، فنقول:

إن ممّا يوضح ذلك الموقف منهجه عليه السلام تجاه العقيدة المهدوية من جهة، و الإمامة من جهة أخرى؛ إذ بين - كما مرّ - من هو المهدي الحق الذي تنتظره الأمة بيانا شافيا كافيا، كما بين في أحاديث الإمامة من هم أئمة المسلمين على الحقيقة، مع بيان عددهم، و أسمائهم، و أن آخرهم المهدي عليه السلام، و له في هذا أحاديث كثيرة و فيما يأتي نموذج منها:

١- ما رواه ثقة الإسلام الكليني بسند صحيح عن عيسى بن عبد الله ابن محمد بن عمر بن أمير المؤمنين على عليه السلام، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

«قلت له: إن كان كون - و لا أرانى الله ذلك - فبمن أئتم؟ قال: فأوماً إلى ابنه موسى عليه السلام، قلت: فإن حدث بموسى حدث فبمن أئتم؟ قال: بولده ...

الحديث» ٦٥٥.

و لو كان الإمام الكاظم عليه السلام كما تزعم الواقفية هو المهدي، لنبه الإمام الصادق عليه السلام السائل على ذلك، لا أن يأمره بالإلتزام بعد موسى بولده الإمام الرضا عليهما السلام.

٢- و أخرج الصدوق عن إبراهيم الكرخي قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام و إنى لجالس عنده إذ دخل أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام و هو غلام، فقامت إليه، فقبلته و جلست، فقال أبو عبد الله عليه السلام:

ص: ٢٨١

يا إبراهيم أما أنه صاحبك بعدى، أما ليهلكن فيه أقوام و يسعد آخرون، فلعن الله قاتله، و ضاعف على روحه العذاب، أما ليخرجن الله من صلبه خير أهل الأرض فى زمانه، سمي جدّه، و وارث علمه، و أحكامه، و فضائله، معدن الإمامة، و رأس الحكمة» ٦٥٦.

و هذا الحديث صريح بهلاك الواقفية، و فساد مقولتهم، إذ تضمن الإخبار عن ثلاثة أشياء كلها فى الردّ على مقولتهم.

الأول: الإشارة إلى الواقفية انفسهم بقوله: (ليهلكن فيه أقوام)؛ إذ ادّعوا حياته بعد وفاته و أنكروا إمامة الرضا عليه السلام.

الثانى: الإخبار بشهادته قتلا فى سبيل الله مع لعن قاتله، و هو هارون اللارشيدي لعنه الله تعالى.

٦٥٥ (١) أصول الكافي ١: ٣٠٩ / ٧ باب الإشارة و النص على أبي الحسن موسى عليه السلام، من كتاب الحجّة.

٦٥٦ (١) إكمال الدين ١: ٣٣٤ / ٥ باب ٣٣.

الثالث: إن المهدي الموعود ليس هو الإمام الكاظم عليه السلام، وإنما هو من صلبه.

٣- وفي حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «يظهر صاحبنا وهو من صلب هذا، وأوماً بيده إلى ولده موسى عليه السلام فيملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، و تصفوا له الدنيا»^{٦٥٧}.

و هذا صريح بعدم مهدوية الإمام الكاظم عليه السلام، وإن المهدي الموعود من ولده عليهم السلام.

٤- و سئل الإمام الصادق عليه السلام كما في حديث عبد الله بن أبي يعفور:

ص: ٢٨٢

«يا ابن رسول الله فمن المهدي من ولدك؟ قال عليه السلام: الخامس من ولد السابع يغيب عنكم شخصه ... الحديث»^{٦٥٨}.

و في هذا الحديث تعريض بالواقفية التي ادّعت مهدوية الإمام السابع من الأئمة الاثني عشر عليهم السلام و هو الإمام الكاظم عليه السلام، في حين أنه الخامس من ولد السابع، أي الإمام الحجة بن الحسن العسكري عليهما السلام.

ثالثاً: دوره عليه السلام في تشخيص المهدويات الباطلة كلّها:

ليس من العسير على الأمة أن تدرك زيف دعاوى المهدوية الباطلة، لا سيما إذا كان الموصوف بها من غير ولد الزهراء البتول عليها السلام، لعلم الأمة بأن المهدي الموعود بظهوره في آخر الزمان لا بدّ وأن يكون - على طبق ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وآله - من ولد فاطمة عليها السلام.

و أما لو ادّعت المهدوية لواحد منهم، كالإمام الصادق عليه السلام كما في قول الناوويسة، و الكاظم عليه السلام في قول الواقفية، فالأمر مختلف هنا؛ لأنّ من لا يؤمن بالنصّ قد ينخدع بتلك الدعاوى، كما رأينا انخداع فقهاء العامة بدعوى مهدوية (النفس الزكية) لأنّه من ولد فاطمة عليها السلام إذ جدّه لأبيه الإمام الحسن السبط عليه السلام، هذا من جهة.

و من جهة أخرى فإنّ القواعد الشيعية لم تكن كلّها عالمة بالمنصوص عليهم و إن كانت متيقنة من وجود النصّ، إذ ليس بمقدور الإمام عليه السلام إيصال صوته إلى تلك القواعد العريضة في ظلّ التطورات السياسية السريعة التي

ص: ٢٨٣

كانت تجري في الخطّ المعاكس لتيار أهل البيت عليهم السلام، و من هنا جاء التمسك بمبدأ التقيّة و الكتمان كما رأينا في الردّ على مهدوية المهدي العباسي.

^{٦٥٧} (٢) إكمال الدين ٢: ٤٧٩ - ٤٨٠ / ١ و ٥ باب ٤٤.

^{٦٥٨} (١) إكمال الدين ٢: ٣٣٣ / ١ و ١٢ باب ٣٣.

وإنما كان النصّ معروفاً عند ثقات أصحاب الأئمة عليهم السّلام و عند من أخبروا بواسطتهم، كما يظهر ذلك بوضوح من خلال متابعة النصوص الكثيرة الواصلة إلينا.

و أمّا من لم يصله من ذلك شيئاً فلا شكّ أنه عرضة للتصديق بمثل هذه الأقوال، و لهذا نرى جملة من الشيعة قد صادقت على القول بمهدوية هذا الإمام أو ذاك، حتى إذا ما تبين لها الصواب تراجعت بسرعة و التحقت بالحقّ و أهله، الأمر الذي يفسّر لنا تلاشي تلك الفرق و اندثارها بسرعة بعد نشأتها. في حين نرى الكثرة الكاثرة تقف - و بكل صلابة - موقف الرفض العنيد حيال تلك المهدويات، مصرحة بوجود النصّ بالإمامة و المهدوية على شخص مسمّى بعينه.

و لا شكّ أن الإمام الصادق عليه السّلام كان يدرك هذا كلّ، و من هنا أراد عليه السّلام تنبيه الأئمة كلّها على معرفة صدق دعوى هذه المهدوية أو تلك من كذبها، و ذلك من خلال تأكيد بعض الحقائق الإسلامية التي لا صلة لها بالنصّ، و لكنها بذات الوقت ضوابط شرعية دقيقة لمعرفة الحقيقة المهدوية، و هذا الأسلوب كفيل بأن يجعله في مأمن من مراقبة السلطة و ملاحقتها مع تحقيق الغرض المطلوب، بخلاف ما لو نادى بالنصّ على كلّ من هبّ و دبّ.

و من تلك الحقائق الإسلامية: علائم ظهور الإمام المهدي عليه السّلام

ص: ٢٨٤

و أوصاف دولته الكريمة، و حال الإسلام في زمان ظهوره.

و إذا كانت قيادة تلك الدعاوى و قواعدها قد نسيت أو تناست تلك الحقائق بإشاعة دعاوى المهدوية الباطلة، فما على الإمام إلّا أن ينبّه على مثل ذلك الغلط الفاحش؛ لأنّ تصدى الشريعة إلى بيان تلك الأمور ليس اعتباطاً، و إنما عن حكمة بالغة، و إذا ما عرفها المسلمون فلا شكّ أنهم سيكونون في مأمن من الإنزلاق وراء كل مهدوية باطلة في التاريخ.

و من هنا رأى الإمام الصادق عليه السّلام - و هو يعيش في خضم هذه المسألة - أنّ يعيد للذاكرة الإسلامية ما أغفلته من علائم ظهور الإمام المهدي عليه السّلام؛ مضيفاً إليها شيئاً من صفات دولته الكريمة و حال الإسلام يومئذ، بحيث لا يمكن لأحد رؤية شيء منها في زمان آية مهدوية باطلة لا أصل لها و لا رصيد.

و لما كانت علائم ظهور الإمام المهدي عليه السّلام و صفات دولته الشريفة كثيرة جداً في أحاديث الإمام الصادق عليه السّلام، لذا سنكتفي منها بالإشارة إلى المحتمّ من تلك العلامات، مع الاختصار على أهم تلك الصفات، و ذلك في ثلاثة عناوين، كالآتي:

بيان علامات ظهور الإمام المهدي عليه السّلام:

تقع علامات الظهور في قسمين: محتوم لا بدّ من وقوعه، و غير محتوم؛ و سنكتفي بالأوّل، كدليل صحيح على سبق دعوى المهدوية لكل تلك العلامات التي لم تقع إلى الآن، و لا بدّ من وقوعها في المستقبل إن عاجلاً أو آجلاً، و فيما يأتي جملة من أحاديث الإمام الصادق عليه السّلام الناطقة بتلك العلامات:

١- عن حمران بن أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «من المحتوم الذي لا بدّ منه أن يكون قبل قيام القائم: خروج السفيناني، وخسف بالبيداء، وقتل النفس الزكية، والمنادي من السماء»^{٦٥٩}.

و نحوه ما رواه: أبو حمزة الثمالي^{٦٦٠}، ومحمد بن علي الحلبي^{٦٦١}، ومحمد ابن الصامت^{٦٦٢}؛ كلّهم، عن الإمام الصادق عليه السلام.

٢- وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «النداء من المحتوم، والسفيناني من المحتوم، واليماني من المحتوم، وقتل النفس الزكية من المحتوم، وكفّ تطلع من السماء من المحتوم. قال: و فزعة تطلع في شهر رمضان، توقظ النائم، و تفزع اليقظان، و تخرج الفتاة من خدرها»^{٦٦٣}.

و مثله ما رواه ابن أبي يعفور عن الإمام الصادق عليه السلام^{٦٦٤}.

٣- وعن عمر بن حنظلة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «خمس علامات قبل قيام القائم: الصيحة، والسفيناني، والخسف، وقتل النفس الزكية، واليماني»^{٦٦٥}.

و رواه ميمون البان، عن الإمام الصادق عليه السلام أيضا^{٦٦٦}.

^{٦٥٩} (١) كتاب الغيبة / النعماني: ٢٦٤ / ٢٦ باب ١٤.

^{٦٦٠} (٢) إكمال الدين ٢: ٦٥٦ / ١٤ باب ٥٧.

^{٦٦١} (٣) روضة الكافي ٨: ٢٥٨ / ٤٨٤.

^{٦٦٢} (٤) كتاب الغيبة / النعماني: ٢٦٢ / ٢١ باب ١٤.

^{٦٦٣} (٥) كتاب الغيبة / النعماني ٢٥٢ / ١١ باب ١٤.

^{٦٦٤} (٦) كتاب الغيبة / النعماني: ٢٥٧ - ٢٥٨ / ١٦ باب ١٤.

^{٦٦٥} (٧) روضة الكافي ٨: ٢٥٨ / ٤٨٣، و كتاب الغيبة / النعماني: ٢٥٢ / ٩ باب ١٤، و كتاب الغيبة / الشيخ الطوسي: ٤٣٦ / ٢٢٧، و دلائل الامامة / الطبري: ٢٦١.

^{٦٦٦} (١) إكمال الدين ٢: ٦٤٩ / ١ باب ٥٧، و الخصال: ٣٠٣ / ٨٢ باب ٥.

و قد روى آخرون بعض هذه العلامات و غيرها، عن الإمام الصادق عليه السلام، كما فى رواية الحسن بن زياد الصيقل^{٦٦٧}، و رواية فضيل بن محمد بن راشد البجلي^{٦٦٨}، و أبراهيم^{٦٦٩}، و الطيار^{٦٧٠}، و أبى بصير^{٦٧١}، و محمد ابن مسلم^{٦٧٢}، و أبى حمزة الثمالى^{٦٧٣}، و بكر بن محمد الأزدي^{٦٧٤}، و صالح بن ميثم التمار^{٦٧٥}، و غيرهم^{٦٧٦}.

المراد بقتل النفس الزكية كعلامة من علامات الظهور:

إنَّ قتل النفس الزكية - كعلامة من علامات ظهور الإمام المهدي عليه السلام - لا إشكال فى صحته أصلاً؛ إذ ورد فى روايات كثيرة على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله و أهل بيته الأطهار عليهم السلام، لا سيما الإمام الصادق عليه السلام، بحيث يستغنى بكثرتها عن فحص أسانيدها، فضلاً عما فيها من الصحيح،

ص: ٢٨٧

و هو كثير. و لكن المهم هنا هو أنَّ المراد بالنفس الزكية فى هذه الرواية و غيرها، ليس محمد بن عبد الله بن الحسن، و إن تلقب بهذا و اشتهر به.

و لو قيل لمحمد نفسه: هل أنت النفس الزكية المشار له فى الروايات؟

لما أجاب بغير (لا) قطعاً، و إلّا لتنازل عن دعوى المهديونية لنفسه و حكم بطلانها؛ لوضوح أنَّ النفس الزكية غير الإمام المهدي عليه السلام.

و من ثم فإنَّ النفس الزكية فى لسان جميع الروايات يقتل فى المسجد الحرام بين الركن و المقام، و فى بعضها تحديد لزمان استشهاده فى الخامس و العشرين من ذى الحجة الحرام، قبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام بخمس عشرة ليلة^{٦٧٧}، و فى بعض

^{٦٦٧} (٢) كتاب الغيبة / الشيخ الطوسى: ١٧٧ - ١٣٤.

^{٦٦٨} (٣) كتاب الغيبة / النعمانى: ٢٤٣ / ٢٣ باب ١٤.

^{٦٦٩} (٤) تأويل الآيات / الاسترآبادى ٢: ١٧ / ٥٤١.

^{٦٧٠} (٥) روضة الكافى ٨: ١٤٦ / ١٨١.

^{٦٧١} (٦) روضة الكافى ٨: ٣١٢ / ٥٧٥، و كتاب الغيبة / الشيخ الطوسى: ٤٥٨ / ٤٥٢.

^{٦٧٢} (٧) كتاب الغيبة / الشيخ الطوسى: ٤٤٩ / ٤٥٢.

^{٦٧٣} (٨) كتاب الغيبة / الشيخ الطوسى: ٤٣٥ / ٤٢٥.

^{٦٧٤} (٩) كتاب الغيبة / الشيخ الطوسى: ٤٤٦ / ٤٣٣.

^{٦٧٥} (١٠) كتاب الغيبة / الشيخ الطوسى: ٤٤٥ / ٤٤٠.

^{٦٧٦} (١١) راجع: كتاب الغيبة / الشيخ الطوسى: ٤٥٠ / ٤٥٣، و: ٤٥٤ / ٤٦١.

^{٦٧٧} (١) كتاب الغيبة / الشيخ الطوسى: ٤٤٥ / ٤٤٠.

الروايات أن اسمه محمد بن الحسن^{٦٧٨}، و أين هذا من محمد بن عبد الله الحسنى المقتول فى المدينة المنورة فى الرابع عشر من شهر رمضان المبارك سنة / ١٤٥ هـ بلا خلاف؟ فكيف يشتبه به أنه النفس الزكية واقعا إذن؟! على أنه لا مانع من توصيفه بهذا مع الالتفات إلى ما قدمناه.

و بهذا يتبين اشتباه أبى الفرج الأصبهانى بقوله فى محمد بن عبد الله الحسنى: «و كان أهل بيته يسمونه المهدي، و يقدرون أنه الذى جاءت فيه الرواية، و كان علماء آل أبى طالب يرون فيه أنه النفس الزكية، و أنه المقتول بأحجار الزيت»^{٦٧٩}.

و مورد اشتباهه فى قوله: «و كان علماء آل أبى طالب يرون فيه أنه

ص: ٢٨٨

النفس الزكية»! يشير بهذا إلى الإمام الصادق عليه السلام الذى لم ير فيه ما قال، و إنما ورد توصيفه بذلك فى روايات الشيعة جريا على المتعارف المشهور، كما هو الحال فى وصفه بالمهدي الحسنى الذى لا يعبر عن إعتقاد بمهديته.

بيان التطور العلمى فى زمان الظهور:

و لعل أروع الأدلة التى ساقها الإمام الصادق عليه السلام فى باب تأكيده على كذب جميع دعاوى المهدوية السابقة، إشاراتة عليه السلام إلى التطور العلمى الهائل، و التقنيات العلمية التى ستكون فى زمان ظهور الإمام المهدي عليه السلام، و التى كانت مفقودة فى عصره و جلّ العصور اللاحقة تماما، لدرجة كانت الإشارة لها فى ذلك الحين مدعاة للتعجب، و لو لا الاعتقاد الراسخ بصدق قائلها، لأعرض عنها المحدثون و لم يذكروا شيئا منها؛ لعدم استيعاب عقلية ذلك العصر لها و تصورها، و من هذه الإشارات:

١- عن عبد الله بن مسكان، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن المؤمن فى زمان القائم، و هو بالشرق، ليرى أخاه الذى فى المغرب، و كذا الذى فى المغرب يرى أخاه الذى فى المشرق»^{٦٨٠}.

٢- و عن أبى بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إنه إذا تناهت الأمور إلى صاحب هذا الأمر، رفع الله تبارك و تعالى له كل منخفض من الأرض، و خفض له كل مرتفع منها، حتى تكون الدنيا عنده بمنزلة راحته، فأيكّم لو كانت فى راحته شعرة لم يبصرها؟»^{٦٨١}.

ص: ٢٨٩

^{٦٧٨} (٢) كتاب الغيبة / الشيخ الطوسى: ٤٦٤ / ٤٨٠.

^{٦٧٩} (٣) مقاتل الطالبين: ٢٠٧.

^{٦٨٠} (١) بحار الأنوار / العلامة المجلسى ٥٢: ٣٩١ / ٢١٣ باب ٢٧، نقله من كتاب الغيبة للسيد على بن عبد الحميد.

^{٦٨١} (٢) إكمال الدين ٢: ٦٧٤ / ٢٩ باب ٥٨.

٣- و عن أبي الربيع الشامي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن قارئنا إذا قام مد الله عز وجل لشيئتنا في أسماعهم و أبصارهم، [لا] يكون بينهم وبين القائم يريد، يكلمهم فيسمعون، و ينظرون إليه و هو في مكانه»^{٦٨٢}.

بيان سيادة الإسلام في زمان الظهور على كل الأديان:

و هذا الدليل الذي أشار له القرآن الكريم - كما سيأتي - و صرح به الإمام الصادق عليه السلام، هو الآخر من الأدلة العظيمة على زيف دعاوى المهديّة الباطلة في التاريخ كادعاء المنصور مهديّة ابنه (المهدي العباسي)، و غيره ممن ادّعوا لأنفسهم، أو ادّعى لهم ذلك زورا و بطلانا.

و عدم تحقق هذا الدليل في سائر العصور الإسلامية أوضح من أن يحتاج إلى إثبات، في حين وعد الله تبارك و تعالى بتحقيقه، و جاءت الروايات على أنه لا يكون ذلك إلّا عند ظهور مهدي آل محمد صلى الله عليه و آله.

١- عن أبي بصير، قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله عز و جل:

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ^{٦٨٣}؛ و الله ما نزل تأويلها بعد، و لا ينزل تأويلها حتى يخرج القائم عليه السلام، فإذا خرج القائم لم يبق كافر بالله العظيم، و لا مشرك بالإمام إلّا كره خروجه، حتى أن لو كان كافر أو مشرك في بطن صخرة، لقالت: يا مؤمن في بطني كافر فاكسرنى و اقتله»^{٦٨٤}.

ص: ٢٩٠

و روى محمد بن الفضيل، عن الإمام الكاظم عليه السلام نحوه^{٦٨٥}.

٢- و عن رفاعة بن موسى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في قوله تعالى: وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً^{٦٨٦}؛ «إذا قام القائم عليه السلام لا تبقى أرض إلّا نودى فيها بشهادة أن لا إله إلّا الله، و أن محمدا رسول الله صلى الله عليه و آله»^{٦٨٧}.

و روى ابن بكير، عن الإمام الكاظم عليه السلام نحوه^{٦٨٨}.

^{٦٨٢} (١) روضة الكافي ٨: ٢٤٠ - ٢٤١ / ٣٢٩.

^{٦٨٣} (٢) سورة الصف: ٦١ / ٩.

^{٦٨٤} (٣) إكمال الدين ٢: ٦٧٠ / ١٦ باب ٥٨، و أخرجه في تأويل الآيات ٢: ٦٨٨ / بطريق آخر عن أبي بصير، عنه عليه السلام.

^{٦٨٥} (١) أصول الكافي ١: ٤٣٢ / ٩١ باب فيه نكت و نف من التنزيل في الولاية، من كتاب الحجّة.

^{٦٨٦} (٢) سورة آل عمران: ٨٣ / ٣.

^{٦٨٧} (٣) تفسير العياشي ١: ١٨٣ / ٨١.

^{٦٨٨} (٤) تفسير العياشي ١: ١٨٣ / ٨٢.

٣- و عن علي بن عقبة، عن أبيه، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «إذا قام القائم عليه السلام حكم بالعدل، و ارتفع في أيامه الجور، و آمنت به السبل، و أخرجت الأرض بركتها، و ردّ كل حق إلى أهله، و لم يبق أهل دين حتى يظهروا الإسلام، و يعترفوا بالإيمان ..»^{٦٨٩}.

٤- و عن زرارة، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «سئل أبي عن قول الله تعالى: **وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً** ...^{٦٩٠}، فقال:

أنه لم يجيء تأويل هذه الآية، و لو قد قام قائمنا بعد، سيرى من يدركه ما يكون من تأويل هذه الآية، و ليبلغن دين محمد صلى الله عليه و آله ما بلغ الليل حتى

ص: ٢٩١

لا يكون شرك على وجه الأرض كما قال الله تعالى: **يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا**^{٦٩١}»^{٦٩٢}.

٥- و عن محمد بن حمران، عن الإمام الصادق عليه السلام. و كذلك: محمد بن مسلم، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «إن القائم منا، منصور بالرعب، مؤيد بالنصر، تطوى له الأرض، و تظهر له الكنوز كلها، و يظهر الله به دينه على الدين كله و لو كره المشركون،- ثم ذكرا عليهما السلام جملة من علامات الظهور و قالوا:- فعند ذلك خروج قائمنا»^{٦٩٣}.

٦- و سأل المفضل بن عمر الإمام الصادق عليه السلام عن قول الله تعالى:

لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ^{٦٩٤} قائلا: ما كان رسول الله صلى الله عليه و آله ظهر على الدين؟

فقال عليه السلام: «يا مفضل! لو كان صلى الله عليه و آله ظهر على الدين كله ما كان مجوسية، و لا نصرانية، و لا يهودية، و لا صابئة، و لا فرقة، و لا خلاف، و لا شك، و لا شرك، و لا عبدة أصنام، و لا أوثان، و لا اللات، و لا العزى، و لا عبدة الشمس، و لا عبدة القمر، و لا النجوم، و لا النار، و لا الحجارة.

و إنما قوله: **لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ** في هذا اليوم و هذا المهدى و هذه الرجعة، و هو قوله: **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ**

^{٦٨٩} (٥) الإرشاد: ٣٨٤-٣٨٥، و كشف الغمة ٣: ٢٥٥.

^{٦٩٠} (٦) سورة التوبة: ٣٦/٩.

^{٦٩١} (١) سورة التور: ٥٥/٢٤.

^{٦٩٢} (٢) مجمع البيان / الطبرسي ٢: ٥٤٣، و تفسير العياشي ٢: ٥٦/٤٨.

^{٦٩٣} (٣) اثبات الهداة / الحر العاملي ٣: ٥٧٠/٦٨٦ باب ٣٢ فصل ٤٤، نقله من كتاب اثبات الرجعة للمفضل بن شاذان.

^{٦٩٤} (٤) سورة التوبة: ٣٣/٩.

ص: ٢٩٢

لله ٦٩٥» ٦٩٦.

و من الواضح أن الدين الإسلامي في زمان تلك الدعاوى العريضة في التاريخ لم يتمكن من الظهور على عاصمة الدولة الإسلامية؛ لفساد (الخلفاء) أنفسهم، و فسقهم، و شربهم الخمر علنا.

ص: ٢٩٣

الفصل السادس دور الإمام الصادق عليه السلام في ردّ الشبهات الأخرى

ذكرنا في بداية دور الإمام الصادق عليه السلام في ردّ الشبهات، أنه كان يتعمّد أحيانا إلى إثارة ما سيقوله الناس بعد ولادة الإمام المهدي عليه السلام و غيبته من شبهات، ثمّ يتعرّض بذات الوقت إلى إجابتها، و غالبا ما تكون إجابته عليه السلام ببيان نظير الحالة المشتبه بها من القرآن الكريم.

صحيح أن الإمام الصادق عليه السلام لم يكن بحاجة إلى إثارة مثل هذه الأمور، خصوصا و أنها لم تحصل في زمانه، و الذي دفعه إلى ذلك، حرصه على مستقبل هذه العقيدة، و على خط الإيمان الثابت بها، و زرع الثقة العالية في النفوس من خلال الوقوف على إجابة تلك الأقوال قبل نشأتها.

و من هنا كان دوره عليه السلام في ردّ تلك الشبهات سابقا لزمانه بعشرات السنين، و في هذا السياق سنقتبس عنوان الشبهة و جوابها معا من كلام الإمام الصادق عليه السلام سواء كان في حديث أو مقطع من حديث، مع التذكير بثلاثة أمور:

أحدها: إن الإمام الصادق عليه السلام لم يكن بصدد مناقشة تلك الشبهات، إذ لا يعرف لها قائل بزمانه، و إنما كان عليه السلام بصدد ما سيقال مستقبلا،

ص: ٢٩٤

و تزييفه قبل حصوله على أرض الواقع؛ لكي تعي الأمة - من جهة - صدق كل ما أخبر به أهل البيت عليهم السلام بشأن ولدهم المهدي عليه السلام، مع تنبيه القواعد الشيعية اللاحقة على سخافة تلك الشبهات تجاه عقيدتهم في المهدي عليه السلام من جهة أخرى.

٦٩٥ (١) سورة الأنفال: ٨ / ٣٩.

٦٩٦ (٢) الهداية الكبرى / الخصيبي: ٧٤ - ٨٢، و مختصر بصائر الدرجات لسعد بن عبد الله التقي / اختصره الشيخ حسن بن سليمان الحلي: ١٧٨ - ١٧٩.

و الآخر: اشتراك أهل البيت عليهم السّلام جميعا فى التنبيه على ما سيكون بعد ولادة الإمام المهدي عليه السّلام من أحداث و أقوال و شبهات، و من هنا لا تكاد تجد- فى الوقت الراهن- مناقشة أية شبهة بهذا الخصوص لم تعتمد على ما ورد فى ردّها من قبل أهل البيت عليهم السّلام، إلّا نادرا.

و الثالث: إن قوّة ما وصل إلينا من أدلّة و براهين على صدق عقيدتنا بالإمام المهدي عليه السّلام، أضحت كقوّة مشاهدته عليه السّلام عيانا، و عاد إنكارها كإنكار الواقع المادى المحسوس!

و لا يخفى بأن من جملة الواصل إلينا فى ذلك هو أحاديث الإمام الصادق عليه السّلام التى أخبرت عما سيقوله السفهاء فى المهدي عليه السّلام مستقبلا، و قد تحقّق إخباره على طبق ما أخبر به عليه السّلام، ترى فكيف يصدّق العاقل بقول السفهاء، و يعرض عن قول الصادق المؤتمن؟! الأمر الذى يبرّر لنا اختصار الكلام فى تلك الشبهات ما أمكن كالاتى:

أولا- شبهة طول العمر:

و جوابها فى قول الإمام الصادق عليه السّلام:

١- إن فى الإمام المهدي عليه السّلام: «سنة من نوح و هو طول عمره»^{٦٩٧}.

ص: ٢٩٥

٢- و قوله عليه السّلام: «و الله لو بقى فى غيبته ما بقى نوح فى قومه لم يخرج من الدنيا حتى يظهر، فيملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا»^{٦٩٨}.

٣- و قوله عليه السّلام: «.. يمدّ الله لصاحب هذا الأمر كما مدّ لنوح عليه السّلام فى العمر»^{٦٩٩}.

٤- و قوله عليه السّلام: «.. نظرت فى كتاب الجفر صبيحة هذا اليوم .. و تأولت فيه مولد قائمنا و غيبته، و ابطاءه، و طول عمره، و بلوى المؤمنين فى ذلك الزمان، و تولّد الشكوك فى قلوبهم من طول غيبته»^{٧٠٠}.

٥- و قوله عليه السّلام: «و ما ينكرون لصاحب هذا الأمر؟ فان لصاحب الزمان شبها من موسى و رجوعه من غيبته بشرخ الشباب»^{٧٠١}.

^{٦٩٧} (١) الخرائج و الجرائح ٢: ٩٣٦ باب ١٧.

^{٦٩٨} (١) إكمال الدين ٢: ٣٤٢ / ٢٣ باب ٣٣.

^{٦٩٩} (٢) كتاب الغيبة / الشيخ الطوسى: ٤٢١ / ٤٠٠.

^{٧٠٠} (٣) إكمال الدين ٢: ٣٥٢ - ٣٥٧ / ٥٠ باب ٣٣.

^{٧٠١} (٤) منتخب الأنوار المضيئة: ١٨٨ فصل ١٢، و صححه.

٦- و قوله عليه السّلام: «لو قد قام قائمنا لأنكره الناس - يعنى: معظمهم - لأنه يرجع إليهم شابا، موقفا، لا يثبت عليه إلّا من قد أخذ الله ميثاقه فى الذرّ الأوّل»^{٧٠٢}.

لأنهم يحسبون أنه عليه السّلام لو بقى حيا فى تلك الفترة الطويلة لكان شيخا هرما كبيرا، و يؤيد هذا.

ص: ٢٩٤

٧- قوله عليه السّلام: «و إن أعظم البليّة أن يخرج إليهم صاحبهم شابا و هم يحسبونه شيخا كبيرا»^{٧٠٣} أى: من طول العمر.

٨- و قوله عليه السّلام فى بيان وجه الشبه بين الإمام المهدي و نبيّ الله نوح و الخضر عليهم السّلام:

«و أما إبطاء نوح عليه السّلام فإنّه لما استنزل العقوبة (من السماء) بعث الله إليه جبرئيل عليه السّلام معه سبع نويات فقال: يا نبيّ الله إنّ الله جلّ اسمه يقول لك: إنّ هؤلاء خلائقي و عبادى لست أبيدهم بصاعقة من صواعقى إلّا بعد تأكيد الدعوة، و إلزام الحجّة، فعاود إجتهادك فى الدعوة لقومك فإنّى ميثيبيك عليه، و اغرس هذا النوى، فإنّ لك فى نباتها و بلوغها و إدراكها إذا أثمرت الفرج و الخلاص، و بشرّ بذلك من تبعك من المؤمنين.

فلما نبتت الأشجار و تأزّرت و تسوّقت و أغصنت وزها الثمر عليها بعد زمان طويل استنجز من الله العدة فأمره الله تعالى أن يغرس من نوى تلك الأشجار، و يعاود الصبر و الاجتهاد، و يؤكّد الحجّة على قومه، فأخبر بذلك الطوائف الّتى آمنت به فارتدّ منهم ثلاثمائة رجل و قالوا: لو كان ما يدّعيه نوح حقّا لما وقع فى عدته خلف.

ثمّ إنّ الله تعالى لم يزل يأمره عند إدراكها كلّ مرّة أن يغرس تارة بعد أخرى إلى أن غرسها سبع مرّات، و ما زالت تلك الطوائف من المؤمنين ترتدّ منهم طائفة بعد طائفة إلى أن عادوا إلى نيّف و سبعين رجلا،

ص: ٢٩٧

فأوحى الله عزّ و جلّ عند ذلك إليه و قال: الآن أسفر الصبح عن الليل لعينك حين صرّح الحقّ عن محضه و صفا الأمر للإيمان من الكدر بارتداد كلّ من كانت طبيئته خبيثة ... و كذلك القائم عليه السّلام فإنّه تمتدّ غيبته ليصرّح الحقّ عن محضه، و يصفو الإيمان من الكدر بارتداد كلّ من كانت طبيئته خبيثة من الشيعة الّذين يخشى عليهم النفاق إذا أحسّوا بالاستخلاف و التمكين و الأمن المنتشر فى عهد القائم عليه السّلام ... و أمّا العبد الصالح - أعنى الخضر عليه السّلام - فإنّ الله تعالى ما طولّ عمره لنبوّة قرّرها له و لا لكتاب نزلّ عليه، و لا لشرّعة ينسخ بها شرّعة من كان قبله من الأنبياء عليهم السّلام، و لا لإمامة يلزم عباده الاقتداء بها، و لا لطاعة يفرضها، بلى إنّ الله تعالى لما كان فى سابق علمه أن يقدر من عمر القائم عليه السّلام فى أيّام غيبته ما

^{٧٠٢} (٥) كتاب الغيبة / النعماني: ١٨٨ / ٤٣ باب ١٠، و: ٢١١ / ٢٠ باب ١٢.

^{٧٠٣} (١) كتاب الغيبة / النعماني: ١٨٩ / ذيل ح ٤٣ باب ١٠.

يقدره، و علم ما يكون من إنكار عبادته بمقدار ذلك العمر في الطول، طول عمر العبد الصالح من غير سبب أوجب ذلك إلّا لعلّة الاستدلال به على عمر القائم عليه السّلام، ليقطع بذلك حجّة المعاندين لأنّنا يكون للناس على الله حجّة»^{٧٠٤}.

ثانياً- شبهة القول بعدم الولادة، أو الوفاة بعد حصولها:

و أساس هذه الشبهة ما ذكره النوبختي و الأشعري و الشيخ المفيد و غيرهم من وجود بعض الإختلاف بين الناس بعد وفاة الإمام العسكري عليه السّلام فمنهم من قال إن الإمام العسكري عليه السّلام مات بلا عقب، و منهم من قال مات

ص: ٢٩٨

بعد ولادته، و منهم من قال ولد قبل وفاة أبيه بسنتين، و الجواب:

١- قال الإمام الصادق عليه السّلام: «أما و الله ليغيبن إمامكم سنين من دهركم، و لتمحصنّ حتى يقال: مات، أو هلك، بأى واد سلك»^{٧٠٥}.

٢- و فى الصحيح عنه عليه السّلام قوله لزراعة فى الإمام المهدي عليه السّلام: «يا زارة و هو الذى يشكّك فى ولادته، فمنهم من يقول: مات أبوه بلا خلف، و منهم من يقول: حمل، و منهم من يقول: غائب، و منهم من يقول: ولد قبل وفاة أبيه بسنتين، و هو المنتظر غير أن الله يحبّ أن يمتحن قلوب الشيعة فعند ذلك يرتاب المبطلون يا زارة»^{٧٠٦}.

٣- و قال عليه السّلام: «أما إنّّه لو قد قام، لقال الناس: أنى يكون ذلك، و قد بليت عظامه منذ كذا و كذا!!»^{٧٠٧}.

و يصب فى الجواب أيضاً أحاديث شك الناس بسبب خفاء الولادة، و أحاديث التمهيص و الاختبار و كثير غيرها مما ذكرناه فى محله من هذا البحث.

٤- و قوله عليه السّلام فى تشبيه غيبة الإمام المهدي عليه السّلام بغيبة النّبي عيسى عليه السّلام قال: «و أما غيبة عيسى عليه السّلام فإنّ اليهود و النصارى اتّفقت على أنّه قتل فكذبهم الله عزّ و جلّ بقوله: **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ**

ص: ٢٩٩

لَهُمْ^{٧٠٨}.

^{٧٠٤} (١) كتاب الغيبة / الشيخ الطوسي: ١٧٠-١٧٣ / ١٢٩، و إكمال الدين ٢: ٣٥٢ / ٥٠ باب ٣٣.

^{٧٠٥} (١) كتاب الغيبة / النعماني ٢٠٤ / ٦ باب ١٢.

^{٧٠٦} (٢) كتاب الغيبة / النعماني: ١٦٤-١٦٧ / ٦ باب ١٠ أخرجه من ثلاث طرق، عن زارة.

^{٧٠٧} (٣) كتاب الغيبة / النعماني: ١٥٥ / ١٣ و ١٤ باب ١٠.

^{٧٠٨} (١) سورة النساء: ١٥٧ / ٤.

كذلك غيبة القائم فإن الأمة ستكرها لطولها فمن قائل يقول: إنه لم يولد، و قائل يفترى بقوله: إنه ولد و مات، و قائل يكفر بقوله: إن حادى عشرنا كان عقيما، و قائل يمرق بقوله: إنه يتعدى إلى ثالث عشر فصاعدا، و قائل يعصى الله بدعواه: إن روح القائم عليه السلام ينطق فى هيكلك غيره»^{٧٠٩}.

ثالثا- شبهة حول استمرار وجوده الشريف:

و قد نبه الإمام الصادق عليه السلام على هذه الشبهة، و أكد حياة الإمام المهدي و استمرار وجوده الشريف، بقوله: «.. و ينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلّى خلفه .. و ذلك بعد غيبة طويلة»^{٧١٠}.

و هذا يتضمّن استمرار وجوده الشريف فى غيبته و إلّا كيف يصلّى عيسى عليه السلام خلفه؟

و قوله عليه السلام: فى الصحيح لحازم بن حبيب: «يا حازم إن لصاحب هذا الأمر غيبتين يظهر فى الثانية، فمن جاءك يقول أنه نفى يده من تراب قبره فلا تصدّقه»^{٧١١} و فى هذا تأكيد على استمرار وجوده الشريف فى غيبته

ص: ٣٠٠

مهما طال بها الزمان.

و هناك أحاديث أخرى صرّحت بطول الغيبة الثانية كقوله عليه السلام: «إن لصاحب هذا الأمر غيبتين: إحداها تطول حتى يقول بعضهم: مات، و بعضهم يقول: قتل، و بعضهم يقول: ذهب ..»^{٧١٢}. و غيرها من الأحاديث التى سبقت فى تأكيده عليه السلام على أن للمهدي عليه السلام غيبتين.

كما ان الأحاديث المتقدمة فى طول العمر كلّها تصبّ فى الجواب على هذه الشبهة أيضا.

رابعا- شبهة حول هوية الإمام الغائب عليه السلام:

و مفاد هذه الشبهة - كما عند بعضهم - أنه ادّعت الغيبة عند أكثر فرق الشيعة التى زعمت إمامة أئمتهم و القول بمهدويتهم و غيبتهم كالكيسانية و الناوسية و الواقفية و غيرها.

الأمر الذى أدّى - بزعمهم - إلى عدم معرفة الحقيقة فى خضم هذه المدعىات!!

^{٧٠٩} (٢) كتاب الغيبة / الشيخ الطوسى: ١٧٠ / ١٢٩، و إكمال الدين ٢: ٣٥٢ / ٥٠ باب ٣٣.

^{٧١٠} (٣) مختصر إثبات الرجعة / الفضل بن شاذان: ٢١٦ - ٢١٧ / ١٨.

^{٧١١} (٤) كتاب الغيبة / الشيخ الطوسى: ٥٤ / ٤٦.

^{٧١٢} (١) كتاب الغيبة / الشيخ النعمانى: ١٧١ - ١٧٢ / ٥ باب ١٠، و عقد الدرر / المقدسى الشافعى: ١٧٨ - ١٧٩ باب ٥.

و قد مرّ الجواب مفصلاً فى هذا الباب على سائر تلك الفرق.

و يزيد الأمر وضوحاً ما قاله الإمام الصادق عليه السلام فى تحديد هوية الإمام الغائب فى أحاديث شتى، نكتفى بالتذكير بواحد منها و هو ما قاله عليه السلام للسيد الحميرى: «إن الغيبة ستقع بالسادس من ولدى، و هو الثانى عشر من الأئمة الهداة بعد رسول الله صلى الله عليه و آله .. الحديث» و قد بين عليه السلام فيه و فى غيره

ص: ٣٠١

من هم الأئمة الإثنى عشر عليهم السلام، فراجع.

خامساً- شبهة جواز تأخير الاعتقاد بالمهدى عليه السلام إلى زمان ظهوره!

و تهدف هذه الشبهة إلى عذر العامة فى البقاء على الاعتقاد بمهدى مجهول يخلقه الله فى آخر الزمان، و إنهم لا مانع لديهم- فيما يدعون- من ترك هذا الاعتقاد، و الالتحاق بصفوف الشيعة فيما لو ظهر الإمام الحجة ابن الحسن عليه السلام فى المستقبل!!^{٧١٣}

و قبل بيان موقف الإمام الصادق عليه السلام من هذه الشبهة أود التنبيه على خمس ملاحظات و هى:

١- إن معنى الاعتقاد بمهدى مجهول فى آخر الزمان، مع احتمال رفضه فى المستقبل، يعنى فساد الدليل المثبت لهذا الاعتقاد و عدم صحته.

٢- إن شرط الاعتقاد بضرورى من الضروريات فى المنظور الإسلامى، أن يكون متواتراً، و المتواتر لا ينقلب إلى غير متواتر، و قد سبق و أن بينا دليل القول بمهدى مجهول يخلقه الله فى آخر الزمان، و أنه- بزعمهم- حسنى و اسمه محمد بن عبد الله، و هو روايتان فقط، إحداهما مجهولة، و الأخرى مرسلة، و أما الحديث الذى أشار لهذا بلفظ (اسمه اسمى و اسم أبيه اسم

ص: ٣٠٢

أبى) فهو حديث موضوع كما بيناه، فأين هذا التواتر إذن؟!

٣- إن الاعتقاد بمهدى لم يخلق بعد! إما أن يكون هو إمام الزمان، أو لا يكون، و الأول لا يعقل لخلو زماننا منه؛ إذ لم يخلق، و الثانى لا يفيد طاعته و لا نصرته و لا انتظاره.

٤- إن قاعدة عدم خلو الزمان من إمام، تعنى خرافة الاعتقاد بمهدى معدوم لم يخلق، إذ اللازم وجوده.

^{٧١٣} (١) لم أجد هذه الشبهة فى كتاب، و لكن قالها أحد رجال العامة فى كلمة له ألقاها فى مهرجان الغدير المنعقد فى مؤسسة السيد الخوئى فى لندن، أخبرنى بهذا سماحة العلامة المحقق آية الله السيد على الحسينى الميلانى (حفظه الله) الذى حضر المهرجان و غادره بعد تسويق طلبه فى التعقيب على هذه الكلمة!

٥- إن شرط الإيمان بالمهدى عليه السلام أن يكون في حياته لا بعد ظهوره كما سيأتي.

و مع فرض كون المهدى هو المجهول جدلاً، فسيكون الإيمان به فاقدا للشرط المذكور، و هو الحياة؛ لأنه معدوم لم يخلق بعد.

و مع القول بأنه الحجة ابن الحسن العسكري عليه السلام و هو الحق، فسوف لن يقبل من جاحديه اعتقادهم بخرافة لا أصل لها و لا واقع، كما لن يقبل منهم تويتهم عند ظهوره لو أدركوه عليه السلام.

و بهذا يتبين أن القول المذكور في مهرجان الغدير المنعقد في لندن، لقلقة لسان ليس له معنى.

و يدل على ما ذكرناه:

١- قول الصادق عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه و آله: طوبى لمن أدرك قائم أهل بيتي و هو معتقد به في حياته، يتولى وليه، و يتبرأ من عدوه، و يتولّى

ص: ٣٠٣

الأئمة الهادية من قبله، أولئك رفقائي، و ذوو ودي و أكرم أمّتي علىّ - و في رواية أخرى - و أكرم خلق الله علىّ»^{٧١٤}.

٢- و في حديث آخر عنه عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه و آله: «من أنكر القائم من ولدى في زمان غيبته، مات ميتة جاهلية»^{٧١٥}.

٣- و عن هشام بن سالم، عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه و آله في حديث في شمائل و أوصاف و سيرة المهدى عليه السلام جاء فيه:

«.. و من أنكره في غيبته فقد أنكرني»^{٧١٦}.

٤- و في الصحيح عن علي بن رثاب، عن الإمام الصادق عليه السلام في قول الله عزّ و جلّ: **يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ**^{٧١٧}، قال عليه السلام: «و الآيات: هم الأئمة، و الآية المنتظرة:

^{٧١٤} (١) إكمال الدين ١: ٢٨٦ / ٣ ب ٢٥؛ و كتاب الغيبة / الشيخ الطوسي: ٤٥٦ / ٤٦٦.

^{٧١٥} (٢) إكمال الدين ٢: ٤١٢ - ٤١٣ / ١٢ باب ٣٩.

^{٧١٦} (٣) إكمال الدين ٢: ٤١١ / ٦ باب ٣٩.

^{٧١٧} (٤) سورة الأنعام: ١٥٨ / ٦.

القائم عليه السّلام، فيومئذ لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل قيامه بالسيف و إن آمنت بمن تقدّم من آبائه عليهم السّلام»^{٧١٨}.

و إذا ما أضيف إلى هذا أحاديث الانتظار الواردة عن الإمام الصادق عليه السّلام من قبيل قوله: «.. المنتظرين لظهوره في غيبته و المطيعين له في ظهوره أولئك أولياء الله الذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون»

ص: ٣٠٤

و غيره من الأحاديث المتقدّمة، علمنا أنّ أصحاب هذه المقولة - و هم لم يضمنوا بقاءهم على قيد الحياة إلى زمان الظهور - لم يحصدوا سوى الخسران المبين.

سادسا- شبهة جعفر الكذاب عمّ الإمام المهدي عليه السّلام:

و خلاصتها: ما ذكره علماء الشيعة الإمامية من أن أقرب الناس إلى الإمام المهدي عليه السّلام و هو جعفر بن الإمام الهادي عليه السّلام المعروف بجعفر الكذاب، قد شهد أمام القضاء العباسي بأن أخاه العسكري مات بلا عقب؛ طمعا في أمواله.

جدير بالذكر، أنه لم يرو أحد من أهل الإسلام ما قاله جعفر، إلّا الإمامية و حدهم فقط و جميع من تمسّك بهذه الشبهة قاطبة كان مصدرهم الوحيد إليها كتب الشيعة فقط، لأن من ذكرها من العامّة كافّة إنّما نقلها بالاعتماد على مثل النوبختي، أو سعد بن عبد الله القمي، أو الشيخ المفيد، أو الشيخ الطوسي، و غيرهم من متقدّمي علماء الإمامية الذين لولاهم لما عرف أحد ما فعله جعفر.

و في هذا وحده ما يكفي لدحض مقولته، و الازدراء بمن تمسّك بها، لأنّها حجّة داحضة سخيفة.

و قد أشارت أحاديث الإمام الصادق عليه السّلام المساقفة في شبهة إنكار ولادة الإمام المهدي عليه السّلام آنفا، إلى قول جعفر الكذاب هذا كما في جملة:

«و منهم من يقول مات أبوه بلا خلف».

ص: ٣٠٥

و هناك أحاديث آخر أكثر صراحة من هذا، و هي المتقدّمة في بيان ما في المهدي من شبه بالأنبياء عليهم السّلام، إذ مرّ فيها حديثه عليه السّلام بأن فيه شيئا من يوسف عليهما السّلام.

و من مقارنة ما حصل في حياتي المشبّه (المهدي عليه السّلام) و المشبّه به (يوسف عليه السّلام) يعلم وجه الشبه بين ما فعله أولاد النبي يعقوب عليه السّلام، و هم أسباط النبيين و أقرب الخلق نسبا بنبي الله و خليله إبراهيم، بأخيهم يوسف الصديق، حين

^{٧١٨} (٥) إكمال الدين: ١٨، و ٣٠ من المقدّمة أخرج من طريقين صحيحين.

كذبوا على أبيهم في أمره و جاؤا أباهم عشاءً يبيكون* قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستيق و تركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب و ما أنت بمؤمن لنا و لو كنا صادقين* و جاؤا على قميصه بدم كذب^{٧١٩}!

و بين ما فعله جعفر الكذاب، و هو أقل شأنا و دينا من أولاد يعقوب عليه السلام، لتقربه لطواغيت بنى العباس، مع فسقه و لعبه بالطنبور، و جشعه، و حبه للجاه و المال، و شربه الخمر بشهادة ابن وزير الدولة أحمد بن عبيد الله بن خاقان^{٧٢٠} كل هذا دفعه إلى ذلك الموقف الخسيس الذى هو أشبه ما يكون بموقف أولاد يعقوب عليهم السلام، و فيه شبه عظيم أيضا

ص: ٣٠٦

بموقف أبى لهب عمّ النبى صلى الله عليه و آله، حيث جحد نبوة ابن أخيه نبينا محمد صلى الله عليه و آله، و كذب رسالته، و ألّب عليه، و كان - لعنه الله - أولى من غيره بالإيمان بنبى الرحمة صلى الله عليه و آله، و التصديق برسالته، و بذل الغالى و الرخيص لأجل نصرته.

سابعاً - شبهتهم حول لفظ (القائم) و لفظ (المهدى):

و مفاد هذه الشبهة أن أكثر الأحاديث المستدل بها فى تشخيص هوية المهدى عليه السلام عند الشيعة، ورد ذكره فيها بلفظ (القائم) و لا اختصاص للإمام الثانى عشر عند الشيعة بهذا اللفظ، كما ان لفظ (المهدى) لا يدل على كون المقصود به هو الإمام الثانى عشر لوجود روايات تشير إلى وصف أئمة الشيعة بأنهم مهديون كلّهم، و إذا كان كلا اللفظين أعم من اختصاصهما به فلا مجال للاستدلال بتلك الأحاديث على مهدويته و غيبته!

و الجواب، إنه حتى لو كان لفظ (القائم) و (المهدى) لا ينصرفان عند الإطلاق إلى الإمام الثانى عشر الحجّة ابن الحسن العسكرى عليهما السلام، فهناك الكثير من القرائن التى دلّت على هذا المعنى و اقترن بها اللفظان، كذكر الغيبتين مثلا، هذا فضلا عن الأحاديث التى لا تحتاج إلى قرينة، و هى التى شخّصت من هو القائم باسمه و نسبه الشريف كما مرّ مفصلا فى بيان الإمام الصادق عليه السلام لهوية الإمام المهدى عليه السلام و لا حاجة إلى إعادتها.

و الصحيح فى المقام هو أن لفظ (القائم) قد وصف به الأئمة عليهم السلام جميعا، و لكنه لا ينصرف إلى أحد من أهل البيت عليهم السلام إلّا بقرينة حالية أو مقالية.

ص: ٣٠٧

و أما عند الإطلاق فينصرف إلى الإمام الحجّة ابن الحسن العسكرى عليهما السلام.

^{٧١٩} (١) سورة يوسف: ١٢ / ١٦ - ١٨.

^{٧٢٠} (٢) أصول الكافى ١: ٥٠٣ / ١ باب مولد أبى محمد الحسن بن على العسكرى عليه السلام، و إكمال الدين ١: ٤٠ من المقدّمة، و ٢: ٢٥ / ٤٧٥، باب ٤٣، و الارشاد

٢: ٣٢١، و الفصول العشرة فى الغيبة / الشيخ المفيد ٣: ٦١ - ٦٢ الفصل الثانى، (مطبوع ضمن سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد، المجلد الخامس) و اعلام الورى: ٣٥٧.

و كذلك الحال مع لفظ (المهدى).

و بعبارة أخرى: عند ما نستقصى الأخبار نرى أن سائر الأئمة عليهم السلام قد وصفوا بهذا الوصف مع إضافة مثل «القائم بدين الله» ونحوه، و أما «القائم» على الإطلاق فلم يطلق إلّا على الإمام الثاني عشر منهم عليهم السلام.

ثامنا- الشبهة الواردة حول سيرته عليه السلام:

وردت في أحاديث المهدي عليه السلام عند الإمامية ما هو صريح بسيرته عليه السلام عند ظهوره، و أنه يأتي بعمل جديد. و قد زعم بعضهم أن معنى هذا أن مهدي الشيعة سينسخ بسيرته الدين المحمدي!

و هذه ليست شبهة في الواقع و إنما كلام فارغ هدفه التشنيع لا أكثر و لم يتخرصه سوى الوهابية فيما أعلم، و مهما يكن الهدف فقد أجاب الإمام الصادق على هذا الافتراء قبل ولادة مؤسس الفرقة الوهابية بعدة قرون.

١- فعن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه و آله قال: «القائم من ولدي اسمه اسمي، و كنيته كنيتي، و شمائله شمالي، و سنته سنتي، يقيم الناس على ملتي و شريعتي و يدعوهم إلى كتاب ربي عزّ و جلّ..»^{٧٢١}.

٢- و عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن في صاحب هذا الأمر سننا من الأنبياء: سنة من موسى، و سنة من عيسى، و سنة من

ص: ٣٠٨

يوسف، و سنة من محمد صلوات الله عليهم- إلى أن قال- و أما سنة من محمد صلى الله عليه و آله فيهدى بهداه و يسير بسيرته»^{٧٢٢}.

و الإطالة في هذا إطالة في الواضحات، و يكفي ما ذكرناه في بيان الإمام الصادق عليه السلام لسيادة الإسلام على كل الأديان في زمان ظهور المهدي عليه السلام و على يده.

تاسعا- شبهات حول الغيبة:

و خلاصة هذه الشبهات تدور حول ثلاثة أسئلة، و هي:

^{٧٢١} (١) إكمال الدين ٢: ٤١١/٦ باب ٣٩.

^{٧٢٢} (١) إكمال الدين ٢: ٣٥٠-٣٥١/٤٦ باب ٣٣.

١- لماذا الغيبة؟

٢- وما هو وجه الحكمة فيها؟

٣- وكيف يتحقّق انتفاع الأمة من الإمام المهدي الغائب و هي لا يمكنها أن تصل إليه؟

و تدور هذه الأسئلة الثلاثة على محور واحد، و هو منافاة الغيبة - كما يزعم - للغاية من نصب الإمام، و على هذا يكون وجود الإمام و عدمه سواء!

و أصل كل هذا مبني على أن الغاية من نصب الإمام لا تتحقّق إلّا بمشاهدته لأخذ معالم الدين عنه!

و قد خفى على هؤلاء بأن الثمرة من وجود الإمام لا حصر لها بأخذ المسائل عنه، و إنّما هناك ثمرات آخر تترتّب على وجوده الشريف.

ص: ٣٠٩

و يمكن إدراكها من خلال علمنا بأن هناك جملة من الأمور المطلوبة منا شرعا لذاتها إزاء الإمام المهدي عليه السّلام، بغض النظر عن إمكانية الوصول إليه أو عدمه، و منها على سبيل المثال:

السعي الدؤوب وراء معرفة هويته الشخصية، و إلّا فلن يتحقّق ركن الإيمان بالاعتقاد بأنه إمام الزمان الذي من لا يعرفه سوف لن يغادر الدنيا إلّا بميتة جاهلية، كما نطقّت بذلك أحاديث الرسول صلّى الله عليه و آله عند الفريقين، و أكّدها الإمام الصادق عليه السّلام بأحاديث شتى كما مرّ.

و على هذا يكون نفس التصديق بوجود الإمام المهدي عليه السّلام أمراً مطلوباً لذاته بغض النظر عن مشاهدته أو لا. لا فرق بين هذا و بين وجوب التصديق بوجود النبي صلّى الله عليه و آله بالنسبة للمسلمين الذين عاشوا في عصره صلّى الله عليه و آله و لم يلتقوا به و لم يشاهدوه.

و نحن ملزمون بالتعبّد بما جاء عن النبي صلّى الله عليه و آله و أهل البيت عليهم السّلام.

و الأحاديث السابقة و كثير مثلها؛ كلها صريحة بوجوب هذا الاعتقاد.

و من ثمّ فقد ورد عن النبي صلّى الله عليه و آله و أهل البيت عليهم السّلام ما يشير إلى عدم انحصار الفائدة من وجود الإمام بالتصرّف في الأمور، و فيما يأتي جملة من الأحاديث الشريفة الدالّة على ذلك:

١- عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق، و مثل باب حطّة يحطّ الله بها الخطايا»^{٧٢٣}.

ص: ٣١٠

و هذا صريح بأن الدخول بولاية أهل البيت عليهم السّلام، و التمسكّ بحبلهم قد جعله الله طريقا لرضوانه و مغفرته، و هذا أمر عظيم أعمّ من نفع مشاهدتهم و السؤال مباشرة منهم عليهم السّلام.

٢- و عن جابر بن عبد الله، و أبي موسى الأشعري، و ابن عباس، قالوا: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: النجوم أمان لأهل السماء، و أهل بيتي أمان لأمتي، فإذا ذهبت النجوم ذهبت أهل السماء، و إذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»^{٧٢٤}.

٣- و عن أياس بن سلمة، عن أبيه، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: النجوم أمان لأهل السماء، و أهل بيتي أمان لأمتي»^{٧٢٥}.

٤- و عن سليمان بن مهران الأعمش، عن الإمام الصادق، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين عليهم السّلام، قال: «نحن أئمة المسلمين و حجج الله على العالمين، و سادة المؤمنين، و قادة الغرّ المحجلّين، و موالى المؤمنين، و نحن أمان أهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، و نحن الذين بنا يمسك الله السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه، و بنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها، و بنا ينزل الغيث، و بنا ينشر الرحمة، و يخرج بركات الأرض، و لو لا ما فى الأرض منا لساخت بأهلها، و لم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة لله فيها، ظاهر مشهور أو غائب مستور، و لا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة لله

ص: ٣١١

فيها، و لو لا ذلك لم يعبد الله.

قال سليمان: فقلت للصادق عليه السّلام: فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟

قال عليه السّلام: كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السّحاب»^{٧٢٦}.

^{٧٢٣} (١) أمالي الشيخ الطوسي: ٧٣٣ / ١١٥٣٢ (٢) مجلس رقم / ٤٥.

^{٧٢٤} (١) أمالي الشيخ الطوسي: ٣٧٩ / ٨١٢ (٢) مجلس رقم / ١٣.

^{٧٢٥} (٢) أمالي الشيخ الطوسي: ٢٥٩ / ٤٧٠ (٨) مجلس رقم / ١٠، و المعجم الكبير / الطبراني ٧: ٢٢ / ٦٢٢٠.

^{٧٢٦} (١) أمالي الشيخ الصدوق: ٢٥٢ - ٢٥٣ / ٢٧٧ (١٥) مجلس رقم / ٣٤، و إكمال الدين ١: ٢٠٧ / ٢٢ باب ٢١، و راجع ما تقدم فى بيان الإمام الصادق عليه السّلام لكيفية الانتفاع بالحجة الغائب: ص ١٠٢ من هذا البحث.

٥- و عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «.. ونحن الذين بنا تنزل الرحمة، و بنا تسقون الغيث، و نحن الذين بنا يصرف الله عزّ و جلّ عنكم العذاب، فمن أبصرنا، و عرف حقنا، و أخذ بأمرنا فهو مناّ و إلينا»^{٧٢٧}.

٦- و قال الإمام الصادق عليه السلام: «.. كان أمير المؤمنين عليه السلام صلوات الله عليه باب الله الذي لا يؤتى إلّا منه، و سبيله الذي من سلك بغيره هلك، و بذلك جرت الأئمة عليهم السلام واحدا بعد واحد، جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بهم، و الحجّة البالغة على من فوق الأرض و من تحت الثرى»^{٧٢٨}.

و كل هذا يدلّ بما لا يقبل الشكّ على أن نفس وجودهم عليهم السلام تترتب عليه فوائد أعظم من فائدة مشاهدتهم و الوصول إليهم؛ لأنّ في هذا

ص: ٣١٢

الوجود ضمان لبقاء العالم «فإذا ذهب أهل بيتي، ذهب أهل الأرض».

و يؤكّد هذا المعنى قول الإمام الصادق عليه السلام: «لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت»^{٧٢٩}، و غيره من الأحاديث الأخرى التي تقدّمت في القاعدة الرابعة من قواعد الفصل الأول من الباب الأول.

و لهذا قرب الإمام الصادق عليه السلام صورة الانتفاع بالإمام الغائب عليه السلام بمثال الشمس و هو مثال محسوس لا ينكر صحته أحد، و قد مرّ في حديث الأعمش، عنه عليه السلام.

هذا زيادة على وجود منافع آخر مترتبة على وجود الإمام عليه السلام لها ارتباط مباشر بحياة الناس جميعا، كعدم المؤاخذة بالعقاب العاجل، و قد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة مبينا أهمية الحجّة و هي في زمان نزول القرآن منحصرة برسول الله صلى الله عليه و آله، و بعده بأهل بيته عليهم السلام، قال تعالى: **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**^{٧٣٠}، فجعل سبحانه وجود النبي صلى الله عليه و آله سببا في تأجيل عقاب المستحقين للعقوبة، فكذلك الحال في وجود الإمام المهدي عليه السلام.

^{٧٢٧} (٢) أمالي الشيخ الطوسي: ٦٥٤ / ١٣٥٤ (٤) مجلس رقم / ٣٤.

^{٧٢٨} (٣) أصول الكافي: ١ / ١٩٧ باب إن الأئمة هم أركان الأرض، من كتاب الحجّة، و أمالي الشيخ الطوسي: ٢٠٥ - ٢٠٦ / ٣٥٢ (٢) مجلس رقم ٨. و إكمال الدين: ١.

٢٠٥ - ٢٠٦ / ٢٠ باب ٢١، و بصائر الدرجات: ٨٢ - ٨٣ / ١٠ باب ٣، و فرائد السمطين / الجويني الشافعي ٢: ٢٥٣ - ٢٥٤ / ٥٢٣ باب ٤٨.

^{٧٢٩} (١) كتاب الغيبة / الشيخ الطوسي: ٢٢٠ / ١٨٢.

^{٧٣٠} (٢) سورة الأنفال: ٨ / ٣٣.

و ثمة شيء آخر وهو ما يثار بين فترة وأخرى و خلاصته: إن الإمامية تقول بعدم الفرق بين الرسول صلى الله عليه وآله و الأئمة عليهم السلام إلّا من جهة الوحي؛ لأن الغرض من وجود النبي صلى الله عليه وآله هو نفسه في وجود الإمام، و إن النبي قد تعرّض لأجل تبليغ الأحكام إلى ما تعرّض بخلاف الإمام المهدي عند

ص: ٣١٣

الشيعة الذي لم يتصدّ لكل ذلك، و إنّما غاب منذ نعومة أظفاره و لم يزل!

و الجواب نقضاً و حلّاً:

أما النقض: فإن النبي صلى الله عليه وآله قد أخفى دعوته عن عامة الناس إلّا الأقرب فالأقرب، و لم يجاهر بها لمدة ثلاث سنين^{٧٣١}، و هذا لا ينكره إلّا مكابر، و هو في كلتا الحالتين نبي مرسل.

و أما الحل: فإن هذا قياس مع الفارق؛ لأن الرسول صلى الله عليه وآله مؤسس للدين فيجب عليه التبليغ و الدعوة إلى نفسه ابتداء بخلاف الإمام؛ إذ لا يجب عليه تبليغ الأحكام و لا الدعوة لنفسه، لأنّ الحجّة تمّت على الناس بدعوة الرسول صلى الله عليه وآله إليه، فالواجب على الناس إذن أن يذهبوا إلى الإمام و يتفحصوا عن معرفته و أخذ الأحكام منه.

ففى الصحيح، عن هشام بن سالم قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: **فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا**

ص: ٣١٤

تَعْلَمُونَ^{٧٣٢}، من هم؟ قال عليه السلام: نحن، قال، قلت: علينا أن نسألكم؟

قال: نعم، قال، قلت: عليكم أن تجيبونا؟ قال: ذلك إلينا»^{٧٣٣}.

و فى الصحيح، عن زرارة، عن أبى عبد الله عليه السلام، مثله^{٧٣٤}.

^{٧٣١} (١) راجع: السيرة النبوية / ابن هشام ١: ٢٨٠، و السيرة النبوية / ابن كثير ١:

٤٢٧، و السيرة الحلبية / ابن برهان الحلبى ١: ٢٨٣، و السيرة النبوية / دحلان ١: ٢٨٢ (مطبوع بهامش السيرة الحلبية)، و تاريخ الطبرى ١: ٥٤١، و الكامل فى التاريخ / ابن الأثير ٢: ٦٠، و البداية و النهاية / ابن كثير ٣: ٣٧، و تاريخ الخميس / الديار بكرى ١: ٢٨٧ تحت عنوان: (ذكر ما وقع فى السنة الثانية و الثالثة من إخفاء الدعوة). و راجع أيضاً: سائر كتب التفسير فى تفسيرها لسورة الحجر الآية ٩٤ من قوله تعالى: **إِذَا فَاصَّدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ** E. و كذلك الآية ٢١٤ من سورة الشعراء، من قوله تعالى: **وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** E.

^{٧٣٢} (١) سورة النحل: ١٦ / ٤٣، و سورة الأنبياء: ٢١ / ٧.

^{٧٣٣} (٢) بصائر الدرجات: ٥٩ / ٤ باب ١٩.

^{٧٣٤} (٣) بصائر الدرجات: ٥٩ / ٧ باب ١٩.

و أما لو تخلّت الناس عن هذا الواجب، و بقى الإمام وحده، يخاف عدوه، و يخشى فتكه، فما المانع من تدخل الله عزّ و جلّ في غيبته، باعتبارها السبب الأصلح الذى يحفظ الهدف الأسمى من وجوده؟

و بهذا نكون قد فرغنا من الإجابة - على آخر الشبهات المنارة حول العقيدة المهدوية الحقّة، و بها تمّ البحث، و قد وافق الفراغ منه يوم السبت الخامس و العشرين من شهر شوال ١٤٢٤ هـ، ذكرى شهادة الإمام الصادق عليه السّلام.

و الحمد لله أولا و آخرا

و صلّى الله على نبينا محمّد أشرف الأنبياء و المرسلين

و على آله الغرّ الهداة الأطهار الميامين

ص: ٣١٥

الخلاصة

اكتسبت غيبة الإمام المهدي عليه السّلام أهمية خاصة باعتبارها واحدة من أمّهات المسائل الكبرى في تاريخ الفكر الشيعي؛ لارتباطها العضوى بعقيدة النصّ و التعيين من جهة، و اتّصالها الوثيق بحياتنا المعاصرة من جهة أخرى، فضلا عما تركته من مسائل تعبدية محضة تقوم على أساس فكرة الانتظار، مما انعكس هذا بطبيعته على سلوك المنتظر و تصرّفه، و أطراد هذا على مجمل علاقاته بالفرد و المجتمع و الدولة.

و لثراء مفهوم الغيبة بحيث طفق على لسان الشريعة بشكل واضح، حتى كتبت مصنّفات كثيرة في الغيبة قبل أوانها. صار استجلاء عمقها، و بيان أصالتها مفروضا في بحث كهذا، الأمر الذى أدّى إلى رصد المنهج الذى استخدمه الإمام الصادق عليه السّلام في موضوع الغيبة قبل حدوثها على أرض الواقع، و ما سبق ذلك من محاولة إعادة تشكيل وعى الأمّة من جديد، و تعبئة أكبر ما يمكن من طاقات أفرادها للنهوض بمهمّة التغيير الكبرى، على أثر ما حصل في ظلّ الدولتين (الأموية، و العباسية) من انحراف خطير، كان من جملته بروز دعاوى المهدوية الباطلة التى أدركها الإمام الصادق عليه السّلام و عاصر بعضها.

و من هنا قام الإمام الصادق عليه السّلام بمسؤوليته - كإمام مفترض الطاعة -

ص: ٣١٦

خير قيام، فبينّ أولا زيف تلك الدعاوى، و قام بتمهيد المفهوم الصحيح للغيبة و الغائب؛ إذ وجد عليه السّلام أن معنى غياب الإمام المهدي عليه السّلام عن السّاحة فجأة - ما لم يتمّ التمهيد له و بشكل مكثّف - يعنى تشتت القاعدة أو تشرذمها. فكان لا بد من ترويض القاعدة على قبول الغيبة عند حدوثها.

و هو ما قام به الإمام الصادق عليه السّلام و أوضحه بجلاء. و قد تبينّ هذا في البحث بنوع من التفصيل.

و من ثمّ، فإنّ الإخبار عن الشيء قبل حدوثه كان ظاهرة معروفة في عهود أهل البيت عليهم السّلام كافة، و لم تكن ظاهرة جديدة في إخبارات الإمام الصادق عليه السّلام، الأمر الذي تطلّب منّا التعرّض إلى إبطال ما قد يدّعى من أنّ نسبة إخبار أولياء الله عزّ وجلّ بالشيء قبل حدوثه إلى علم الغيب المنفى عن غير الله تعالى، بمخالفة تلك النسبة لما هو عند جميع المسلمين، زيادة على ما فيها من إنكار لشيء مادي ملموس، و هو الكتب المؤلّفة في الغيبة قبل حصولها بزمان كثير. فضلا عن كثرة شهادات المتقدمين من أعلام الإماميّة - في الغيبة الصغرى أو بعدها - على وجود تلك الأخبار في الكتب المؤلّفة قبل زمان الغيبة بعشرات السنين، زيادة على نقل بعضهم من هذه الكتب، و تسميتها، و تسمية مؤلفيها صراحة، و هو ما سجله البحث موثقاً.

كما برهن البحث على أنّ الإمام الصادق عليه السّلام لم يقتصر في التمهيد لمفهوم الغيبة بما لا يمكن معه معرفة من هو الغائب بالتحديد؛ كما قد يدّعى أنّ أحاديث الغيبة عند الإمام الصادق عليه السّلام قد اتّصفت بالإجمال و لم تشخص غائباً معيّناً!! و إنّما تناول عليه السّلام في عرض مكونات الوحدة

ص: ٣١٧

الموضوعيّة للغيبة مسائل شتى، حتى صار معها الإجمال الوارد في بعض أحاديثه عليه السّلام مختزناً للتفصيل، و عاد في غنى عما يوضّحه من الخارج؛ لوضوح عدم انطباق أيّ من تلك المكونات التي وصفت بالإجمال - كحديث الغيبتين و غيره - على شخص آخر غير الإمام الثاني عشر عليه السّلام.

هذا فضلاً عما قام به الإمام الصادق عليه السّلام من دفع مضنّة الاختلاف في الإجمال في دلالته على شخص معين، فثبتت أولاً أصل القضية المهدويّة، ثمّ بين حكم من أنكر هذا الأصل، و أكد وقوع الغيبة بالإمام الثاني عشر من أهل البيت عليهم السّلام، و أمر بعدم إنكارها، و نهى عن الانحراف في زمانها، و لزوم التصديق بها، و وجوب الثبات على الولاية في زمن الغيبة، مع التصريح بوجود غيبتين للإمام المهدي عليه السّلام: قصيرة و طويلة، و الكشف عن حال الناس فيهما، و وجوب الانتظار، و تبين من هو الغائب جملة و تفصيلاً، بالانطلاق من كونه من ذريّة رسول الله صلى الله عليه و آله، من ولد علي و فاطمة عليهما السّلام، و أنّه التاسع من ولد الإمام الحسين عليهم السّلام، و هو ثاني عشر الأئمّة عليهم السّلام، و من ولده، من ذريّة ابنه موسى بن جعفر عليهما السّلام، مع تأكيد كونه الخامس من ولد السابع، و التصريح بخفاء ولادته، و شك الناس فيها، و الإشارة إلى ما سيجرى عليه من أقرب المقربين إليه، و تشبيه ذلك بما جرى ليوسف الصديق عليه السّلام على يد أخوته، ثم بيان هويته الكاملة بكل دقة و تفصيل بذكر اسمه الصريح، و كنيته، و اسم أبيه، و بيان حسبه الزكي، و نسبه الشريف.

و لم تفت الإمام الصادق عليه السّلام الإجابة المحكمة على ما سينار - في

ص: ٣١٨

مستقبل الأيام - حول العقيدة المهدوية من شبهات و أوهام؛ ليعبرّ عليه السّلام بهذا عن حرصه البالغ على وصول هذه الحقيقة المهدوية إلى أجيال الأئمّة صافية ناصعة، لتطلّ عليهم كالشمس في إشراقها، منذ أن وقف التاريخ على أعتاب قدسها ليشهد سنا نورها، و إلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولاً.

و هكذا استوعبت غيبة الإمام المهدي عند جدّه الإمام الصادق عليهما السّلام الإجابة الشافية على جميع ما يحيط بها من تساؤلات؛ إذ لم يدع عليه السّلام ملحظا كليّا أو جزئيّا في قضية الغيبة و الغائب إلّا و قد تعرّض لبيانها بكل دقة و تفصيل، و لم يذر عليه السّلام نقطة استفهام واحدة حول هذا الموضوع بلا جواب محكم. الأمر الذي قام عليه البحث و برهن عليه في فصوله السابقة.

ص: ٣١٩

المحتويات

مقدمة المركز ٥

مقدمة المؤلف ٧

✳ الباب الأول / في معرفة الإمام الغائب عليه السّلام قبل ولادته ١٥

– الفصل الأول / دعم الإمام الصادق عليه السّلام للعقيدة المهدوية

و بيان حكم من أنكرها ١٧

الأمر الأول – ثبوت أصل العقيدة المهدوية، و دعمها ١٧

الأمر الثاني – بيان حكم من أنكر أصل العقيدة المهدوية ٢٣

فتوى الفقيه الشافعي ٢٥

فتوى الفقيه الحنفي ٢٦

فتوى الفقيه المالكي ٢٦

فتوى الفقيه الحنبلي ٢٦

ما يؤيّد تلك الفتاوى من أحاديث الإمام الصادق عليه السّلام ٢٧

– الفصل الثاني / ترسيخ الإمام الصادق عليه السّلام للقواعد الكاشفة

عن هوية الإمام الغائب ٣٣

القاعدة الاولى:

العصمة و المرجعية العلمية و السياسية لأهل البيت عليهم السّلام ٣٤

حديث الثقلين و أثره فى بلورة القاعدة ٣٥

أولاً- صحة الحديث و بيان تواتره ٣٥

ثانياً- من صحّ الحديث من العلماء ٤٠

ص: ٣٢٠

ثالثاً- علم الصحابة بالمعنيين بحديث الثقلين ٤٦

رابعاً- تأكيد الإمام الصادق عليه السّلام على حديث الثقلين ٥٠

خامساً- دلالة حديث الثقلين ٥٣

القاعدة الثانية:

حصر الأئمة باثنى عشر إماماً كلهم من عترة النبى أهل بيته صلى الله عليه وآله ٥٧

القاعدة الثالثة:

التسلسل العمودى للإمامة بعد الإمام الحسين عليه السّلام ٦٤

القاعدة الرابعة:

عدم خلو الأرض من إمام من الأئمة الاثنى عشر عليهم السّلام مطلقاً ٦٦

القاعدة الخامسة:

وجوب معرفة إمام الزمان من أهل البيت عليهم السّلام ٧٤

- الفصل الثالث / تشخيص الإمام الصادق عليه السّلام لهوية الغائب

و كيفية الانتفاع به فى غيبته ٨١

أولاً- منهج الإمام الصادق فى تشخيص هوية الإمام الغائب عليهما السلام ٨١

الأسلوب الأول- أسلوب التمثيل و التشبيه لتقريب الهوية ٨٣

المستوى الأول: ٨٤

المستوى الثانى: ٨٧

الأسلوب الثانى- أسلوب التصريح فى بيان الهوية ٩١

ثانياً- بيان الإمام الصادق عليه السلام لكيفية الانتفاع بالحجة الغائب عليه السلام ١٠٢

❖ الباب الثانى / غيبة الإمام الثانى عشر عليه السلام قبل حدوثها ١٠٧

- الفصل الأول / فى العناية بالغيبة و بيان معطياتها ١٠٩

أولاً- أسرار العناية بالغيبة فى الحديث الشريف ١٠٩

ص: ٣٢١

ثانياً- الغيبة فى مؤلفات الشيعة ١١٠

ثالثاً- علم الشيعة بالغيبة قبل حدوثها ١١٤

رابعاً- إخبار الإمام الصادق عليه السلام بالشىء قبل وقوعه، و علم الغيب ١١٦

خامساً- مكونات الوحدة الموضوعية للغيبة عند الإمام الصادق عليه السلام ١١٨

- الفصل الثانى / التأكيد على غيبة الإمام المهدي عليه السلام، و طولها ١٢١

أولاً- تأكيد الإمام الصادق على غيبة الإمام المهدي عليهما السلام ١٢١

ثانياً- تصريح الإمام الصادق بطول غيبة الإمام المهدي عليهما السلام ١٢٧

ثالثاً- تصريح الإمام الصادق بأن للمهدي عليهما السلام غيبتين (صغرى و كبرى) ١٢٩

- الفصل الثالث / فى بيان ما مطلوب فى زمان الغيبة ١٣٧

أولاً- الوصية بعدم إنكار الغيبة، و النهى عن الانحراف، و لزوم التصديق ١٣٧

ثانياً- وجوب الثبات على الولاية فى زمن الغيبة ١٤٠

ثالثاً- التأكيد على انتظار الإمام الغائب عليه السلام فى غيبته ١٤٣

١- توقف قبول العمل على الانتظار ١٤٤

٢- وصف المنتظرين بأنهم من الأولياء ١٤٥

٣- منزلة المنتظر لإمام الزمان عليه السلام ١٤٥

٤- ما يجب أن يتحلّى به المنتظر و بيان أجر انتظاره ١٤٦

٥- توجّع المنتظر و حزنه و بكاءؤه على المهدي عليه السلام فى غيبته ١٤٦

٦- النهى عن قسوة القلوب فى فترة الانتظار ١٤٧

٧- تهيئة وسائل القوة فى فترة الانتظار ١٤٨

٨- ضرورة اعطاء العهد و البيعة للإمام المهدي عليه السلام فى غيبته ١٤٨

ص: ٣٢٢

٩- طلب الرجعة فى الدعاء فى حال الموت قبل ظهوره عليه السلام ١٤٨

١٠- الإكثار من الدعاء فى فترة الانتظار ١٤٩

أ- الدعاء بالثبات على الدين فى زمان الغيبة ١٤٩

ب- الدعاء بطلب المعرفة المنجية من الضلال ١٤٩

ج- الدعاء المعبر عن الشوق و المحبة للإمام المهدي عليه السلام ١٥٠

د- الدعاء للإمام المهدي عليه السلام بتعجيل الفرج ١٥٠

هـ- الدعاء للمهدي بكل خير و تمنى رؤيته عليه السلام ١٥١

و- الدعاء لنيل شرف خدمة الإمام المهدي عليه السلام و نصرته ١٥٢

رابعاً- الكشف عن حال الناس في زمان الغيبة لأخذ العظة و العبرة ١٥٣

- الفصل الرابع / في بيان الإمام الصادق عليه السلام علل الغيبة

و ما يرافقها من تمحيص و اختبار ١٥٧

أولاً- علل الغيبة ١٥٧

العلّة الاولى- الخوف من القتل ١٥٧

العلّة الثانية- لكي لا تكون في عنق المهدي عليه السلام بيعة لأحد ١٥٩

العلّة الثالثة- السنن التاريخية ١٦٠

العلّة الرابعة- و هي علّة خافية لم يؤذن بكشفها ١٦١

ثانياً- أحاديث التمحيص و الاختبار و بيان فلسفتها ١٦٢

أحاديث التمحيص و الاختبار ١٦٢

فلسفة التمحيص و الاختبار ١٦٤

❖ الباب الثالث / دور الإمام الصادق عليه السلام في ردّ الشبهات المثارة حول الغيبة و الغائب ١٦٩

تمهيد ١٧١

ص: ٣٢٣

- الفصل الأول / شبهة الكيسانية بمهدوية محمد بن الحنفية رضي الله عنه ١٧٥

أولاً- أسباب ظاهرة ادّعاء المهدوية في التاريخ ١٧٥

ثانياً- براءة ابن الحنفية رضي الله عنه من القول بمهدويته ١٧٧

ثالثاً- اعتراف محمد بن الحنفية بإمامة السجاد عليه السلام، و نفى الإمامة عن نفسه ١٧٨

رابعاً- من رَوَّجَ له المهدوية و الإمامة بعد وفاته ١٧٩

لقاء السيد الحميرى الكيسانى بالإمام الصادق عليه السلام ١٨١

السيد الحميرى يودع كيسانيته و يتعرف على هوية الإمام المهدي عليه السلام ١٨٢

مع قصيدة السيد الحميرى التى سجل فيها اعترافه بالحق ١٨٣

الكشف عمّا فى قصيدة السيد الحميرى من دلالات ١٨٥

خامساً- ملاحقة الإمام الصادق عليه السلام لحجج الكيسانية و نسفها ١٨٨

- الفصل الثانى / شبهة مهدوية عمر بن عبد العزيز الأموى المروانى ١٩١

أولاً- الآثار الموضوعة فى مهدويته ١٩١

ثانياً- كذبهم على الإمام الباقر عليه السلام فى دعم تلك المهدوية ١٩٢

ثالثاً- ردّ اكذوبتهم على الإمام الباقر عليه السلام ١٩٣

رابعاً- الأقوال الواردة فى مهدوية عمر بن عبد العزيز ٢٠٣

خامساً- من ردّ هذه الأقوال و رفضها من العامة ٢٠٤

سادساً- المهدوية الأموية المروانية فى الميزان ٢٠٥

كيفية وصول (المهدي الأموى) إلى السلطة ٢٠٥

اعتقاد (المهدي الأموى) بإمامة أسلافه!! ٢٠٦

بنو أمية هم الشجرة الملعونة فى القرآن الكريم ٢٠٧

ص: ٣٢٤

إنهم يردّون الناس عن الإسلام القهقهري ٢٠٨

إنهم اتخذوا عباد الله خولا و مال الله نحلا و كتاب الله دغلا ٢٠٨

هلاک الأمة على أيديهم ٢٠٨

مروان بن الحكم ملعون ابن ملعون على لسان النبی صلی الله عليه و آله ٢٠٩

بنو أمية من أبغض أحياء العرب إلى رسول الله صلی الله عليه و آله ٢٠٩

مروان قصص من لعنة الله عز و جل ٢١٠

لعن مروان و هو فى صلب أبيه ٢١٠

لعن الحكم بن أبى العاص و من يخرج من صلبه ٢١٠

أشدّ الناس بغضا لأهل البيت عليهم السّلام هم بنو أمية ٢١١

كف مروان كف يهودية ٢١١

دولة بنى أمية ليس فيها منار هدى و لا علم يرى ٢١٢

سابعاً- موقف الإمام الصادق عليه السّلام من تلك المهدوية ٢١٢

- الفصل الثالث / شبهة مهدوية محمد بن عبد الله الحسنى ٢١٥

أولاً- منشأ هذه الشبهة و تداعياتها ٢١٥

ثانياً- موقف الإمام الصادق عليه السّلام من مهدوية الحسنى ٢٢٥

إخباره عليه السّلام القيادة الحسنية بنتائج تلك الدعوى و قتل صاحبها ٢٢٨

تفهيم الناس بمصير المهدي الحسنى و مهدويته ٢٣٢

تأكيد عليه السّلام على سبق دعوى المهدوية لزمان المهدي عليه السّلام ٢٣٥

بيان الاختلاف بين هوية الإمام المهدي عليه السّلام و بين هوية (المهدي الحسنى) ٢٣٦

١- الاختلاف فى اسم الأب، و الكنية ٢٣٧

٢- الاختلاف فى النسب من جهة الأب ٢٣٩

لماذا حصر الإمامة و المهدي في ذرية الحسين دون الحسن عليهما السلام؟ ٢٤١

٣- الاختلاف من جهة الأم اسما و نسبا ٢٤٢

الاختلاف في اسم الأم ٢٤٢

الاختلاف في نسب الأم ٢٤٢

ثالثا- من نتائج توعية الإمام الصادق عليه السلام ٢٤٤

- الفصل الرابع / دعوى مهدوية المهدي العباسي ٢٤٩

أولا- من كان وراء القول بمهديته ٢٤٩

١- أبو جعفر المنصور ٢٤٩

٢- الوضاعون ٢٥٣

الأحاديث الموضوعة في ترويج مهدوية المهدي العباسي ٢٥٥

٣- الشعراء ٢٦١

ثانيا- شخصية المهدي العباسي في الميزان ٢٦٣

ثالثا- موقف الإمام الصادق عليه السلام من المهدوية العباسية ٢٦٦

١- الأمر بالتقية من بني العباس ٢٦٧

٢- الأمر بكتمان أمر أهل البيت عليهم السلام عن العباسيين ٢٦٨

٣- الأمر بالابتعاد عن العباسيين و قضاتهم في المرافعات و وصفهم بالطاغوت ٢٦٨

٤- أحاديثه عليه السلام الواردة في ذم بني العباس صراحة ٢٦٩

٥- تذكير الإمام الصادق الأمة بهوية المهدي عليهما السلام ٢٧٢

- الفصل الخامس / موقف الإمام الصادق عليه السلام من المهدويات الأخرى ٢٧٥

أولاً- موقفه عليه السلام من قول الناووسية بمهديته ٢٧٥

ثانياً- موقفه عليه السلام من قول الواقفية بمهدوية الإمام الكاظم عليه السلام ٢٧٨

ص: ٣٢٤

ثالثاً- دوره عليه السلام في تشخيص المهدويات الباطلة كلها ٢٨٢

بيان علامات ظهور الإمام المهدي عليه السلام ٢٨٤

المراد بقتل النفس الزكية كعلامة من علامات الظهور ٢٨٦

بيان التطور العلمي في زمان الظهور ٢٨٨

بيان سيادة الإسلام في زمان الظهور على كل الأديان ٢٨٩

- الفصل السادس / دور الإمام الصادق عليه السلام في ردّ الشبهات الأخرى ٢٩٣

أولاً- شبهة طول العمر ٢٩٤

ثانياً- شبهة القول بعدم الولادة، أو الوفاة بعد حصولها ٢٩٧

ثالثاً- شبهة حول استمرار وجوده الشريف ٢٩٩

رابعاً- شبهة حول هوية الإمام الغائب عليه السلام ٣٠٠

خامساً- شبهة جواز تأخير الاعتقاد بالمهدي عليه السلام إلى زمان ظهوره! ٣٠١

سادساً- شبهة جعفر الكذاب عم الإمام المهدي عليه السلام ٣٠٤

سابعاً- شبهة حول لفظ (القائم) و لفظ (المهدي) ٣٠٦

ثامناً- الشبهة الواردة حول سيرته عليه السلام ٣٠٦

تاسعاً- شبهات حول الغيبة ٣٠٨

- الخلاصة ٣١٥

- المحتويات ٧٣٥٣١٩